وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعـــة القـــادسيـــة
كليّـــة التربية
قسم اللغة العربية

السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب

اطروحة تقدمت بها

إسراء سالم موسى الخزاعي

إلى مجلس كليّة التربية / جامعة القادسية
وهي جزء من متطلّبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في اللّغة العربيّة وآدابها / أدب

بإشراف

الأستاذ الدكتور
عبد الله حبيب كاظم التميمي

٢٠١٧ م ١٤٣٨هـ

نحن - أعضاء لجنة المناقشة - نشهد بأننا اطلعنا على أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ

«السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب»

المقدمة من الطالبة

«إسراء سالم موسى»،

وقد ناقشنا الطالبة في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة اللغة العربية وآدابها / أدب، وبتقدير «امتياز».

التوقيع:
الاسم: أ. د. محمد صابر عبيد
التاريخ: / / ٢٠١٧ م.
رئيس اللجنة

التوقيع:
الاسم: أ. د. حسين عبود الهلالي
التاريخ: / / ٢٠١٧ م.
عضوا

التوقيع:
الاسم: أ. د. رحمن غركان عبادي
التاريخ: / / ٢٠١٧ م.
عضوا

التوقيع:
الاسم: أ. م. د. خليل شكري هياس
التاريخ: / / ٢٠١٧ م.
عضوا

التوقيع:
الاسم: أ. م. د. فرح مهدي صالح
التاريخ: / / ٢٠١٧ م.
عضوا

التوقيع:
الاسم: أ. د. عبد الله حبيب كاظم
التاريخ: ٤ / ٤ / ٢٠١٧ م.
عضوا، ومشرفا

صدقت من قبل مجلس كلية التربية - جامعة القادسية.

التوقيع:
الاسم: خالد جواد العادلي
اللقب العلمي: أستاذ

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا }

صدق الله العلي لعظيم

(الشمس / ٧-١٠)

الاهداء

إِلى شموع أضاءت لي سبل الأَمل.

إِلى مَن بدعائهما كان سرُّ نجاحي ، ومَن تَكبدا العَناء والمَشقة من أَجل سعادتي

أُمي وأَبي

إلى من بهم أستمدُ عزَّتي .. المتطلعين إِلى نجاحي بنظرات الأَمل
إِلى كل مَن كان سنداً لي قولاً وفعلاً

عائلتي

إسراء

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية / جامعة القادسية ، وهم : **الأستاذ الدكتور رحمن غركان ، والأستاذ الدكتور حمزة فاضل يوسف ، والأستاذ الدكتور سرحان جفات ، والأستاذ الدكتور كامل عبد ربّه ، والأستاذ الدكتور لطيف حاتم الزاملي ، والاستاذ الدكتور فاضل ناهي** اعترافاً بفضلهم ، ووفاءً لصنعهم ، وبما أولوني به من دعمٍ وتشجيع ، وبما قدموه لي من علمٍ ومعرفةٍ .

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي في الجامعات الأخرى أستاذي الكبير الدكتور **حاتم الصكر ، والأستاذ المساعد الدكتور خليل شكري هياس ، والأستاذ الدكتور هشام محمد عبد الله ، والأستاذ الدكتور فاضل عبود التميمي ، والأستاذ المساعد الدكتور غنّام محمد خضر ، والأستاذ عقيل كاظم** امتناناً لجهودهم في توفير النصائح والتوجيهات والمصادر .

والشكر موصول إلى زملائي الاستاذ المساعد الدكتور **عمار نعمة نغيمش** والدكتور **علاء عبد الكاظم** والدكتور **سالم جمعة كاظم** وخالي العزيز الدكتور **وسام فالح جابر** جزاهم الله عني خير الجزاء .

إسراء

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١ – ٥
التمهيد : السيرة الذاتية النشأة والتطور من منظور النقاد العرب	٧–١٥
الفصل الأوّل : السيرة الذاتية المفهوم والمرتكزات	١٦–٧٧
المبحث الأوّل : إشكالية المصطلح والمفهوم .	١٧–٣١
المبحث الثاني : المرتكزات السيرذاتية	٣٢–٥١
أولاً :الميثاق السيرذاتي :	٣٢–٣٧
١–الميثاق الروائي	٣٣
٢–الميثاق المرجعي	٣٣–٣٤
٣–الميثاق السيرذاتي	٣٤–٤٢
ثانياً : التطابق:	٤٢–٤٦
ثالثاً : الضمائر:	٤٦–٥١
المبحث الثالث : المرتكزات السردية	٥٢–٧٧
أولًا: الزمن	٥٥–٦٢
ثانيا: المكان	٦٢–٦٨
أ – المرجعية الواقعية للمكان	٦٤
ب – ارتباطه بالحركية الواقعية للشخصية	٦٤–٦٥
ت – واقعية العلامات الدالة عليه	٦٥–٦٨
ثالثا: الشخصية	٦٨–٧٣
رابعاً: الوصف في السيرة الذاتية	٧٣–٧٧
الفصل الثاني : السيرة الذاتية المهجنة ونشوء الأنواع الجديدة	٧٨–
مدخل	٧٩
المبحث الأوّل : تداخل السيرة الذاتية مع الرواية	٨٠–١٠٩
أولاً : اشكالية المصطلح والمفهوم	٨٠–٩٠

ثانياً –اشكالية تجنيس الأعمال الأدبية	٩٠-٩٩
ثالثاً : في التحقق من النوع	٩٩-١٠١
رابعاً : الميثاق	١٠١-١٠٣
خامساً : الضمير	١٠٣-١٠٦
سادساً : التطابق أو التماثل بين الشخصية الروائية والمؤلف	١٠٦-١٠٩
المبحث الثاني : التداخل بين السيرة الذاتية والقصة	١١٠-١٢٠
إشكالية تداخل الجنسين	١١٠-١١٣
التعريف	١١٣-١١٥
الدراسات التطبيقية	١١٥-١٢٠
المبحث الثالث : تداخل السيرة الذاتية مع الشعر	١٢١-١٣٨
قصيدة السيرة الذاتية مغامرة فنية و مغامرة نقدية	١٢٧-١٢٩
الضمير	١٢٩-١٣٠
الميثاق	١٣٠-١٣٢
التطابق	١٣٢-١٣٨
المبحث الرابع : التجارب الذاتية	١٣٩-١٥٨
أولاً : التجربة الشعرية	١٣٩-١٥٤
ثانياً: التجربة القصصية	١٥٤-١٥٨

الفصل الثالث : النقد السيرذاتي من التأسيس إلى الاستقرار	١٥٩-٢٢٣
مدخل	١٦٠
المبحث الأوّل : قراءة في الأعمال المبكرة	١٦١-١٧٧
أوّلاً : كتاب "الترجمة الشخصية" للناقد شوقي ضيف	١٦١-١٦٤
ثانياً : كتاب "فن السيرة" للناقد إحسان عباس	١٦٥-١٧٣
ثالثاً : كتاب "الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث" يحيى ابراهيم عبد الدايم	١٧٣-١٧٧
المبحث الثاني : قراءة في جهود ما بعد التأسيس	١٧٨-٢٢٣
أولاً: كتاب "سيرة الغائب .. سيرة الآتي" :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين" شكري المبخوت.	١٧٨-١٩٢
أهداف الكتاب	١٧٨
المنهج	١٧٨-١٧٩
التوصيف النقدي	١٧٩-١٩٠
في تبويب الكتاب	١٩٠-١٩٢
ثانياً : كتاب "تمظهرات التشكيل السيرذاتي–قراءة في تجربة محمد القيسي السيرذاتية" للناقد محمد صابر عبيد .	١٩٢-٢٠٦
الأهداف	١٩٢-١٩٣
خطة الكتاب	١٩٣
منهجه	١٩٣-١٩٤

التوصيف النقدي	١٩٤-١٩٨
لغته النقدية	١٩٨-٢٠١
معجم الكتاب	٢٠١-٢٠٦
ثالثا: كتاب "البوح والترميز القهري الكتابة السير-ذاتية: التنويعات والمحددات " للناقد حاتم الصكر	٢٠٦-٢٢٣
الأهداف	٢٠٦-٢٠٧
فاعلية العتبات	٢٠٧
المنهج	٢٠٨
التوصيف النقدي	٢٠٨-٢٢٣
الخاتمة	٢٢٤-٢٢٧
المصادر والمراجع	٢٢٨-٢٤١
ملخص الأطروحة باللغة الانجليزية	A- b

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق سيدنا ونبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه المنتجبين ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد

إنّ البحث في المنظومة النقدية السيرذاتية العربية والنظر في ضروب من البحوث والقراءات بوصفها تمثل مشروعاً ضرورياً لبناء نظرية سيرذاتية متكاملة تعكس مدى التفاعل مع هذا الجنس الأدبي والحرص على متابعة أساليبه في التنامي ورصد تطوره عبر أزمنة متلاحقة .

وقد استلزم التجديد في مقاييس هذا الجنس وصياغته بأسلوبيات جديدة ومتنوعة تخرج عن المعايير الثابتة والشروط الصارمة التي رُسِمَت له ، ظهور قراءآت مجدِّدة تقوم على المفارقة والتجاوز ، تركز على هذا التطور وتفحص مقوماته داخل النصوص ؛ لذا أصبح هناك أمل لدى الباحث في هذه القراءات أن يظفر في تضاعيفها برؤية نقدية معمقة تقتنص ظواهر التجديد في النصوص ، وتفسر أسبابها ، وتُحدِّد ملامحها ، وتحلِّل العلاقات الكائنة بين السيرة الذاتية وغيرها من الأجناس الأدبية القريبة منها ، وحاولنا في بحثنا هذا رصد نوعين من تلك الدراسات هما الدراسات التأسيسية والدراسات المطورة للنقد السيرذاتي، وحاولنا جاهدين أن لا تكون قراءاتنا لهذه الأعمال قراءة فضفاضة من خلال الإطالة في تناول أعمال نقدية لم تلامس جنس السيرة الذاتية إلّا من بعيد في حدود تناولها تاريخياً وأحوال المنشأ والانتماء لذلك اكتفينا بالإشارة إليها بالقدر الذي يُفيد منه البحث ، وكذلك استبعدنا الدراسات التي لم تحقق أي إضافة تذكر في حقل النقد السيرذاتي ، فضلاً عن أنّ أكثرها يفتقر إلى المنهجية والتنظيم ولاسيما الدراسات المقالية ، في حين وقفنا على الأعمال النقدية التي حققت نمواً حقيقياً في النقد السيرذاتي من خلال الوقوف على قضايا مهمة في الكتابة السيرذاتية لإجلاء خصوصياتها الشكلية والمضمونية.

وجاء اختيار الموضوع الموسوم بـ(السيرة الذاتية في جهود الدارسين العرب) باقتراح من مشرفي الأستاذ الدكتور عبد الله حبيب كاظم التميمي الذي وجد فيه فرصة سانحة للوقوف على الجهود النقدية للنقاد والدارسين العرب ، وبيان أهميتها في اغناء ساحة النقد العربي السير ذاتي ، حتى أصبح لا غنى عنها لمن يروم دراسة هذا النقد أو البحث في قضايا جنس السيرة الذاتية .

وهذا الاختيار يُسوغه قلة المبادرات الأكاديمية والبحثية الجادة في مجال نقد النقد السيرذاتي ، على الرغم من التراكمات الكمية والنوعية التي تحققت في هذا المجال الذي لم يحظ بالتفاتة ترصد أهميتها وتمفصلاتها ودورها الجاد في المتابعة والقراءة لهذا الجنس الأدبي .

تقوم الدراسة على ثلاثة فصول يسبقها تمهيد بعنوان (نشأة السيرة الذاتية العربية من منظور النقاد العرب) وقد تناولنا فيه اختلاف وجهات النظر بين النقاد حول موضوع نشأة السيرة الذاتية والمراحل التي مرَّت بها حتى تطورها بظهور أعمال إبداعية في الأدب العربي الحديث سجَّلت قيمة أدبية وجمالية وحظيت بعناية الدارسين .

وجاء الفصل الأوّل تحت عنوان (السيرة الذاتية المفهوم والمرتكزات) وقد قسمناه على ثلاثة مباحث تناول المبحث الأوّل (إشكالية المصطلح والمفهوم) وقد وقفنا فيه على قضية غاية في الأهمية وضحنا من خلالها الخلط بين النقاد في توظيف المصطلحات ، وما انتاب المفهوم من عدم الاستقرار لاختلاف وجهات النظر بين الدارسين حوله ، وزئبقية فن السيرة الذاتية وقربها من الكتابات الأخرى التي تُعنى بالكتابة عن الذات كالمذكرات ، واليوميات ، والرسائل ، وغيرها .

وفي المبحثين الثاني والثالث انصبت جهودنا على متابعة دراسات النقاد في التنظير للمرتكزات السيرذاتية والمرتكزات السردية، وأهم المعالجات التي سجلوها في مؤلفاتهم من خلال التطبيق على نصوص سيرذاتية .

أما الفصل الثاني الموسوم بـ(السيرة الذاتية المهجنة ونشوء الأنواع الجديدة) ، فقد تمّ تقسيمه على أربعة مباحث ، رصدت الدراسة في المباحث الثلاثة الأولى منه عملية التهجين بين السيرة الذاتية والفنون الأخرى وهي (الرواية ، والقصة ، والشعر) ، وما تمخض عن هذا التهجين من إشكالية نقدية تتعلق بقضايا (المصطلح، والمفهوم، والتجنيس، وتوظيف المرتكزات) .

وتضمن المبحث الرابع (التجارب الذاتية) وقد أظهرنا من خلاله جهوداً نقدية متميزة ومتفردة ترصد كتابات الأدباء عن تجاربهم الذاتية الشعرية و القصصية ومراحل تطورها .

أما الفصل الثالث ، فكان بعنوان (قراءة في الجهود النقدية من التأسيس إلى الاستقرار) تتبعنا فيه نوعين من الدراسات النقدية وتمّ تقسيم الفصل على أساس هذين النوعين على

مبحثين ، عُني الأوّل منها بالمؤلفات التي أسست للنقد السيرذاتي ، ونظَّرت لفن السيرة الذاتية واعتمدها الدارسون فيما بعد في دراساتهم بوصفها مراجع أساسية في دراسة فن السيرة الذاتية.

والمبحث الثاني قدمنا فيه قراءة نقدية في المؤلفات التي حققت تطوراً واضحاً في ساحة النقد السيرذاتي بما اعتمدته من مناهج نقدية حديثة وبما أضافته من رؤى وأفكار ونظريات نقدية ، واقتراح لمصطلحات وأنواع جديدة للسيرة الذاتية عبر تغطية النصوص السيرذاتية العربية المنجزة على تنوع تمظهراتها وأساليب صياغتها .

وجاءت الخاتمة تُلخص ما خرجنا به من النتائج لتلك الدراسة في فصولها الثلاثة ، ثمّ اتبعناها بقائمة من المصادر والمراجع التي تمت الإفادة منها في إنجاز هذه الدراسة .

أما أهم الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا فتتمثل بصعوبة الإلمام بالدراسات والبحوث النقدية الكثيرة والمتنوعة ، إذ توجّب علينا أوّلاً إحصاء تلك الدراسات وعمل قراءة مكثفة عليها ، ثمّ اختيار ما نراه ضرورياً منها لبحثنا ، ولاسيما تلك الدراسات التي أضافت جديداً لساحة النقد السيرذاتي تنظيراً وتطبيقاً على النصوص ، وأسهمت في تطوره وانتعاشه ، ثمّ أنّ مواجهة القضايا والإشكاليات النقدية الكثيرة يتطلب من الباحث لغة نقدية عالية الدقة في وصف لغة نقدية أخرى على اختلاف مستوياتها بين الدارسين ، لغة قادرة على ضبط موضوعها بما يسعفها على الوقوف على كيفيات اشتغال الأعمال النقدية على تنوعها واختلاف توجهاتها ، ووجوب أن تكون دقيقة تجنباً لأي خلط أو لبس ينتاب المفاهيم ، كما يجب توافر أدوات إجرائية تتوخى التناقض والتشويش أو التعسف في تقويم الأعمال النقدية.

وفي الختام أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أستاذي المشرف الدكتور عبد الله حبيب التميمي على ما قدمه لي من نصائح وتوجيهات وما بذله من جهدٍ ووقت ، وعلمية لأجل النهوض بتلك الاطروحة على صورتها هذه .

والشكر موصول إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية وإلى الموظفين في مكتبة قسم اللغة العربية ومكتبة كلية التربية والمكتبة المركزية على تعاونهم معي ، وإلى كل من ساندني في مسيرة بحثي هذه .

وأخيراً فإنّ جهدي المتواضع هذا أتمنى أن يكون بالمستوى الذي طمحت أن يكون عليه ومن الله التوفيق .

الباحثة

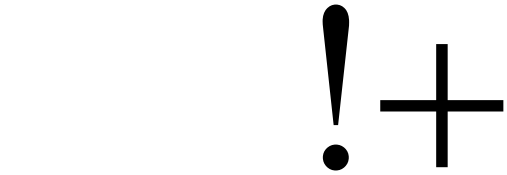

السيرة الذاتية المفهوم والمرتكزات

المبحث الأوّل : إشكالية المصطلح والمفهوم .

المبحث الثاني : المرتكزات السيرذاتية

المبحث الثالث : المرتكزات السردية

المبحث الأول
إشكالية المصطلح والمفهوم

تظلّ السيرة الذاتية أكثر الأجناس الأدبية إثارة للبلبلة الإجناسية والمرونة والهوية الأسلوبية، بسبب اقترابها من فنون قولية شبيهة واقتراضها أعراف فنون مشتركة، وكثيراً ما وصفها النقاد بأنّها جنس غير مستقر ويكتنفه الغموض واللّبس[١] .

فليس ثمة أسوار منيعة أو آليات تعمل داخل الشكل الفني، تحول دون تداخل الأشكال الفنية وتمازجها[٢].

لذلك ظلّ يُنظر إلى السيرة الذاتية على أنها تمثِّل ، مفهومًا ملتبَسًا: فهي سردٌ يتّسم بخصوصية العلاقة بين الرؤية الحكائية التي تَحكمه وبين الزمن[٣] .

و((لا تتوقف أشكال السيرة الذاتية عند حدود أنواع معينة تتمتع بقدرٍ عالٍ من الصفاء النوعي والأجناسي، بل تتنوع بقدر تنوع الكتّاب والأدباء والمؤلّفين في التعبير عن ذواتهم وتجاربهم ومناطق متعددة وكثيفة من حياتهم، على النحو الذي يسمح لنا بإدخاله في الفضاء العام للنص السيرذاتي وحساسيته المغامرة))[٤] .

وقد غدا جنس السيرة الذاتية ساحة للنقاش النظري الأدبي حول موضوعات لا يخلو أحدها من أهمية، وأهم تلك القضايا هي إشكالية الخلط بين المصطلحين (السيرة) و(الترجمة) التي أخطأ بعض الباحثين في الخلط بينهما على اعتبار أنهما يدوران على

---

(١) ينظر البوح والترميز القهري ، السيرة الذاتية: التجنيس والمحددات،حاتم الصكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ٢٠١٤ :٦

(٢) ينظر، رواية السيرة الذاتية ، عبد الله عبد الرحمن الحيدري ، مجلة علامات في النقد م ١٣، ج ٤٩ سبتمبر ٢٠٠٣ : ٥٨.

(٣) ينظر،السيرة الذاتية: صورة سهيل إدريس الشابّ ، محمد جمال باروت، المقالة منشورة في مجلة الآداب ع٢٤ ، ٢٠٠٨ : ٤-٦

(٤) المغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–، محمد صابر عبيد، دار لبنان ناشرون، بيروت،٢٠١٢: ٦٤٥.

معنى واحد هو تاريخ الحياة[٥]، وعلى الرغم من تباين استعمال الكلمتين عند السابقين إلا أن الاصطلاح الحديث لا يفرق بينهما ويستخدم إحداهما مرادفة للأخرى[٦] .

ولا يمكننا التسليم بهذا الاعتقاد ، لاسيما وأنّ الدراسات الحديثة تغاضت عن مصطلح (الترجمة) في الآونة الأخيرة ، وشاع لفظ (السيرة) ؛ لذا نرى من الضروري في البداية البحث في الجذور اللغوية للمصطلحين ، فقد أورد ابن منظور في معجمه الكبير (لسان العرب) أن (السيرة) هي السنة، والطريقة، والهيئة، وأحاديث الأوائل، وسائر الكلام والمثل في الناس : شاع ، ويُقال :هذا مثل سائر وفي التنزيل العزيز قول الله عزَّ وجلَّ: ((سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأولىٰ))[٧] ، أي هيئتها الأولى[٨] .

والسيرة اصطلاحاً تعني ((فن ترجمة الحياة لشخص ما))[٩]، وأما (الترجمة) فهي نقل الكلام من لغة إلى لغة[١٠] .

ويبدو أن أصل لفظة (الترجمة) فارسية ، وكذلك (الترجمان) ، وقد تكلمت بها العرب بعد ذلك وعربتها[١١]، و((دخلت إلى العربية عن اللغة الآرامية ، ولم يكن الاصطلاح قد جرى على استعمالها فيما يبدو إلا في أوائل القرن السابع الهجري حيث استخدمها ياقوت الحموي في معجمه بمعنى حياة الشخص))[١٢] ، ولم تكن تلك اللفظة شائعة من قبل فقد

---

(٥) ينظر: الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث: ٣٠، والتراجم والسير:٢٨ ،ونظرية السيرة الذاتية في الفكر الأدبي الحديث، الصادق العمري، مجلة المشكاة ، الدار البيضاء ، دار قرطبة للطباعة والنشر – المغرب، العدد ١١ ١٩٨٩ ١٥ ،والسيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية: ٨ .

(٦) ينظر، الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث: ٣١

(٧) سورة طه: ٢١

(٨)ينظر، لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ)دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (د.ط) ،١٩٥٦: مادة (سير) :٥٦/٦.

(٩) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤: ٢٠٥.

(١٠) ينظر، لسان العرب : مادة (رجم) ، والجمع : تراجم : ٣٣٢/١٤.

(١١) ينظر، أدب الكاتب ، أبو بكر الصولي ،تحقيق : محمد بهجة الأثري .القاهرة ،المطبعة السلفية١٣٤١هـ:١٨٦

(١٢) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٣١

استعمل أبو الفرج الأصفهاني المتوفى عام (٣٥٦) للهجرة لفظ (الخبر) بصيغتي الإفراد والجمع[١٣].

وقد لاحظنا في التراث العربي القديم أن ترجمة الكتاب وترجمة الكاتب تعني: التعريف بهما، وتقديمهما إلى جمهور القراء من دون إطالة أو إسهاب، وتعني التعريف بالأحياء والمتوفين من أعلام الأدب، والتاريخ، والطب، والفكر، والفلسفة، وغيرهم، وهذا ما نجده عند ابن أبي أصيبعة في ترجمته لعدد غير قليل من قدماء الأطباء في مؤلفه: (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)[١٤]، وعند ياقوت الحموي في ترجمته لقدماء النحويين والأدباء العرب ، ولا يختلف كثيراً عما التزم به ابن أبي أصيبعة من خطوات في تراجمه ، بحيث آثر كل من ابن أبي أصيبعة، وياقوت الحموي مبدأ الاختصار والإيجاز في ترجمتهما لكثير من الأعلام، مما يدل على أن الإيجاز وصغر الحجم هو السمة والقاعدة في كتابة تراجم الأعلام؛ فقد تميزت تلك التراجم بأنها ليست مستقلة في كتاب خاص ، ولم يكن غرضها المباشر تناول حياة صاحب الترجمة ، وأن كُتّابها جلّهم من العلماء والفلاسفة[١٥] .

وعرفها محمد عبد الغني حسن: ((هي ذلك النوع من الأنواع الأدبية تتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر ويتعمق أو يبدو على السطح، تبعاً لحالة العصر الذي كُتبت فيه الترجمة ، وتبعاً لثقافة المترجم ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له))[١٦].

وهي تقترب من أن تكون توثيقاً تاريخياً يُنجزه بعضهم بأسلوب منمق ولغة علمية هادئة، ككتاب (الأغاني) ، فمن مقاييس الترجمة أن تُقدم للمترجَم تعريفاً يتناول: ميلاده وموته، واسمه ولقبه، وكنيته ونسبه ، مع إشارة عابرة إلى شيوخه ، وإلى أهم أحداث حياته، وإلى جيد ما أُثِر عنه فيما برع فيه من المجالات[١٧] ، وظهرت نماذجها في المصادر القديمة التي تُعنى بتراجم الأعلام والتي أشرنا لها آنفا. ويتضح من تلك التراجم التي تناولت

---

(١٣) ينظر ، م . ن :٣١.

(١٤) ينظر، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعه ،تحقيق .:اوغست مولر ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ١٩٧٢،

(١٥) ينظر، السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية: ١٨.

(١٦) التراجم والسير:٩

(١٧) ينظر، دراسة المؤلفات الجديدة، محمد الكتاني ، الطبعة الأولى، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب١٩٨٠-١٤٠٠هـ :١٥/٣:

حياة الأعلام بإيجاز أن العرب لم يُعنوا بكتابة التراجم الذاتية مثلما عنوا بكتابة التراجم العامة وكتابة التأريخ ، إلا في القلة القليلة التي لا تتكافأ مع هذا الفيض الزاخر من التراجم والسير ، ومن تلك التراجم الذاتية في أدبنا العربي كتاب (النكت العصرية) لصاحبه عمارة اليمني، و(سيرة المؤيد داعي الدعاة) لصاحبه المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن داوود الشيرازي(٤٧٠هـ) وترجع إلى منتصف القرن الخامس ، وهذا ما أكده لنا محمد عبد الغني حسن في كتابه (التراجم والسير)[١٨] .

أما السيرة ، فتختلف أساسًا عن الترجمة من حيث الطولُ، والعناية الفائقة برسم الشخصية بطلة السيرة رسماً دقيقاً يتناول الجانب النفسي والسلوكي، ويُلقي أضواءً كاشفة على الجانب الذي تجلت فيه هذه الشخصية، وهي نوع من الأدب الذي يجمع بين التدوين التاريخي والإمتاع القصصي[١٩] ، ولكي يصل هذا الفن إلى هذه الغاية ؛ فإنه يتخذ لذلك سبيلَ الأسلوب القصصي بما فيه من سرد وحوار، وحبكة وذروة توترية ، و يجري على هذه الشخصية مقاييس التحليل النفسي[٢٠] .

والسيرة ((أحفل من التاريخ العام بالعواطف الزاخرة الجياشة والأحاسيس النابضة لأنها تعرض من سيرة الفرد لجوانب حياته المختلفة حتى تتجلى مقومات شخصيته ، وتبرز معالم حياته لتفصح عن سر نبوغه وتفرده ، إذ لا تحفل السير إلا بكل نابغة فريد))[٢١].

وقطعتْ كلمة السيرة شوطًا من حياتها في التراث العربي، وهي جزء من مدونة تاريخ العالم، تُعنَى بتتبع حياة الأشخاص من خلال الأحداث السياسية والاجتماعية التي كانت تحيط بهم.

واتفق الباحثون في أصول السيرة أن لفظ السيرة استُعمل أول ما استعمل في تاريخ حياة الرسول (ρ) وسُمِّي الذين ألَّفوا هذا التاريخ بأصحاب السِّيَر والمغازي[٢٢] .

---

(١٨) ينظر : التراجم والسير ، :٢٤-٢٥

(١٩) ينظر ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، د. أنيس المقدسي، دار العلم للملايين بيروت، ط ٢، ١٩٨٧ :٥٤٧

(٢٠) ينظر ، دراسة المؤلفات الجديدة:٣/١٥-١٦ .

(٢١) التاريخ والسير، حسين فوزي النجار، دار القلم ، القاهرة ،١٩٦٤ :٦١

(٢٢) ينظر : التراجم والسير ، :٢٥- ٢٦ ، وأدب السيرة الذاتية: ٣-٤.

وفي الاصطلاح الحديث فإنَّ الخطاب النقدي العربي بحسب ما يرى عبد السلام المسدي استساغ مصطلح (السيرة الذاتية) عبر آلية التفكيك حتى يتسنى أن يجري على هذه العبارة تركيبا آخر عن طريق النحت ليستخرج من(السيرة) و(الذاتي) نعتاً منحوتاً هو المصطلح المركب (السير ذاتي)[٢٣] .

فإذا أردنا توخي الدقة في استعمال المصطلحات لايجوز أن نساوي بين المصطلحين (السيرة) و (الترجمة) لأن النقد السيرذاتي العربي قسّم السيرة على قسمين غيرية وذاتية فعبد العزيز شرف يُحدِّد الفوارق بين نوعي السيرة الغيري والذاتي التي لا تكمن في المادة الموضوعية فحسب ، بل تكمن في التقنية والوظيفة ، والسيرة الغيرية أسبق زمناً من الذاتية[٢٤].

أما الذاتية : فهي التي تصور لنا أبعاد كاتبها من الداخل والخارج من خلال رؤيته هو المسلطة على ذاته المكتوبة بقلمه ، و تحقق له التوافق والاتزان إذا تيسر له أن يعيش حياته الداخلية والخارجية والعليا من خلال ذكرياته ، والكشف عن أسرار حياته الباطنية ، وتأمل ذاته العميقة بما فيها من ثراء وخصب داخلي[٢٥] ، وقد نشأ الصنفان في حضن التاريخ ، وكلاهما يمثل تاريخ الحياة لشخص ما[٢٦] .

ومن هنا نرى أن فرقاً واضحاً بين المصطلحين بدءً من الجذور اللغوية لكليهما ، فمسألة التفريق بين المصطلحين هي ليست مسألة اعتباطية حسبما يرى بعض النقاد، فقد جمع شوقي ضيف بين المصطلحين بمصطلح واحد هو (الترجمة الشخصية) ، وهو ما عنون به كتابه[٢٧] ، وسقط يحيى إبراهيم عبد الدايم أيضاً في هذا الخطأ على الرغم من اعترافه بالفارق بين المصطلحين الذي يكمن في أن ((كلمة ترجمة يجري الاصطلاح على استعمالها لتدل على تأريخ الحياة الموجز للفرد ، وكلمة سيرة يصطلح على استعمالها لتدل على التاريخ المسهب للحياة))[٢٨] دون أن يكون له وقفة في مناقشة ذلك الموضوع ، يُضاف إلى ذلك أن المصطلح عنده غير ثابت فمرة ترجمة ذاتية ومرة سيرة ذاتية ، من ذلك قوله في معرض

---

(٢٣) ينظر، المصطلح النقدي ،عبد السلام المسدي ، (د.ط) مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر ، تونس،١٩٩٤ :٦١

(٢٤) ينظر، أدب السيرة الذاتية:٣-٤

(٢٥) ينظر ، م.ن:٧

(٢٦) ينظر، فن السيرة :١٠ .

(٢٧) ينظر ، الترجمة الشخصية : ٥ .

(٢٨) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٣١

وصفه لسيرة المؤيد في الدين : ((على أنه مما يُقلل من هذه المتعة في السيرة الذاتية ، التي كتبها المؤيد ما كان يعمد إليه من محسنات لفظية وأسجاع ومجانسة...)) [٢٩] ، وفي موضع آخر يسميها ترجمة ذاتية ، فيقول: ((ومن أقرب التراجم الذاتية إلى الترجمة الذاتية الأدبية بمعناها الحديث، هي تلك التي كتبها كل من المؤيد...)) [٣٠].

فيما نجد محمد عبد الغني حسن يكرر ما قاله الآخرون في كتابه (التراجم والسير) في اعتبار قضية الحجم الفاصل بين الاثنين ، فأحدهما يتصف بالإطالة والآخر يتصف بالاختصار ؛ إذ يقول: ((فقد جرت عادة المؤرخين أن يسموا الترجمة بهذا الاسم حين لا يطول نفس الكاتب فيها ، فإذا ما طال النفس واتسعت الترجمة سُميت سيرة)) [٣١].

وجاءت دراسات حديثة أخرى اقتفت أثر تلك الدراسات ، على الرغم من شيوع لفظة (سيرة) ، وغياب لفظة (ترجمة) فيها ، يقول الدكتور صالح معيض الغامدي :((ليس ثمة أي فرق واضح بينهما ، فقد كانتا تستخدمان للدلالة على ((سيرة الحياة)) استخداماً تبادلياً ، أي إن إحداهما كثيراً ما تحل محل الأخرى من دون وجود أي فرق في الدلالة . أما الفرق الذي يذكره بعض الدارسين من أن مصطلح ((السيرة)) يُطلق على سيرة الحياة الطويلة ، ومصطلح ((الترجمة)) يطلق على سيرة الحياة القصيرة ، فهو تفريق سطحي لا يلبث أن يتبدد أمام أدنى تمحيص)) [٣٢].

وذهب نبيل راغب إلى أن السيرة مصطلح مرادف للترجمة ،إلا أن مصطلح (السيرة) أقدم في الاستعمال من مصطلح ترجمة في التراث العربي ، ويجعل الفارق الوحيد بينهما مسألة الحجم فقط[٣٣] .

ومن المثير للاستغراب استعمال الناقدة التونسية فوزية الصفار للفظة (الترجمة الذاتية) في كتابها(الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث كتاب "سبعون" لميخائيل نعيمة

---

(٢٩) م . ن: ٣٩

(٣٠) م . ن : ٣٩

(٣١) التراجم والسير:٨٢-٩٢.

(٣٢) كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية ، أ . د : صالح معيض الغامدي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط١ ، ٢٠١٣ : ٣٥ .

(٣٣) ينظر ، فنون الأدب العالمي ، نبيل راغب ، مكتبة لبنان ناشرون، ط١ ،١٩٩٦ : ٤٧

نموذجا)[٣٤] على الرغم من شيوع مصطلح السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الماضي.

فيما نجد أن هناك مواقف متباينة ، منها موقف خليل شكري هياس الذي رفض فكرة الترادف ، ونظر إلى النصوص التي كُتبِت عن الذات في التراث العربي بأنها أقرب إلى التراجم الذاتية منه إلى السيرة الذاتية ، لأنها لا تعطي صورة واضحة وكاملة عن شخصية كاتبها وإنما اقتصرت على إبراز جانب معين من جوانب الشخصية ولمرحلة زمنية معينة[٣٥] ، كرسالة حنين بن إسحاق(ت٢٦٠هـ) التي صور فيها مالقيه من محن وشدائد من بعض نظرائه وأبناء حرفته وحتى أقاربه بسبب ما ناله من حظوة عند الخليفة العباسي المتوكل ،وقد احتفظ لنا ابن أبي أصيبعه بهذه الرسالة في كتابه (عيون الأنباء في أخبار الأطباء)[٣٦]. ويتضح هنا تفريق الناقد بين مصطلحي (السيرة) و (الترجمة) ، فإن كان هناك خصائص مشتركة بين هذين الفنين إلا أنها لاتصل إلى حدّ التطابق ، وبما أن أكثر النصوص التراثية في الأدب العربي على هذا النحو ، فإنَّ خليل شكري يُصرح بأنَّ((حظ الأدب العربي القديم من السيرة الذاتية يعد قليلاً مقارنة بالكم الهائل من التراجم العامة على نحو عام والتراجم الذاتية على نحو خاص))[٣٧] .

أما قول الناقد عبد العاطي إبراهيم هواري بان الترجمة تقترن بمصطلحي الذاتية والغيرية، فيما يرى إن السيرة لا تلحق بها إلا عبارة الذاتية ، مشكلة مصطلحاً متكوناً من وحدتين معجميتين سيرة (وتعني ترجمة إنسان أو قصة حياة) وذاتية (وتعني طريقة إنتاجها أو فراغ منتجها)[٣٨] ، فهو قول مرفوض فالنقد السيرذاتي[٣٩] صنف السيرة إلى ذاتية وغيرية ، وهما فنان أدبيان تتضح بينهما فروقٌ أساسية وجوهرية، ((على مستوى استخدام الضمير، وطريقة

---

(٣٤) ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث " سبعون" لميخائيل نعيمة نموذجا، فوزية الصفار الزاوق، الخدمات العامة للنشر ، مطبعة الوفاء البلفدير ، تونس، ط١، ١٩٩٩.

(٣٥) ينظر ، السيرة الذاتية العربية : تاريخ وثقافة:١٤٢

(٣٦) ينظر، فن السيرة:١٣٠ ، ويُنظر : السيرة الذاتية العربية تاريخ وثقافة : ١٤١-١٤٢ .

(٣٧) السيرة الذاتية العربية: تاريخ وثقافة:١٥٢

(٣٨) ينظر ، سيرة الذات المهمشة:(لغة التهميش)، عبد العاطي إبراهيم هواري ،ط ١، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٨ :٢١-٢٢ .

(٣٩) ينظر، فن السيرة :١٠، والترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٢٥- ٢٧ ، و دراسات في كتب التراجم والسير، هاني العمد ، المؤسسة الصحفية الأردنية ط ١ ، ١٩٨١: ٧-٨ ، و أدب السيرة الذاتية: ٣-٧.

معالجة الحادثة السيرية، وحسّاسية الانتماء إليها، فضلاً عن التباين في أسلوبية البناء السيري وأنماط السرد))[٤٠] ، ولم تكن تلك المصطلحات شائعة في النقد القديم بمفهومها الحديث على الرغم من احتوائه على جوانب من تجاربهم من السير الذاتية والغيرية[٤١].

فيما رأى الباحث ناصر بركة أن خير طريق للخلاص من الوقوع في مطب الخلط بين المصطلحين الإقرار بأن كل سيرة ترجمة وليست كل ترجمة سيرة وذاك من منطلق العلاقة التي تجمع بينهما، فيلتقيان في خصيصة ويختلفان في أخرى[٤٢].

وقد يبدو هذا الرأي مقنعاً إذا عرفنا أن السيرة الذاتية تشمل حياة الكاتب من نواحي متعددة من طفولته إلى وقت كتابته للسيرة، فتكون بذلك شاملة لكل معلومة تذكر في الترجمة وان ذُكرت مقتضبة ، أو مقتصرة على أي ناحية من نواحي الحياة .

ونحن لا نتفق مع من فرَّق بين السيرة والترجمة تفريقًا كميّاً فقط ، جاعلاً من المصطلحين أحدهما رديفاً للآخر، فثمة فرقٌ بين المصطلحين يمكن تعليله بالآتي: الظلال التاريخية التي أحاطت بمفهوم الترجمة على أنها تأريخ أكثر من كونها فنّاً، فضلاً عن سمة الإيجاز في الترجمة ؛ إذ إنها تشتمل على معلومات عامة وسطحية عن المترجم له ، وهي تقتصر على تجربة حياتية معينة في حياته ، أما السيرة فإنها تعتمد أسلوب الإسهاب سواء أكانت ذاتية أم غيرية فكاتبها يحاول أن يكتب سيرة حياة وافية من الطفولة حتى الكهولة ، وهذا الاختلاف يترتب عليه اختلافٌ في توظيف العناصر السردية في النوعين .

وهنا نتوقف عند تحليل أندري موروا للفنين إذ يقول: لقد دخلنا عالم التراجم من خلال الإبداع الأدبي بوصفها وسيلة تعبير وعلماً وفناً ، ورأينا أنها جميعا تقود إلى سؤال محوري هو : هل من الممكن أن نعرف الحقيقة حول إنسان ما؟ فبدت الإجابة عن هذا السؤال سلبية ، لكن بقيت زاوية يمكن أن يتولد عنها بعض الأمل وهي (السيرة الذاتية) ، فهي : حياة إنسان يمكن أن تُكتب على أفضل طريقة من خلاله هو ، فكل إنسان يعرف بقدر كاف من

---

(٤٠) تمظهرات التشكيل السيرذاتي–قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية،محمد صابر عبيد اتحاد الكتاب العرب ، دمشق –٢٠٠٥: ١٤٣

(٤١) ينظر ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٣٢

(٤٢) ينظر ، أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث ،ناصر بركة ،رسالة ماجستير،٢٠١٢–٢٠١٣، جامعة الحاج لخضر–باتنة–الجزائر:١٧

الامتياز وقائع حياته الخاصة ، فيقدم لنا حكاية كاملة[٤٣]، لنتبين أن السيرة ليست مجرد استعادة للماضي كما جرى ؛ أو مجرد الحديث عن عالم انقضى ، أو ذكر لحوادث بتقويماتها الزمنية ، بل هي محاولة لصناعة نص سردي بأسلوبية خاصة ينأى بنفسه عن العرض التأريخي الجامد ، مدعوماً بصياغة فنية تنهض على أسلوب قصصي مشوق وهي فوارق تم إغفالها من قبل معظم الباحثين والنقاد .

أما التعريفات المتداولة للسيرة الذاتية فلا تخرج عن كونها قصة حياة الشخص الذي يسردها بنفسه ، وهنا وعند هذه القضية بالذات حريٌّ بنا الوقوف وقفة تأمل على ما شاب تلك النظرات التعريفية من اضطراب وتشتّت ، وحرصاً منّا على بيان مدى تفاعل النُقّاد مع موضوع كتابة الذات ، وهو ما شكل تعدداً وتشعباً واضحاً في وجهات النظر، وتختلف تلك التعريفات باختلاف مرجعية الرؤية التي يعتمدها كل ناقد في إجرائه النقدي ، ووعيه وثقافته في مجال نقد السيرة الذاتية ، وفي هذا السياق تنقسم هذه المرجعيات على قسمين : قسم يعرف السيرة الذاتية بإعادة صياغة تعريف فيليب لوجون لها ، ولعل هذه التعريفات هي الأكثر تأثراً بتعريف هذا الناقد الفرنسي ، أشهر منظري السيرة الذاتية ، ومنها تعريف محمد عبد الغني[٤٤]، ورشيدة مهران[٤٥] ، وعبد العزيز شرف[٤٦]، وتهاني عبد الفتاح[٤٧] وهي تعريفات مبسطة ترى أن السيرة الذاتية في أبسط مفهوم لها تعني (سيرة حياة شخص يرويها بنفسه)

أما القسم الثاني من التعريفات فيتعامل مع السيرة الذاتية تبعاً لموقعها من الأنواع الأدبية الأخرى، أو الصفات المشتركة بينها وبين تلك الفنون ومنها تعريف أنيس المقدسي[٤٨]،

---

(٤٣) ينظر ، فن التراجم والسير الذاتية ، أندري موروا ، ترجمة وتقديم وتعليق : أحمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، ١٩٩٩: ٩٧

(٤٤) ينظر ، التراجم والسير: ٢٣

(٤٥) ينظر ، طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية ،رشيدة مهران ،القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ،١٩٧٩ :٢٢ ، و كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية:١٤٢

(٤٦) ينظر، أدب السيرة الذاتية: ٢٧

(٤٧) ينظر،السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان جبرا ابراهيم جبرا احسان عباس نموذجا ، تهاني عبد الفتاح شاكر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢ : ١٦

(٤٨) ينظر ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة : ٥٤٧ .

وتعريف عبد السلام المسدي[٤٩]، وتعريف سهير القلماوي[٥٠]، وتعريف أنغام شعبان[٥١]، وتعريف شكري المبخوت[٥٢] .

وهناك من عرفها من خلال تحديد اختلافها مع غيرها من الفنون كتعريف جبور عبد النور الذي يرى أنها ((كتاب يروي حياة المؤلف بقلمه وهو يختلف مادةً ومنهجاً عن المذكرات واليوميات))[٥٣] .

وهناك من يصف السيرة الذاتية تبعاً لدرجة التصاقها بكاتبها وقربها من نفسه ، يقول علي شلق هي: ((نوع من الأدب الحميم ، الذي هو أشد لصوقاً بالإنسان من أيَّة تجربة أخرى يُعانيها))[٥٤] .

فهي تكشف عن خصوصيات كاتبها وأسراره بما تتطلبه من عنصري الصراحة والاعتراف؛ لأنها كتابة تختص بالذات في همومها وشؤونها وشجونها وشواغلها، وقربها من الذات جعلها تحظى باهتمام متميّز من طرف مجتمع القراءة ، لأنها تعمل على إثراء تجارب القارئ.

وهناك من النقاد من ساهم في تصنيف تلك التعريفات بهدف توضيح سبب عدم استقرار جنس السيرة الذاتية ، وصعوبة الاتفاق على وضع تعريف معين لها متعارف عليه في النقد السيرذاتي ، فقد اقترحت تهاني عبد الفتاح تقسيم التعريفات بحسب قربها من الأجناس الأدبية القريبة منها ، والصفات المشتركة فيما بينها[٥٥]، أما الغامدي فهو يتبين المواقف النقدية في كيفية التعامل مع تعريف السيرة الذاتية في النقد العربي الحديث، وصنفها على ثلاثة مواقف[٥٦] :

---

(٤٩) ينظر ، النقد والحداثة، عبد السلام المسدي، منشورات دار أمية، دار العهد الجديد، المطبعة العربية، ط٢، تونس، ١٩٨٩ : ٢٣

(٥٠) ينظر ، فن كتابة السير تاريخ هو أم أدب ، سهير القلماوي ، مجلة العربي،ع١٧، نيسان ١٩٦٠، ٥٤

(٥١) ينظر، السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث منذ مطلع التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية:٨

(٥٢) ينظر ، سيرة الغائب ..سيرة الآتي :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين:٢٨

(٥٣) المعجم الأدبي: جبور عبد النور ،دار العلم للملايين ،ط٢، ١٩٨٤ :١٤٣

(٥٤) النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث، علي شلق ، دار القلم، بيروت، ط٢ ١٩٧٤: ٣٢٤

(٥٥) ينظر ، السيرة الذاتية في الادب العربي فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا ، احسان عباس نموذجاً:١٠-١٣

(٥٦) ينظر ، كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية:١٦

الأول : الهروب من قضية التعريف كليّاً، متمثلاً بالناقدين شوقي ضيف وإحسان عباس .

الثاني : التعامل مع التعريف بطريقة اشتراطيه متمثلا بالناقد يحيى إبراهيم عبد الدايم الذي رأى الغامدي انه عرف السيرة الذاتية من خلال استنساخ الخصائص العامة التي تشترك بين كل السير الذاتية في الأدبين العربي والغربي ؛ لذا فقد جاء بقائمة من الشروط الطويلة والمثالية كما يراها هو.

الثالث : محاولة إيجاد تعريف معين. ويمثل هذا الموقف رشيدة مهران التي عرفت السيرة ((أن يكتب إنسان تاريخ حياته مسجلا حوادثها ووقائعها المؤثرة في سير الحياة ، متابعا تطورها الطبيعي من الطفولة إلى الشباب ثم الكهولة))[٥٧].

ونذهب إلى ما ذهب إليه الناقد في موقفه بأن شوقي ضيف وإحسان عباس تهربا من وضع تعريف معين للسيرة ، على الرغم من الجهد النقدي الذي قدماه في مجال النقد السيرذاتي ، لاسيما الناقد إحسان عباس في تنظيره لأهم شروطها وصفات كاتبها وأسس بنائها بل وله الريادة في التنظير لهذا الفن.

أما مهران فلم تأتِ بشيء جديد فيما ذكرته من تعريفها للسيرة على ما جاء به إحسان عباس في حديثه عن صفات هذا الفن[٥٨] ، وعبد الدايم في تعريفه[٥٩] ، وهو استخلاص لتعريف لوجون كما ذكرنا.

إنّ قضية عدم وجود تعريف جامع مانع لفن السيرة الذاتية من القضايا التي شغلت عناية النقاد والباحثين وأصبحت مدعاة لإثارة الجدل فيما بينهم ، وهذا الجدل والاضطراب في تعريف جنس السيرة نلحظه قد عم النقد السيري الغربي أولاً، تقول ميري سو كالالك: ((لقد وظف كل دارس هذا المصطلح وفقا لمقاييسه الخاصة أو وفقا للدلالة التي قام بتعيينها هو لهذا المصطلح ... لذلك يحتوي هذا الكم من الكتابات العلمية على شهادات متناقضة حول ماهية المفهوم الذي يشكل السيرة الذاتية الجيدة))[٦٠].

---

(٥٧) طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية :٢٢

(٥٨) ينظر، فن السيرة: ٩٨-٩٩

(٥٩) ينظر ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٣١

(٦٠) كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية : ١٢

وقد عارضت الناقدة تهاني عبد الفتاح جورج ماي فيما ذهب إليه بأن عدم وجود تعريف جامع مانع للسيرة سببهُ حداثة هذا الجنس الأدبي وأنه لا يملك من العراقة ما تملكه باقي الأجناس الأدبية الأخرى ؛ إذ ترى تهاني أن السبب في عدم إيجاد تعريف جامع مانع للسيرة الذاتية ((لا يكمن في حداثة نشأتها ، لأنها ليست حديثة النشأة كما يرى "جورج ماي" ، إنما يكمن في مرونة هذا الجنس ، وضعف الحدود الفاصلة بينه وبين الأجناس الأدبية الأخرى ، مما يجعله قادراً على التجول بداخلها بحرية))[٦١] ، ويمكن أن نضيف سبباً آخراً لما ذكرته تهاني عبد الفتاح يكمن في أن النقد لايتعامل مع المفاهيم القارة والنهائية ، وإنما مع المفاهيم المقاربة والقابلة للتغيير حسب مستجدات النقد ، وحسب الطبيعة الإجناسية التي لاتقبل بالحدود العازلة في مجمل العملية الابداعية.

والدليل على كلام الباحثة أن هناك نقّاداً عرفوا السيرة الذاتية استناداً إلى علاقة المشابهة بينها وبين الفنون الأُخرى ، فقد خلِصَ الناقد التونسي شكري المبخوت في كتابه(سيرة الغائب سيرة الآتي : السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين) أن السيرة الذاتية شكل روائي لأنها تروي قصة حياة فردية[٦٢]، أما أنيس المقدسي فيضع لها تعريفاً استناداً إلى قربها من التأريخ ، بل هي نص تأريخي يُصاغ صياغة فنية[٦٣] .

وكلام المبخوت غير دقيق السيرة الذاتية تُكتب بقوالب فنية مختلفة ، فجبرا ابراهيم جبرا مثلاً كَتَبَ سيرته ((شارع الأميرات)) باسلوب مقالي ، أمّا أنيس المقدسي فيُضعف كثيراً من فنية السيرة الذاتية حين يجعلها نصاً تأريخياً ؛ لأن هذا النص التأريخي سيتعرض إلى إعادة إنتاج ويخضع إلى عالم التخييل الذي هو ضرورة في صنع أي عمل أدبي.

ويؤيد الغامدي الدراسة التي أجراها وليام سبنجمان ، ويقترح فيها الباحث أن يُعاد التعريف في كل مرة يقوم شخص ما بكتابة سيرته الذاتية بطريقة جديدة ، فالعمل الأدبي هو الذي يتحكم في التعريف وليس الدارس[٦٤]، ويرى عمر حلي في كتابه (البوح والكتابة : دراسة السيرة الذاتية في الأدب العربي) أنهُ: ((يتعذر في حالة السيرة الذاتية الانطلاق من تعريف جاهز كامل ومغلق للنوع ، مما يتطلب النظر إلى مسألة اختيار النصوص المدروسة

([٦١]) السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا ، احسان عباس نموذجاً:٩

([٦٢]) ينظر ، سيرة الغائب ..سيرة الآتي :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين: ٢٨

([٦٣]) ينظر ، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة :٥٤٧

([٦٤]) ينظر، كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية : ١٢

داخل إطار يشمل حصر حدود النوع))[٦٥] فالناقد لا يتقيد بأي تعريف للسيرة الذاتية مما أثبته النقاد الذين سبقوه في كتبهم ؛ لأنه يغلق النوع من وجهة نظره.

وهذا النهج اتبعه محمد الباردي ؛ إذ يرى أنَّ تأكّد لنا إذن أنّ للسّيرة الذّاتيّة إنشائيّة عامّة ومقوّمات فنيّة مشتركة لكنّها تكتب بأشكال متعدّدة ؛ لذا يقول الباردي: ((لقد توصّلنا إلى نتيجة مفادها أن هذا التّعريف يحتاج إلى تعديل تفرضه طبيعة النّصوص العربيّة التي اعتمدناها))[٦٦].

فلا يمكن أن يتحول فن أدبي إلى ما يشبه المعادلات العلمية الصارمة التي ترفض الاختلاف والتنوع ويجب النظر إلى الإبداع الأدبي على أنه متطور غير قار[٦٧]، فيما أحجم بعضهم عن وضع تعريفٍ للسيرة الذاتية احتراساً من الوقوع بالخلط أو النقص كما أشارت إلى ذلك تهاني عبد الفتاح[٦٨] .

وظلّ النُقاد لفترة طويلة لا يجازفون في تقديم تعريف معين خشية أن يقعد هذا التعريف عن الإحاطة بجميع النصوص المنتمية للسيرة الذاتية ؛ إذ من الصعب إيجاد تعريف معين لهذا الفن نظرًا لما يثيره من إشكالات عديدة منها ما يتعلق بقربه من الفنون الأُخرى ، ومنها ما يتعلق بطبيعة العلاقة أو الصلة بينها وبين ما يعتمده النُقاد من المناهج النقدية، كالمنهج التاريخي، والمنهج النفسي فأصحاب المنهج التاريخي عدّوا السيرة الذاتية ظاهرة حضارية تنشأ وتتطور في ظروف معقدة وضمن سياق اجتماعي ثقافي ذي طابع محدد ، وهي تعتمد على الوثائق التاريخية . أما أصحاب المنهج النفسي فقد ربطوا السيرة الذاتية بطبيعة الشخصية التي تؤلفها، وركزوا على مشاكل نفسية أُخرى كقوة الذاكرة أو ضعفها مما أبعدها عن جوهرها الأدبي والفكري[٦٩] .

([٦٥]) البوح والكتابة: دراسة السيرة الذاتية في الأدب العربي، عمر حلي، منشورات مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي بكلية الآداب، جامعة ابن هر بأكادير، مطبعة دار وليلي ، مراكش، ط١ ، ١٩٩٨ : ٥

([٦٦]) عندما تتكلم الذات : ١٨٣ .

([٦٧]) ينظر السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: حدود الجنس وإشكالاته، محمد الباردي، مجلة فصول، القاهرة، المجلد ١٦، العدد ٣، لسنة ١٩٩٧ :٦٩.

([٦٨]) ينظر، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان جبرا ابراهيم جبرا احسان عباس نموذجا:١٠

([٦٩]) ينظر ، أنساق الميثاق الاطوبيوغرافي، السيرة الذاتية بالمغرب، حسن بحراوي ،مجلة آفاق المغربية، المغرب: العدد ٣-٤لسنة ١٩٨٤ :٣٩

ولكي نقول عن عمل ما سيرة ذاتية ، يجب أن يتحقق فيه شرط الصياغة الفنية ، فسيرة الحياة تلك لابد من صياغتها صياغة أدبية فنية تحتوي على لمسة جمالية وإبداعية تتحول فيها قصة حياة الفرد إلى عمل أدبي، وإلا خرجت السيرة من خانة الأدب وأصبحت سرداً تاريخياً لا أكثر، وكثيراً ما أشار النُقاد إلى هذه القضية في تعريفاتهم ووصفهم للسيرة الذاتية كأهم سمة لهذا الفن[٧٠] .

يُشير عبد العزيز شرف إلى أن السيرة الذاتية ((ليست مجرد سرد لأعمال الكاتب وآثاره ، ولكنها عمل فني ينتقي وينظم ويوازن ،على النحو الذي يصور ذلك جميعاً ، في عمل أدبي يترك أثره المنشود لدى المتلقي ،يتساوى في ذلك ما يقدمه الكاتب عن حوادث وأخبار وذكريات طفولة وشباب))[٧١] ، فالكتابة في هذا الجنس تستدعي إخضاع التجربة لعمليات تحويلية لمادتها الخام ممثلة في حوادثها المتفاعلة زماناً ومكاناً ، وفي تطوير علاقة الإنسان بالتاريخ ، وتطورها في حقل الثقافة الأدبية يتوقف على انتقالها من طور الكتابة عن التجربة إلى طور صياغتها في قالب فني مؤثر تنأى السيرة الذاتية فيه عن كونها وثيقة تاريخية فهي وليدة ((عملية الاختيار والتنظيم، من بين معطيات النظام اللغوي والنظام الأخلاقي والاجتماعي والتربوي على نحو يجعل العمل الفني يكتسب تكاملاً عضوياً شكلياً خاصاً به))[٧٢]، وحين نشترط صياغة سيرة الحياة في بناء فني ، فإننا لا نتوقع أن يكون لها بناء أو شكل فني واحد لا يُمكن تجاوزه، بل هي محاولة لتلمس الخطوط العريضة التي تجمع بين مختلف أشكال السيرة الذاتية[٧٣] .

وبذلك يشترط محمد صابر عبيد على كاتب السيرة الذاتية أن يُحشد تجارب حياته باسلوبية تضمن لعمله الفنية والإثارة ؛ إذ يقول أن السيرة الذاتية هي : ((الشكل الأهم والأخطر من شكلي السيرة، يتكفّل فيه الراوي السيرذاتي رواية أحداث حياته، ويجري التركيز فيها على المجال الذي تتميّز فيه شخصيته الحيوية، كأن يكون المجال الفني أو الاجتماعي

---

(٧٠) ينظر، فن السيرة : ٩٩، و الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:١٠ ،و أدب السيرة الذاتية :٢١، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة : ٥٤٧ ، وتمظهرات التشكيل السيرذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السيرذاتية: ١٣٥-١٣٦

(٧١) أدب السيرة الذاتية:٢١

(٧٢) أدبية النص، صلاح رزق، (د.ط)، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢ : ٢١٩.

(٧٣) ينظر ، الفنون الأدبية وأعلامها: ٥٤٧

أو السياسي أو العسكري.. إلخ، كلّما كان ذلك ضرورياً وممكناً، ويسعى في ذلك إلى انتخاب حلقات معينة مركزة من سيرة هذه الحياة، وحشدها بأسلوبية خاصة تضمن له صناعة نص سردي متكامل ذي مضمون مُقنع ومُثير ومُسلٍّ))[٧٤] لتتحول سيرة الحياة إلى عمل إبداعي ، متضمناً تجارب إنسانية غاية في الثراء والتميّز.

ونعتقد أنَّ تعريف فيليب لوجون تمكن من استكمال أهم مرتكزات النص السيرذاتي وكان أقرب إلى هذا النوع الأدبي ، وأن اجتهادات النُقاد ومحاولاتهم في تقديم تعريف واف للسيرة الذاتية جاءت انطلاقاً ممّا جاء بهِ لوجون في تعريفه لها.

وبعد الاطلاع على التعاريف السابقة التي قدمها النقاد والدارسون وفقاً لتنوع النصوص السيرذاتية ، يمكننا القول إنَّ مصدر القلق والحذر عند بعض الدارسين الذين تَهربوا من صياغة تعريف للسيرة الذاتية نابع من خشية الخلط بين السيرة الذاتية والأنواع القريبة منها ، فضلاً عن أن التعريف الواحد قد لا ينطبق على كل النصوص التي بدأ كُتّابها يبحثون عن الحداثة والتجدّد والتحرّر ما أمكن من الشروط الصارمة التي تفرضها طبيعة كتابة هذا الجنس ، ومن وجهة نظرنا فإن التعريفات الأقرب إلى جنس السيرة الذاتية ، هي تلك التعريفات التي اقتفت أثر فيليب لوجون لأنها تُوصل للحدود الإجناسية للسيرة الذاتية ، بيد أننا لا نعدّها إطاراً مغلقاً لا يقبل الإضافات للأسباب التي ذكرناها آنفا ، فليس كل نص ذي مرجعية تاريخية أو واقعية ، يصوغه كاتبه بأسلوب فني منمق عن نفسه ومجتمعه يعتبر سيرة ذاتية ، فالتأريخ نفسه يكتبه المؤرخ بأسلوب قصصي ممتع ، فكاتب السيرة الذاتية يكون غارقاً في الأنا متوغلاً في الذات ، يستقي من ينبوعه الشخصي متمثلاً بذكرياته ، يصوغها بلمسة إبداعية ذات قيمة أدبية–فنية، ولابد من التزامه بالميثاق الذي يعقده مع القارئ ، وهو شرطٌ أساسيٌ لا يمكن التغاضي عنه لتعيين النص السيرذاتي.

([٧٤]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السيرذاتية: ١٣٥

المبحث الثاني
المرتكزات السيرذاتية

يهدف هذا المبحث إلى الوقوف على التلقي النقدي العربي للمرتكزات السيرذاتية، التي تمثلت في ثلاثة مرتكزات رئيسة؛ وهي: الميثاق، والتطابق، والضمائر، وتأتي أهمية الوقوف على تلك المرتكزات من كونها شروطاً يجب أن تتوافر في العمل المنسوب إلى السيرة الذاتية، وهي شروط تأليفية كتابية إن صح الوصف، تتعلق بالعلاقة بين كاتب السيرة وقارئها، وتحديد جنس السيرة الذاتية في زخم الأنواع الأدبية النثرية الأخرى.

ويهدف هذا المبحث –أيضاً – إلى استعراض المعالجات النقدية النظرية والتطبيقية للنقاد العرب، على نحوٍ يقف على أهم محطات المعالجة لهذه المرتكزات لدى عدد من النقاد .

أولاً :الميثاق السيرذاتي :

يُعد الميثاق أحد الركائز الأساسية التي تمثل (عَقْدًا) بين كاتب السيرة الذاتية وقارئها، فهو حدٌ فاصلٌ بين الأجناس الأدبية بالنظر إلى التراكم النصي المتحقق في جنس السيرة الذاتية، والنصوص التي كُثِّف إنتاجها في الزمن الراهن بتطور هذا الجنس الأدبي ، بأشكالها المتعددة، وأساليبها المختلفة، وتنوع مستويات وعي أصحابها بالمواثيق السيرذاتية، وتحديد هوية النص السيرذاتي تتوقف على توفر الميثاق فيه ، ويعُد الميثاق السير ذاتي ((الحالة الأكثر تواترًا))[٧٥]، وفيه يتحقق التطابق بين المؤلف، والسارد، والشخصيّة، على الرغم من علمنا بما يشوب السيرة الذاتيّة من نقص، ونسيان، وإخفاء لبعض الحقائق المتعّلقة بالكاتب، فالميثاق في الرواية ((يدفع للتنامي مع تجربة خيالية ولكنه في السيرة مدفوع بفضول معرفة حقيقة ماحصل للآخرين))[٧٦]

وتقول أمل التميمي انطلاقاً مما جاء به لوجون: ((تحديد هوية النّص بأّنه سيرة ذاتية من خلال النّص ذاته، دون اللجوء إلى عوامل خارجية لإثبات هذه الهوية))[٧٧] .

وهذا الكلام يوضح أهميّة الميثاق في قضيّة التجنيس، والفصل بين السيرة الذاتيّة، وغيرها من الأجناس الأدبيّة المتماهية معها، أمّا قضية الكشف عن الميثاق وأماكن تواجده وأنواعه ،

([٧٥]) السيرة الذاتيّة الميثاق والتاريخ الأدبي ، فيليب لوجون ، ترجمة:عمر حلي،المركز الثقافي العربي، ط١ ،١٩٩٤ :٤٥ .

([٧٦]) موسوعة السرد العربي:٤١٣

([٧٧]) السيرة الّذاتية الّنسائية في الأدب العربي المعاصر، أمل الّتميمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط ١ ، ٢٠٠٥ : ٢٠٥

فقد شغلت النُقاد والدارسين ، وقد أكد حسن بحراوي على أهمية الميثاق وحدّد أنواعه، وقسمها على ثلاثة أصناف وهي:

١-**الميثاق الروائي**((وينعدم فيه التطابق بين اسم المؤلف على الغلاف واسم الشخصية في النص والإقرار بالطابع التخييلي))[٧٨]

٢- **الميثاق المرجعي:** يرى الدارسون انطلاقاً مما جاء به فيليب لوجون أنَّ الميثاق المرجعي إنما هو((التشابه مع الحقيقي والاقتراب منه إلى الدرجة التي تدني بالأطراف إلى حالة من الاتحاد))[٧٩] ويحدّد هذا الميثاق -ضمناً أو صراحةً- حقل الواقع التي تعمل السيرة الذاتية على نقله وتصويره ،كما يحدِّد درجة التشابه بين النص والواقع[٨٠] .

فالسيرة الذاتية الأدبيّة فنٌّ يتطلب ميثاقًا مرجعيّاً ((طراز الإحالة فيه يحدّد الإشارة بحضور داخليّ غالبًا))[٨١] ، ويحاول الكاتب من خلاله توخي الدقة العلمية والتاريخية ، وبهذا يكون

لدينا نوعان من الميثاق (مرجعي، سيرذاتي) يصعب التمييز بينهما لشدة ارتباطهما[٨٢] .

٣-الميثاق السيرذاتي: فهو الميثاق الذي حدّده الفرنسي فيليب لوجون وهو وعد يقطعه الكاتب، منذ البداية، على نفسه يخصّ به القارئ فحواه أنّ ما سيقوله في نصّه هو سرد لحياته الشخصية وبه أيضاً يحصل ((التأكيد على التطابق بين المؤلف والبطل والرجوع بكل شيء إلى الاسم الشخصي المكتوب على الغلاف))[٨٣] . أما أنواعه فقد فصل القول فيها مسبقا فيليب لوجون واخذ عنه نُقادنا بان الميثاق السير ذاتي إما يكون ضمنياً بوساطة مؤشرات مبثوثة بين ثنيات أو فجوات النص أو يكون إعلاناً صريحاً مبرماً بين أطراف العملية الإبداعية المتمثلة بـ(المبدع ، النص، القارئ) تجسدها المقومات النصية بفعل الكتابة[٨٤] والضمني يكون على قسمين:

---

(٧٨) سيرة الغائب ..سيرة الآتي :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين:١٥، وينظر سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات،خليل شكري هياس منشورات اتحاد الكتاب العرب،دمشق ،٢٠٠٥ : ٢١

(٧٩) زمن الرواية ، جابر عصفور ط. ١، المدى، دمشق، سوريا، ١٩٩٩ : ١٩١

(٨٠) ينظر، أنساق الميثاق الاطوبيوغرافي، السيرة الذاتية بالمغرب نموذجا: ٤٣.

(٨١) زمن الرواية: ١٩٢

(٨٢) ينظر ، سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات:٢١

(٨٣) أنساق الميثاق الأوطوبيوغرافي: السيرة الذاتية بالمغرب نموذجاً: ٤٤

(٨٤)ينظر، السيرة الذاتية- الميثاق والتاريخ الأدبي : ٤١

أ-يرجع بعض المؤلفين إلى عنوانات لا تترك شكاً في أن الضمير النحوي الوارد في النص يعود إلى المؤلف مثل (سيرتي الذاتية) (قصة حياتي) ، وعلى نحو ما نجده في سيرة أحمد أمين الذاتية (حياتي).

ب-النوع الثاني يظهر في تلك النصوص التي تجعل الراوي يتحدث إلى القارئ كما لو كان هو المؤلف نفسه حتى وإن لم يذكر اسمه وذلك على نحو يجعل القارئ يقتنع بأن ضمير المتكلم المستعمل فيها إنما يعود على الاسم الذي يحمله الغلاف (اسم المؤلف).

أما المعلن: فيتحقق عندما يتطابق اسم (السارد- الشخصية المركزية) داخل السرد مع اسم المؤلف الموجود على غلاف الكتاب(٨٥) .

إنّ الإشكالية النقدية في تحديد الميثاق السير ذاتي تجعلنا نثير سؤالاً جوهرياً، وهو كيف يمكن لمن يقرأ نصاً أن يعدهُ سيرة ذاتية؟ يمكن الاعتماد هنا على ما حدَّدهُ الفرنسي فيليب لوجون في السيرة الذاتية حين نفترض وجود تطابق بين الكاتب من جهة والسارد والشخصية المركزية من جهة أخرى وهذا يعني أنَّ "الأنا" يُحيل إلى الكاتب، ولا يتم إثبات ذلك إلا من خلال النص (٨٦) ؛ لذا نجد النقاد المهتمين بدراسة السيرة يجعلونه في مقدمة اهتمام الكاتب يقول إحسان عباس: وأوّل ما يهدف إليه كاتب السيرة الذاتية إيجاد أربطة بينه وبيننا لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله (٨٧) ، والناقد هنا يشير إلى الميثاق بلفظة (أربطة) لأنه العقد الذي يبرمه الكاتب مع القارئ، وتأتي أهمية تلك الأربطة من كونها تزيل الإبهام عن هوية النص السيري ، وتهيئ أفق القارئ في تلقيه.

ومن خلال هذا العقد ينص الكاتب على أن وقائع القص وقائع حقيقية لا تحمل محملاً تخييلياً؛ لأنها متصلة بشخصيته كأشد ما يكون الاتصال(٨٨)

---

(٨٥) ينظر ، سيرة الغائب ..سيرة الآتي :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين:١٥ ، وينظر، سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات:٢٢

(٨٦) ينظر ، السيرة الذاتية- الميثاق والتاريخ الأدبي: ٤١

(٨٧) ينظر ، فن السيرة:٩٣- ٩٤

(٨٨) ينظر ،مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، جليلة الطريطر د / ط، مؤسسة النشر الجامعي تونس،٢٠٠٤

: ١٤ ، وينظر، خصائص البناء الفني في السيرة الّذاتية، الهادي غابري ، مجلة علامات في الّنقد، العدد ٥١ مج١٣ ، ٢٠٠٤ : ٦٢٣

ولتسهيل مهمة اكتشاف الميثاق ، والتحقق من هوية النص تقترح أمل التميمي مجموعة عناصر للحكم على نص ما إنه سيرة ذاتية وتتجلى تلك العناصر بالآتي: ((

١- الدوافع المعلنة في مقدمات الكتب.

٢- ذكر الأسماء ، وتاريخ الميلاد ،والأصل ،والنسب، ومراحل التعليم.

٣- ذكر الممارسات الاجتماعية ، كالوظيفة والانتماء السياسي... الخ أو ذكر العلاقات بالشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المعروفة .

٤-الرسائل المتبادلة، والخطابات الرسمية ، والمقالات الصحفية، والأعمال الإبداعية المذكورة بالنص، ومقطوعات من يوميات أو مفكرات قديمة ، والصور الشخصية))[٨٩].

وهذا الميثاق تتوجّه من خلاله القراءة وجهة محدّدة تميّزها عن قراءة الرواية ومختلف الأجناس الأدبية الأخرى ((فما يميّز موقفنا عند قراءة سيرة ذاتية عن موقفنا عند قراءة رواية ليس كون الأولى حقيقيّة والثانية خيالية، وإنّما كون الأولى تظهر لنا في لبوس الحقيقة والثانية في لبوس الخيال))[٩٠] .

ويحذر صالح معيض الغامدي من الخلط بين الرواية وكتابة السيرة الذاتية، لتقارب الفنين من بعض، وعد هذا الخلط من أهم العوامل في تأخر النقد الفني الحقيقي للأعمال الروائية ؛ إذ يحول النقد إلى مجرد قراءة موضوعية لا تبحث عن الماهية الحقيقية للنصوص الإبداعية ؛ لذلك فإنَّ الحل لتجنب هذا الخلط هو تحقق الميثاق السيرذاتي الذي يتم الكشف عنه عند إعلان الكاتب في نصه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة أن ما يكتبه هو سيرة ذاتية، ويتخذ هذا الإعلان أو التصريح أشكالاً متعددة، مثل تطابق اسم المؤلف مع اسم البطل، ووجود كلمة (سيرة ذاتية) في العنوان أو على الغلاف، أو تصريح الكاتب في المقدمة أو في النص بأنه يكتب لسبب أو لآخر سيرته الذاتية [٩١] ، وهذا ما اتفق عليه أكثر الدارسين والمهتمين في النقد السيري، غير أن النقد انفتح على التطور الحاصل في النصوص السيرية التي ابتدع فيها الكتاب صيغاً جديدة تندرج في إطار السيرة الذاتية بمفهومها العام ، فأصبح من

([٨٩]) السيرة الّذاتية الّنسائية في الأدب العربي المعاصر: ٢٠٩

([٩٠]) السيرة الذاتية، جورج ماي، تعريب : محمد القاضي وعبد الله صولة، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات (بيت الحكمة)، تونس، ط١ : ١٩٢.

([٩١]) ينظر كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية: ١٢٧

الصعب أن تجد ((شكلاً معيناً يستوعب (أو يحدّد) صياغة السير وبنائها ، لكن مرتكزاتها الأساسية تظلّ متبلورة في كونها ميثاقاً بين القارئ الاحتمالي والكاتب ، وفي التشديد على فعل كتابتها ذاته ، وعلى إفادتها من الوقائع الماضية لصياغتها برؤية فردية هي حصيلة المعاشرة الظاهراتية للعالم ، و إسقاط الشعور والوعي على أحداثه وأشيائه وإعادة تقديمها عبر كشف ذاتي خالص))[٩٢] .

لذلك يؤكد الناقد محمد صابر على ضرورة اجتراح أسلوب مختلف في القراءة، قمين بمراعاة فرادة النصوص التي يقرأُها واشتراطاتها الخاصة[٩٣]، إذ من شأن هذا الوعي النقدي أن يفرق بين طبيعة الميثاق السيرذاتي في الأعمال التراثية ومستوى اختلافه عن المواثيق الحديثة .

وتوضح دراسة الناقد لنصوص محمد القيسي المعنونة (أباريق البلور) طبيعة تلك الحداثة في الكتابة السيرذاتية ومواثيقها ، إذ كتب المبدع باقة ملونة ومتنوعة من الكتابة السيرية ابتدع فيها صيغاً جديدة تندرج في إطار السيرة الذاتية بمفهومها العام ،لكنها لا تلتزم بالحدود الميثاقية الصارمة للنوع كما اقرها لوجون ، كشفت عن طاقاته الإبداعية التي عرفت بالتنوع والتعدد في مجال الكتابة السيرذاتية[٩٤] ، وعلى الرغم من التنوع النصي الذي تتسم به نصوص الكاتب فضلاً عن تنوع دلالات العبارات العنوانية لتلك النصوص وتكررها على الغلاف الخارجي فمرة (سيرة–سيرة)، ومرة (يوميات صحراوية)، ومرة (نصوص في السيرة) ، فقد لاحظ الناقد نظراً لخبرته النقدية في المجال السيري بأن القيسي في كتابة نصوصه اعتمد الانتقاء من كتابات ذاتية له منشورة ، تمكن من جمعها وتبويبها بوعي وقصدية نوعية من دون الالتزام بالشروط التقليدية لكتابة السيرة الذاتية[٩٥] .

إن الكاتب يتعمد إخفاء الميثاق بهدف خلق مسافة بينه وبين السارد على النحو الذي يوفّر له حرية كبيرة في التصرّف بالوقائع السيرذاتية، عبر استخدام آليّات كتابة متنوّعة

([٩٢]) الصخرة والهاوية، حاتم الصكر مجلة راية مؤتة ،عمان ،العدد٢، ١٩٩٣ :١٢٥

([٩٣]) ينظر، بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا –من السيرة إلى التجربة الأدبية، محمد صابر عبيد،عالم الكتب الحديث ،أربد–الأردن،ط١ ، ٢٠١٣ :١٣٧

([٩٤]) ينظر، بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا –من السيرة إلى التجربة الأدبية :١٦٣

([٩٥]) ينظر، بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا –من السيرة إلى التجربة الأدبية:١٦٦

تسجل تجاربه الشخصية. وهذا المسلك هو الذي تحقق في نصوص محمد شكري كـ (الخبز الحافي) و(زمن الأخطاء) و(وجوه)، حيث جرب استراتيجية المعيش ثم تمرد عليها بكتابة ملتبسة يراهن من خلالها على ابتداع اللغة التي تسعفه على تشخيص تجاربه الشخصية واكتشاف مجاهيل ذاته ومعاودة النظر في الذكريات المسترجعة ، وهذا ما لاحظه الناقد المغربي محمد الداهي في دراسته لهذين النصين مما ينم عن قراءته الواعية[٩٦]

وثمة أمور شديدة الصلة بالميثاق السيرذاتي عمل الدارسون على ربطها بالميثاق لتأكيد تواجده في النص ، ومن ثمَّ تأكيد سيرذاتية ذلك النص ، أهمها:

-الصدق والصراحة.

-مقصدية الكاتب.

-العتبات النصية.

- النص الملحق.

ففي الربط بين مبدأي الصدق والصراحة وبين الميثاق السيرذاتي الذي يبرمه الكاتب مع القارئ ، نجد إتباع النقاد العرب للوجون بشكل واضح في ذلك ؛ إذ يقول: ((يكون الميثاق المرجعي، متماديًا على ميثاق السيرة الذاتية بحيث يصعب الفصل بينهما، تمامًا، مثل ذات التلفظ وذات الملفوظ بضمير المتكلم .ولن تبقى الصيغة على الشكل الآتي : "أنا الموقع أدناه"، بل ستصبح" :أقسم بأن أقول الحقيقة، كل الحقيقة، ولا شيء غير الحقيقة ." وقلما يأخذ القسم شكلاً فظًا وشاملاً كهذا، إنها شهادة إضافية على الصدق))[٩٧]، فقد أراد لوجون إثبات مدى تمكن عنصري الصدق والصراحة في المكونات الفكرية للفعل الأدبي السير ذاتي، فهما معلمان من معالم ميثاق السيرة الذاتية، مع ما يلحق بها من النسيان والتناسي والتخييل ، شرط أن لا يخرج بها ذلك عن مسارها المحدد في سرد وقائع حقيقية من حياة المحكي عنه.

([٩٦]) ينظر ، الحقيقة الملتبسة قراءة في اشكال الكتابة عن الذات ، محمد الداهي، شركة النشر والتوزيع المدارس، تونس،ط ١، ٢٠٠٧ : ١١٣

([٩٧]) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي:٥٣

والصدق المقصود هنا ليس الدقة المتناهية إنما هو النسبة الصادقة حيث يحترم الكاتب رسالته التي هي (سيرة حياته الشخصية) التي يريد إيصالها إلى القارئ[٩٨].

فالصدق لا يمكن أن يكون صدقاً محضاً ولكنه صدق نسبي حسبما يرى إحسان عباس[٩٩]، ويحيى إبراهيم عبد الدايم[١٠٠]، ويرى ماهر حسن فهمي أن فكرة التعري الخالص بعيدة بعد ((عالم المثل)) فالذاكرة لا تنسى فقط ولكنها قد تخدع أيضاً ، فتخلط الأسماء والأزمان والأماكن ، فهناك أيضاً نسيان مقصود ، يهرب به صاحبه من الصفحات السوداء في سجل حياته[١٠١] .

وقد تكون الذاكرة عاجزة أحياناً عن استعادة الأحداث من الماضي كما كانت وقت حدوثها بفعل النسيان أو التناسي، فإن الأحداث تصبح مبتورة ، وهنا يتدخل الخيال ليملأ ((فراغات الأحداث التي يتذكرها المؤلف خاصّة البعيدة زمنيًّا كأيّام الطفولة))[١٠٢] ، ليعيد تأثيثها ، ويرّتق ما تركته الذاكرة ممزّقًا[١٠٣].

يرى الدكتور فاضل عبود التميمي أن مسألة تحقق الصدق نسبيًّا عائدة إلى الطبيعة الكتابية للسيرة الذاتية، فـ ((السيرة بوصفها نوعاً أدبيّاً سرديّاً لابد أن تستجيب لشروط الكتابة الأدبيّة التي يكتمل بناؤها في حاضنة (التخيّل) الذي يسهم في تنظيم درجات التميّز الإبداعي التي عادة ما تُشير إلى وجود عمليّة معقّدة تستأثر بها عدّة عوامل نفسيّة، وحياتيّة تتداخل معها مولّدات، ومنبهات تسهم جميعا في صناعة الخطاب، وتبيّن مضامينه وهو غير بعيد عن الاستعمالات المجازيّة، وطرائق استعمال الخيال))[١٠٤].

---

(٩٨) ينظر، أدب السيرة الذاتية في فرنسا: المفاهيم والتصورات، فيليب لوجون، ترجمة: ضحى شبيحة، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العدد ٤ لسنة ١٩٨٤ :٦١

(٩٩) ينظر فن السيرة :١٠٥.

(١٠٠) ينظر الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٤٦٥

(١٠١) ينظر ، السيرة تاريخ وفن، ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٧٠ :٢٤٠

(١٠٢) دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة، عبد الرحيم رائد مصطفى المنارة للبحوث والدراسات، مجلة علميّة متخصصة، مج ١٠ ، عدد (٥)، كانون أول، ٢٠٠٤ : ٣٢٦.

(١٠٣) ينظر، حركة السرد الروائي ومناخاته في استراتيجيات التشكيل، كمال الرياحي ط. ١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٨٣: ١٥٠ .

(١٠٤) من الذات إلى الحياة قراءة في "فصول ذاتية من سيرة غير ذاتية" لعلي جواد الطاهر، فاضل عبود التميمي، مجلة الأقلام،العدد ١ السنة ٥١، كانون الثاني–آذار، ٢٠١٦: ١٤٧ .

وإذا تأملنا رؤية النُقاد حول تلك القضية فإنَّنا سنعي حقيقة أن الصدق في السيرة الذاتية هو صدق فني وليس صدق واقعي ، وثمة فرق بين الإثنين فالصدق الواقعي ينتمي إلى عالم الواقع ، في حين أن الصدق الفني ينتمي إلى فنية النص وإلى عالم جديد يُعاد إنتاجه وفقاً لما يُحقق انتماء النص إلى عالم الأدب ، ثمَّ أن كاتب السيرة لايبوح بكل تفاصيل حياته ؛ لأنهُ يرغب بالتقرب إلى نفس القارئ ليأخذ مكانة مرموقة عنده ؛ لذا فإنه يسعى لتقديم ما يُجمل صورته أمام ذلك القارئ ، وقد يغفل عن الأمور التي قد تُشعره بالخجل، والتي تتمثل بالمحظورات والممنوعات في مجتمعه، أو يخفف من حدّتها ، وقد تؤثر مجريات الحياة السياسية على درجه الصدق في كتابة السيرة ، كأن يخشى الكاتب من ذكر بعض الأشخاص الذين أثروا في حياته، إما خوفًا منهم، وإما لعدم رغبتهم في أن تذكر أسمائهم، لكنه لابد من أن يُقدم إشارات أو إلماحات ذات مرجعية سيرية وتاريخية تُثبت للقارئ توافر الميثاق الذي عقده معه بأن مايكتبهُ سيرة ذاتية.

استطاعت الدراسات الحديثة في مجال النقد السيرذاتي أن تثبت اندراج بعض النصوص الحديثة ضمن إطار السيرة الذاتية ، وترصد مواثيقها التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقصدية الكاتب وجرأته وبروز الأنا السيرذاتية بشكل طاغ وفي أماكن عدة من السيرة ، محققة في أسلوبيتها أهم خصائص هذا الجنس وميزاته الفنية الكتابية[١٠٥].

أما طريقة تحديد تلك المقصدية فيكون ((من خلال العثور على أي عبارة أو مقطع في النص يصرح فيه الكاتب لقارئه بأنه يقوم –لسبب أو لأخر – بكتابة قصة حياته ، وبذلك يتأكد عقد السيرة الذاتية))[١٠٦]

ولأنَّ العتبات من المناطق الحساسة في النصوص الإبداعية ، فقد حظيت بأهمية خاصة من لدن المتلقين وناقشها الباحثون في مجال السيرة بشكل مستفيض لأنَّهُ موضوع حيوي في السيرة الذاتية ، فقد أدركوا أهميتها بوصفها تمثل أنظمة إشارية ومعرفية لا تقل أهمية عن المتن الذي يليها ، فضلاً عن أنها تلعب دورا مهماً في نوعية القراءة

---

(١٠٥) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الأدبي –دراسة موسوعية–، محمد صابر عبيد،دار لبنان ناشرون، بيروت،٢٠١٢–: ٥٦٦ ، (مثال ذلك قراءة الناقد لنص (أية حياة هي) للكاتب عبد الرحمن الربيعي): ٥٦٨

(١٠٦) السيرة الّذاتية الّنسائية في الأدب العربي المعاصر : ٢٠٦ ، و كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية : ١٩

وتوجيهها[١٠٧] ، وهي عناصر ضرورية ((في تشكيل الدلالة وتفكيك الدوال الرمزية، وإيضاح الخارج قصد إضاءة الداخل))[١٠٨] .

ومن الملاحظ أن النقد السيرذاتي يجعل مهمة العتبات تتركز في أمور رئيسة تتمثل بتحديد هوية النص ، وتحديد مضمون النص والتأثير بالقارئ ، وقد أخذ النقاد عن جينيت اهتمامه بالعتبات النصية وهو ما اسماه بـ(الموجهات النصية) التي حدَّدّ وظائفها بالآتي[١٠٩] :

١-تحديد هوية النص.

٢-الوظيفة الوصفية: هي وصف النص بإحدى خصائصه الموضوعية أو الشكلية.

٣-الوظيفة الدلالية الضمنية أو المصاحبة (الإيحائية).

٤-الوظيفة الإغرائية.

ويرى عبد القادر الشاوي أن العتبات النصية تعُد سجلات جديرة بالاعتبار تُشير إلى هوية النص وتشمل تلك العتبات ((المقدمات والمداخل التي تحف بالنص ،أو حوارات ثقافية يرد فيها ما يحيل على النص السيرذاتي ، أو ميثاق إحالي معلن قد نعثر عليه في النص))[١١٠] ، وتحظى بقيمة أكبر في فن السيرة خاصة ، لأنها تسهم في رسم صورة السيرة الذاتية ، وتحديد منطلقاتها وتكريس دلالة الميثاق فيها ، بما يجعلها أكثر حيوية ودفقا وانتماءً إلى اللحظات الثرية والخصبة في حياة صاحب السيرة[١١١] إذ أنها تحمل شحنات دلالية تمكن القارئ من الولوج في عالم النص ، والاستدلال على هويته[١١٢]، وتلك الدلالات

([١٠٧]) ينظر ، مدخل إلى عتبات النص: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، عبد الرزاق بلال، تقديم : إدريس نقوري، دار أفريقيا الشرق، المغرب ، ٢٠٠٠ :١٦

([١٠٨]) السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٥، العدد٣، لسنة ١٩٩٧ :١٠٠

([١٠٩]) ينظر، شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، د.محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٨، العدد ١ لسنة ١٩٩٩ : ٤٥٩ – ٤٦٠ ، و سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات: ٢٦

([١١٠]) الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب، عبد القادر الشاوي، أفريقيا الشرق للنشر، المغرب،٢٠٠٠ :٢٩

([١١١]) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الأدبي-دراسة موسوعية-:٥٦٤

(١١٢) ينظر، البوح والترميز القهري :٥٥.

المركزية المنبثقة من النص كالدلالة المعجمية والواقعية والزمنية ، تجعل منها مفاتيح إجرائية تهيئ الدخول إلى عالم النص وكشف أسراره[١١٣].

ويبدو أن ثمة دافعاً نفسياً وراء وعي النقاد بأهمية الميثاق حسب ما يرى عبد الفتاح كيليطو[١١٤]، فالسيرة خطاب له مرجعياته الواقعية والتاريخية، وهذا يجعلها تقع في منطقة مغايرة لأشكال التعبير السردي ، فهي من الفنون الأدبية ذات الخصوصية في مسألة العلاقة بين المؤلف والقارئ لأنها تبني جسوراً من الثقة بين الإثنين ، وتلك الثقة لابد من تعزيزها بالميثاق الذي يحدد نوع المقروء ومضمونه.

وتُعَدُّ مصادر الكاتب الأخرى من شعر وروايات وقصص وأعمال نقدية وحوارات التي يذكرها في نصه السيرذاتي فيما يسمى بـ(النص الملحق) إحدى العلامات المهمة في معرفة صحة ما يرويه في نصه ، والمعززة للميثاق السيرذاتي ، وبحسب رأي لوجون إنَّ (النص الملحق) والتطابق والميثاق ، هي طرائق تتم بموجبها تحديد النص السيرذاتي ، فضلاً عن كونه وسيلة في معرفة مدى تحقق الصدق في السيرة الذاتية[١١٥].

وعلى الرغم مما نادت به المناهج النقدية الحديثة من إقصاء كل علاقة بين النص والعوامل الخارجية التي تتعلق بحياة المؤلف ، مستبعدين بذلك المنحنيين النفسي والتاريخي في التحليل ، فإننا نؤيد ما جاء في قول عبد السلام المسدي بأن السيرة الذاتية حصيلة امتزاج بين التدوين التاريخي والصياغة الفنية[١١٦] ، وبهذا يمكن الرجوع إلى عوامل خارج النص لتأكيد مرجعيته وعائديته على قائله.

يمكن أن نستخلص من تلك الآراء النقدية أن الميثاق السيرذاتي هو البوصلة التي تحدد هوية النص وتكشف عن مرجعيته الواقعية ، وأنَّ أوضح المواثيق هو أن يجنس الكاتب عمله بشكل صريح بكتابة (سيرة ذاتية) على الغلاف الخارجي ، ومع تعدد الأشكال الأسلوبية والاستراتيجيات السردية للنصوص والتي تعكس رغبة الكتّاب بالتفرد والتميز من

---

(١١٣) ينظر، بلاغة الخطاب وعلم النص، د.صلاح فضل، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، ط١، القاهرة، ١٩٩٢: ٣٠٣

(٣) ينظر، الحكاية والتأويل، دراسة في السرد العربي : ٧٩.

(٤) ينظر، أدب السيرة الذاتية في فرنسا المفاهيم والتصورات:٢٩-٣٠ ، وسيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات: ٥٨

(١١٦) ينظر، النقد والحداثة :١١٦

خلال ابتداع صيغ جديدة في كتابة سيرهم الذاتية ، يصبح من اللازم والبديهي أن يبحث النقد عن الجديد أيضاً من الأدوات والآليات التي تمكنه من فهم المشاريع السيرذاتية المتحققة ، وتحديد مواثيقها ، لتجنب مآزق القراءة والخلط بين النصوص والأنواع الأدبية الأخرى ذات العائلة الإجناسية الواحدة* ، التي تختص بالكتابة عن الذات في أشكالها المتنوعة.

ثانياً : التطابق:

إنّ تطابق الأنوات الثلاثة (أنا الكاتب/ أنا السارد / أنا الشخصية المركزية) هو أحد أهم الشروط التي يجب تحققها في النص السيرذاتي ، ويعرف لوجون التطابق بقوله: ((التطابق ليس هو التشابه، فالتطابق فعلٌ مدرَك بشكلٍ مباشر – مقبول أو مرفوض– على مستوى التلفُّظ. والتشابه علاقة، موضوع للمناقشات والفروق غير المحدودة المقامة انطلاقًا من الملفوظ))[١١٧]، ويرى أنه يتحدد في ضوء ثلاثة مصطلحات أساسية هي : (المؤلف/ السارد/ الشخصية الرئيسة). وحدَّد لوجون الحالات التي يُمكن أن تتخذها العلاقات بين الأطراف السردية المؤلف/ والسارد/ والشخصية في الأعمال التي تروي سيرة متخيلة لشخصية متخيلة ، والاعمال التي تروي سيرة حقيقية لشخصية حقيقية، والتي قد تختلط على القارئ فلا يميز بين سرد متخيل وسرد حقيقي ولاسيما في تلك الحكايات التي تعتمد (ضمير المتكلم) في رواية الأحداث** ، فضلاً عن ضرورة التفريق في (المشابهة) و (المطابقة) ، وقام لطيف زيتوني بإعادة صياغة تلك العلاقات ، فالعلاقة بين تلك الاطراف الساردة في الحكاية الذاتية تختلف عنها في السيرة الذاتية ، فالأولى أي الحكاية الذاتية: (تتميز بالتطابق بين الراوي والشخصية دون المؤلف) أمّا السيرة الذاتية: فـ(تتميز بالتطابق بين المؤلف والراوي والشخصية)، فأصل الاختلاف عائد إلى موقع المؤلف من المحكي ؛ إذ ينفصل الراوي عن الكاتب في النصوص المتخيلة التي تحبك أحداثها انطلاقاً من الشخصية الرئيسة مشكلة سيرة لهذه الشخصية ، فالراوي يروي أحداثا لم يشهدها الكاتب ، ولايعود للكاتب الحق بروايتها لأنه حينئذ سيكون كاذباً ، فتروي الحدث شخصية خيالية هي الراوي ، وأبرز مثال لهذا الإنفصال هو تعدد الرواة بينما الكاتب واحد وهو مايحصل في الروايات .أما في

---

* (مثل اليوميات والمذكرات ، والرسائل والشهادات ، والمذكرات، والمحاورات)

([١١٧]) السيرة الذاتيّة الميثاق والتاريخ الأدبي:٥١

* *وهذا ما سنوضحه في موضوع الضمائر من هذا الفصل.ينظر ، البحث:٤٧-٥١

الحكاية الحقيقية أي السيرة الذاتية فالراوي /الكاتب هو الذي يروي الأحداث التي شهدها هو أو سمع عنها ، وهو الذي يروي سيرة حياته التي عاشها أو كما يراها في زمن الكتابة ، ففي الحالين نحن أمام راو حقيقي لا وهمي لأنَّ الحوادث التي يرويها هي حوادث حقيقية[١١٨] .

والتطابق يثير قضيتين هما : تحقق التطابق بوصفه أحد الشروط لتحقق الكتابة السيرذاتية، واشكالية الضمائر التي يوظفها الكتّاب في كتاباتهم السيرذاتية ، واختلاف النقاد في نوع الضمير المستخدم في هذا النوع من الكتابات وتأثير ذلك في تحقيق التطابق.

وهناك قضية أهم من الضمير في إثبات التطابق من عدمه في السيرة الذاتية ، وهي اسم المؤلف على الغلاف الخارجي ؛ إذ إنه ((الاسم الوحيد الذي يتم إعلانه من أجل تحقيق ذات المؤلف وإثباتها، وبذلك لا يحل إشكالية تطابق المؤلف مع الشخصية الرئيسة إلا عبر توظيف هذا العنصر، أي عبر التوقيع وإثبات الاسم الذي اعتاد المؤلف وضعه فوق غلاف الكتاب مؤشراً على حضوره التام ، فهو العلامة الوحيدة في النص (خارج–نص) لا ريب فيه، تُحيل إلى شخص واقعي يطلب بهذه الطريقة أن تنسب إليه في آخر المطاف مسؤولية تلفظ النص المكتوب برمته. إن اسم العلم علامة دالة وهو الإشارة الوحيدة إلى وجود المؤلف... داخل النص))[١١٩]. ولحسن بحراوي رأي في ذلك، فإذا لم يتطابق الاسم المثبت على الغلاف وهو اسم المؤلف مع اسم البطل يصبح النص أقرب إلى التخييل الروائي منه إلى السيرة الذاتية ، أما إذا تحقق هذا التطابق بين الاسمين فهو ميثاق مبرم مع القارئ أنَّ النص سيرة ذاتية ، أمّا إذا حاول الكاتب التمويه بعدم تسمية البطل ، فإن القارئ يقع في لبس بين اعتبار النص سيرة ذاتية أو رواية[١٢٠].

إنّ ثمة فائدة فنية من ضوابط التطابق ، تتمثل في أننا من خلالها يمكننا التمييز بين (السيرة الذاتية) و (رواية السيرة الذاتية)، يقول لوجون: ((لقد دفعتني ملاحظاتي حول التطابق إلى تمييز "رواية السيرة الذاتية" عن "السيرة الذاتية" بالخصوص، أما بالنسبة للتشابه فإن ما سيكون من الواجب تحديده هو التعارض مع السيرة، زد على ذلك أن مصدر الخطأ

---

(١١٨) ينظر ، السيرة بوصفها شكلًا سرديًّا، د. لطيف زيتوني، ملتقى السرد، أوراق مختارة من ملتقى السرد، رابطة الكُتّاب الأردنيين، ط١، ٢٠١١م :٢١٩– ٢٢٧ .

(١١٩) مفهوم الرواية السيرية، عمر الطالب ، مجلة صوت ، نينوى ،العدد١ لسنة١٩٩٧ :١٨

(١٢٠)ينظر ، أنساق الميثاق الأوطوبيوغرافي: السيرة الذاتية بالمغرب نموذجاً: ٤٢.

في كلتا الحالتين هو المصطلح، فمصطلح "رواية السيرة الذاتية" قريب جدًّا من مصطلح "السيرة الذاتية"، وهذا الأخير قريب جدًّا من كلمة "السيرة" مما يسمح بالخلط))[١٢١].

فلوجون في هذا النص يُنبه على قضية مهمة جدًّا، وهي أن خلطًا نقدياً يحدث بين النوعين، فكثيرًا من الكُتّاب العرب حاولوا التخفي وراء الرواية واتخذوا منها وسيلة لتقديم جوانب من تجاربهم الشخصية من خلال عالمهم الروائي لذلك فأعمالهم تنتمي إلى السيرة الذاتية الروائية أكثر من انتمائها إلى السيرة الذاتية[١٢٢].

وقد يتساءل سائل هنا، هل يمكن أن يكون هذا التطابق المشروط في تعيين النص السيرذاتي تطابقاً تاماً بين الذي عاش الحدث في الماضي ومن يتكلم عنه في الحاضر؟ مؤكداً يكون الجواب لا على الأقل من وجهة نظرنا ؛ لأنه مع مرور الزمن تختلف أفكار الشخص وآراؤه فيما عاشه وشاهده في الماضي ، وهذا أيضاً يرتبط بقضية الصدق كما أسلفنا في مواضع سابقة من هذا البحث[١٢٣] ، وقد أكد النقد السيرذاتي الغربي ولاسيما جيرار جينيت على قضية المسافة الفاصلة بين (أنا الساردة) و(أنا المسرودة)[١٢٤] ، وتنبه النقاد العرب إلى تلك القضية في تطبيقاتهم على النصوص[١٢٥] ، تؤكد هذا دراسة الدكتور خليل شكري التي أجراها على سيرة جبرا الذاتية ؛ إذ يرى إنه على الرغم من توظيف الكاتب لضمير المتكلم في سرد الأحداث وتطابق الاسم بين المؤلف والبطل(جبرا)، ((إلا أنه لا يستطيع خلق التطابق التام بين السارد (جبرا) وبين البطل (الشخصية المركزية) هو الطفل الصغير في (البئر الأولى) والشاب المتطلع إلى تحقيق ذاته في (شارع الأميرات).))[١٢٦] ،

([١٢١]) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي: ٥٢ .

([١٢٢]) ينظر ، السيرة الذاتية: العربية: تاريخ وثقافة : ١٥٥

([١٢٣]) ينظر ، ما تقدم من البحث : ٣٨-٣٩ .

([١٢٤]) ينظر، نظرية السرد من وجهة نظر التبئير ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ، المغرب ،ط١ ،١٩٨٩: ٧٦ ،و خطاب الحكاية بحث في المنهج ،جيرار جينيت ، ترجمة: محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدي ، وعمر حلي ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٧: ٢٦٢

([١٢٥]) ينظر، سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين:١٢ -١٣، و السيرة الذاتية في الادب العربي الحديث ، حدود الجنس واشكالياته ، محمد الباردي ، مجلة الفصول ،مجلد١٦،العدد٣، ١٩٩٧: ٧١-٧٢ ، التشكيل السيرذاتي، التجربة والكتابة محمد صابر عبيد، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ٢٠١٢م:٧٠

([١٢٦]) سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات:١٧-١٨

فالشخص في الطفولة تختلف نظرته إلى الأشياء والحياة وتختلف أفكاره عن فترة النضوج وفترة الكهولة، فالذي يعيش الحدث جبرا الطفل والذي يسرده جبرا الرجل الناضج – الكهل.

ونعتقد أن ماتحدث عنه خليل شكري في هذا الجانب مهم جداً ، وعلى المشتغلين في حقل السيرة الذاتية التركيز عليه ، فكتّاب السيرة الذاتية يتحدثون في سيرهم عن مرحلة مهمة جداً في تكوينهم الاجتماعي والنفسي والثقافي وهي مرحلة الطفولة ، وهنا تبرز إشكالية تتمثل بالسؤال الآتي : كيف سيتناول الرجل الناضج أو الكهل طفولته؟ هل يسردها في لحظة الكتابة كما عاشها في مرحلة الطفولة؟ والجواب هنا حتماً سينفي حدوث التطابق التام بين سرد الأحداث في لحظة الكتابة والمرحلة التي عاشها الطفل خارج النص ، فالطفل يصف الحدث بعينٍ فوتوغرافية غير موجّهة تُحفظ في متحف الذاكرة ، لكن الراوي (الكهل) يقوم بنوعٍ من الاغتصاب لرواية الطفل ، ويُسقط عليها آليات الوعي والتجربة ، فتخضع لنوعٍ من التوجيه والتصرّف وإعادة الإنتاج كي تنتظم في سياق منهج الكتابة ، وهنا تحصل الخيانة الضروريّة لأصل الحكاية.

إن ما يمكن قوله في ختام الحديث عن التطابق هو تركيز الدارسين على حالة التطابق بين أنا المؤلف من خلال الاسم المثبت على لوحة الغلاف وبين أنا السارد المفوض من قبل المؤلف بإدارة دفة السرد وبين أنا الشخصية المركزية فيتم التحقق من هويته عن طريق الميثاق السيرذاتي بأنواعه المختلفة ، وللاستدلال على تحقق هذا التطابق فقد كثفوا التركيز على هوية الشخصية المروي عنها و على الأنا الذي يظهر قدراً عالياً من التطابق بين المؤلف والراوي والشخصية على صعيد الاسم المروي عنه داخل النص ، والذي يفترض أن يكون هو نفسه اسم المؤلف على الغلاف الخارجي .

وفي الحقيقة أن هناك ثلاث قضايا مرتبطة مع بعضها في السيرة الذاتية ارتباطاً وثيقاً ، فقضية تحقق الميثاق السيرذاتي مرتبطة بقضية التحقق من الصدق في النص ومن ثم تحقق عنصر التطابق.

ومن الجدير بالذكر أن للنقد السيرذاتي الغربي[١٢٧] الأثر الواضح في مفهوم التطابق عند النقاد العرب الذين لم نجد لهم أي إضافة في هذا الجانب ، وما قدموه هو مجرد إعادة صياغة للمفاهيم التي أقرها النقد الغربي.

وهو ما تحدث عنه لوجون في موضوع التطابق من كتابه السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي .

ثالثاً : الضمائر:

تُعد الضمائر[١٢٨] أحد المرتكزات السير ذاتية التي يُتوقَّفُ أمامها لبيان تأثيرها في النص السيرذاتي ؛ لذا فمن الضروري هنا معاينة اشتراطات النُقاد وآرائهم بشأن نوع الضمير المستعمل ، وأثره في تحديد هوية النص السيرذاتي ، لما له من خصوصية بوصفه يمثل الظاهرة الأسلوبية المهيمنة في مثل هذا النوع من الأدب ؛ لأنَّه يُحيل على الذات مباشرة ، ويُقلِّل المسافة الفاصلة بين السارد والشخصية المركزية [١٢٩] ولا تختلف السيرة الذاتية بوصفها نصاً حكائياً عن غيرها من الأنواع الأدبية في تعددية استعمال الضمائر في السرد ، فقد تروى بضمير المتكلم المفرد ، أو أن الراوي يتوجه بالخطاب إلى ضمير المخاطب المفرد ، أو أن يتحدث عن البطل متوسلاً بضمير الغائب المفرد[١٣٠].

إلا أن السرد بضمير المتكلم يُشير إلى أن الشخصية الكاتبة هي صانعة الحدث ، وليست مجرد راوٍ له ، ومن ثم فهي أمينة على مصداقية الأحداث ، وليس فقط على نقل الأحداث؛ فموقع الراوي يختلف في الخطابات السردية ، وبناءً عليه تختلف مصداقية المعلومة التي ينقلها للقارئ ؛ لذلك نجد أكثر الدارسين العرب يتفقون مع منظري السيرة الذاتية الغربيين في أن ضمير المتكلم أقرب إلى النوع السيرذاتي ، بل وله حساسية كتابية خاصة ، فهو يعمل على تماهي السارد مع البطل ويقلِّل المسافة بين الشخصية المركزية

---

(١٢٧) ينظر، النقد والأدب، جان ستاوبنسكي، ترجمة: د. بدر الدين قاسم، مراجعة: أنطوان مقدسي، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦: ٧٩ ، و نظرية السرد من وجهة نظر التبئير: ٧٦ ، و السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي:٥١، ٥٨ ، و خطاب الحكاية بحث في المنهج: ٢٦٢.

(١٢٨) إن الضمائر هي نقاط الارتكاز الأولى لوضع الذاتية في اللغة. وتتبعها أنواع أخرى من الأسماء المعوضة (كاسم الإشارة والاسم الموصول ، تشاطرها المنزلة ذاتها .ينظر ،عن الذاتية في اللغة إميل بنفنيست، ترجمة :صابر الحباشة ،مجلة الاقلام–العدد الثاني–٢٠١٠ : ٣

(١٢٩) ينظر، نظرية السرد من وجهة نظر التبئير:٦٧، و خطاب الحكاية بحث في المنهج:٢٠٨

(١٣٠) ينظر ، سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين:١٢

والمؤلف وهو أقرب إلى الذات[١٣١] ، كما أنّه يقرب بين الشخصية والقارئ ، ويصبح السرد بهذا الضمير وسيلة لتخييل صوت الكاتب مما يوحي بحقيقة وقوع الحكاية المسرودة[١٣٢].

ولقد تطرقنا في موضوع التطابق إلى أن النُقاد متفقون مع ما أقره جيرار جينيت بأن التطابق التام بين الواقع والوقائع السيرذاتية أمر غير متحقق كليّاً ، وهذا يعني أن استعمال ضمير المتكلم في النص ((لا ينبغي أن يحجب الاختلاف في الوظيفة ، والاختلاف... في الخبر. إن السارد يكاد دائماً يعلم أكثر من البطل حتى ولو كان هو البطل))[١٣٣].

ثمة نقطة غاية في الأهمية يجب التوقف أمامها، وهي إجابة السؤال الذي مؤداه: هل يمكن كتابة سيرة ذاتية بغير ضمير المتكلم؟

على الرغم من تأكيد الدارسين على خصوصية ضمير المتكلم في النصوص السيرذاتية إلا أنهم لم يعارضوا التخفف منه ، بل بعضهم من شجع على هذا التخفف لأنّ استبعاده يعمل على إغراء القارئ ودفعه إلى فهم مقصدية الكاتب ، وأن الالتزام بضمير المتكلم في النص السيرذاتي بوصفه الأقرب إلى الذات ، هي فرضية ساذجة بالرغم من فائدتها إجرائياً [١٣٤]، الابتعاد عن ضمير المتكلم في السرد السيري هو تحقيق للمصداقية ، وتقمص الشخص الذي كانت هيأة كاتب السيرة عليه قبل كتابتها[١٣٥]، فلا يمكن اعتماده معياراً للتمييز بين نص وآخر وفن وآخر وقد أكد بنفست أن الضمير النحوي ((سواء أكان متكلماً أم مخاطباً أم غائباً ليس له من مفهوم خارج وظيفته الإحالية وأنه بالنتيجة لا يمكنه أن يقوم بوصفه معياراً خلافياً للتمييز بين مبنى أدبي وآخر))[١٣٦] ؛ لذلك لن نستطيع إثبات التطابق بفحص الضمير النحوي فقط.

ويُصرح الدكتور محمد صابر عبيد وهو يرسم حدود هذا الفن ويضع له تعريفاً، بعدم اشتراطه على كاتب السيرة الذاتية اعتماد ضمير المتكلم ، بشرط أن لا يكون ذلك هدفاً

---

(١٣١) ينظر ، نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير: ٦٧، وينظر ، خطاب الحكاية بحث في المنهج: ٢٠٨

(١٣٢) ينظر ، بعض ملامح الأنا_ الراوية والمروية في الخطاب الروائي المعاصر: إدوار الخراط نموذجاً، مجلة فصول، المجلد ١٦، العدد لسنة ١٩٩٨: ٢١٢.

(١٣٣) خطاب الحكاية بحث في المنهج: ٢٠٥

(١٣٤) ينظر، سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين:١٠٠

(١٣٥) البوح والترميز القهري:١٧٧

(١٣٦) أنساق الميثاق الأوطوبيوغرافي: السيرة الذاتية بالمغرب نموذجاً: ٤١

للتمويه، وأن تتضح معالم الميثاق السيرذاتي أمام المتلقي[١٣٧] .

ولاحظ النُقاد الموقف المتبدل لفليب لوجون ، فبعد أن وضع السرد بضمير المتكلم شرطا في تعريفه للسيرة الذاتية تراجع بعد ذلك فعدَّ السرد بضمير المتكلم على أنه سرد ضمني لايُشترط فيه الضمير النحوي[١٣٨]

إن الضمير الغائب وإن أُعتمِد في كتابات سيرذاتية إلا أنه ليس أكثر قرباً من النفس كما هي الحال مع ضمير المتكلم ؛ إذ إن ضمير المتكلم أكثر قدرة على التوغل في أعماق النفس كاشفاً عن أسرارها وخباياها وهذا بدوره يقرب القارئ من العمل السردي أكثر[١٣٩]، أما ضمير الغائب فإنه يُمَكِن السارد من أن يتخفى خلفها ليعرض الأفكار والآراء التي لا يريد أن يصرح بها بشكل مباشر فيما لو استخدم ضمير المتكلم[١٤٠].

ويصف المبخوت توظيف ضمير الغائب بالمعادلة التالية[١٤١] :

المؤلف = السارد

المؤلف = هو (الشخصية)

السارد = هو

حيث يتبين من هذه المعادلة أن السارد (هو) لايتطابق مع الشخصية المتحدث عنها في ظاهر الأمر ، لما يوحيهِ ضمير الغائب من مسافة فاصلة بين السارد والبطل ، في حين أن السارد هو نفسه الشخصية المركزية التي تعيش الحدث.

وهناك من النقاد مازال يرى أن السرد بضمير المتكلم هو الضامن الوحيد لتقليص الخروج عن الهدف الكتابي من وراء السيرة الذاتية ، وإن استخدام ضمير الغائب أو التنويع في الضمائر في سرد السيرة الذاتية يخلق مسافة بين الراوي والمؤلف ، فالناقد محمد الباردي يرى أن استعمال ضمير الغائب يخرج الكاتب عن الهدف الذي يكتبه من أجله ، وهو تجلية حياته الشخصية ، فيقول معقباً في تحليله للسارد في كتاب (الأيام) لطه حسين : إن

---

(١٣٧) ينظر، تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٣٥

(١٣٨) ينظر ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي:٢٥،٢٦

(١٣٩) في نظرية الرواية: بحث في تقنيات السرد، عبد الملك مرتاض، سلسلة عالم المعرفة (٢٤٠)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٨ : ١٨٥

(١٤٠) ينظر ، م.ن: ١٧٧-١٧٩

(١٤١) ينظر ، سيرة الغائب. سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين: ١٣.

((استعمال ضمير الغائب يخرج الكتاب في كثير من الأحيان من سرد الحياة الخاصة إلى وصف الحياة العامّة فثمّة فصول عديدة يهمل السّارد فيها صبيّه ليتحدّث عن بعض العادات والتقاليد وأساليب التّعليم في الكتّاب وانتشار الجهل في المجتمع الرّيفي وكلّ هذه المقاطع الوصفية التأمّليّة هي أقرب إلى المقاطع المتّصلة بالسّرد الرّوائي))[١٤٢]، ولا نتفق مع الباردي في تصريحه المذكور، فالخلل هنا ليس في توظيف ضمير الغائب ، بمعنى أن ضمير الغائب لايتحمل مسؤولية الابتعاد عن سرد الحياة الخاصة ، بل المؤلف هو من يتحمل هذه المسؤولية كاملةً ، لأنَّهُ تَقَصَدَ هذا الابتعاد وعدم الخوض في التفاصيل الذاتية ، وحتى وإن وظف ضمير المتكلم فإن بإمكانه أن يسلك السلوك ذاته ، ويتحايل على القارئ في إخفاء خصوصياته ، وهذا الأمر يتعلق بقضية البوح ، ومدى استعداد الكاتب لمصارحة القارئ ، ولايتعلق بالضمير المُوظف في النص.

ويبين الدكتور فاضل عبود أهمية السرد بضمير المتكلم في السيرة الذاتية فهو من أكثر الضمائر قدرة على تمتّين العلاقة بين الشخصيّة المبأرة والقارئ ، وتقريب المسافات ، وإن هيمنته على السرود الذاتية راجعا إلى أن السيرة الذاتية أدب قوامه الـ(أنا)، فضلاً عن أنه يدعم احتمال وقوع الحكاية المسرودة[١٤٣]، فالسيرة الذاتية تمثل سيرة الأنا/المؤلف باعتباره المحور الأساس وإن كانت تدور في فلكه مجموعة من المحاور الأخرى، إن ضمير الأنا يقوم في السيرة الذاتية بالمزاوجة بين الصدق والموضوعية باعتبارهما من أسس السيرة الذاتية وبين الانتقائية التي تحرك السرد باتجاه دون آخر باعتبار السيرة الذاتية فن الاختيار الذاتي[١٤٤].

فراوي السيرة الذاتية هو راوٍ مشارك في الأحداث، فهو الذي صنعها ويحكي عنها، فنجد هيمنة للذات الساردة على الحكاية، ولذا فإنها تأتي بضمير المتكلم، أو هكذا ينبغي، ونمط السرد بضمير المتكلم هو أحد الأنماط الثلاثة للراوي؛ وأعني بالنمطين الآخرين: الراوي بضمير الغائب، وهو ما يُطلق عليه الراوي بالضمير الثالث، والراوي بضمير المخاطب. ومع الراوي بضمير المتكلم تصبح الشخصية الرئيسة هي القائمة بالسرد، وهذا يؤثر على البناء

([١٤٢]) عندما تتكلم الذات:٢٣

([١٤٣]) ينظر، وعي الذات، قراءة في كتاب سرد الذات للسلطان محمد القاسمي ، فاضل عبود التميمي، مجلة الرافد، الشارقة،يناير،٢٠١٣: ٦٣

([١٤٤]) ينظر، أنماط السرد في تراثنا العربي ناصر جابر(شبانة)المجلد٢١ ، العدد (٢)، ٢٠٠٧ :٤٢٤

الفني للعمل؛ وذلك لأن الأعمال التي تقوم فيها الشخصيات نفسها برواية الأحداث يزول فيها الموقع الزماني للراوي، بل يزول فيها زمان الحدث، ويصبح فيها موقع زماني واحد هو موقع الشخصيات(١٤٥) .

إن ما يحدث في سرد السيرة الذاتية هو ما يُطلق عليه اصطلاحيًّا "الحكي – الذاتي"، حيث ((يُطلق الحكي الذاتي من الوجهة السردية على حكاية يُعتبر السارد فيها بطلًا، ويحتل الحكي الذاتي حيزًا خاصًّا في الأوتوبوغرافيا/ الترجمات الشخصية/ المذكرات/ المفكرات/ اليوميات))(١٤٦). فالسارد يكون بطلًا وهو نفسه المنتج للحكاية كتابيًّا.

وتابع عبد الله إبراهيم ما جاء به جورج ماي في حديثه عن التداخلات النصية بين الرواية والسيرة الذاتية ، فعدّ السرد بضمير المتكلم من خصوصيات السيرة الذاتية، التي استعارتها بعض الأعمال الروائية، فيرى أن السرد في السيرة الذاتية بضمير المتكلم يكاد يكون هو الأصل ، فقد استثمرت الرواية من السيرة الذاتية السرد المباشر الذي يعتمد على ضمير المتكلم(١٤٧) .

وهناك من النُقاد من كان رأيه مشوشاً ، فقد حصل تحول في موقف الناقد حاتم الصكر في قضية استعمال ضمير المتكلم في قراءته لنص (الأيام) لطه حسين ، فقد اعترض على حديثه عن الفتى بضمير الغائب الذي خلق مسافة بين الذات الراوية والذات المكتوبة يحاول الكاتب بفعل ضغطه أن يبرأ من عائديه الأفعال إليه ، ثم عدل عن رأيه تأثراً بأطروحات المناهج الجديدة ومقترحاتها حول سارد السيرة والتي لا ترى ضيراً في التنوع في الضمائر لأن الكائن السيري السارد يختلف وعياً وشعوراً عن الكائن المسرودة سيرته ، لأنَّه يستعيد حياته بعد مرور وقائعها مدة قد تطول لسنوات(١٤٨) .

كذلك فإنه يمكن الكتابة بضمير المخاطب من وجهة نظر لوجون، وذلك على الرغم من قلَّة استعمال هذا الضمير نسبيّاً في السرد عموماً، وليس في السيرة الذاتية على وجه

---

(١٤٥) ينظر، الراوي والنص القصصي، عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م:١٢١

(١٤٦) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش،عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥ : ٧٣

(١٤٧) ينظر، السيرة الروائية :إشكالية النوع والتهجين السردي، عبد الله إبراهيم، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، العدد١٤، لسنة ١٩٩٨:١٧

(٤) ينظر، البوح والترميز القهري:١٧٧

الخصوص، ولا توجد سيرة ذاتية كُتِبت كاملة بطريقة ضمير المخاطب، ((غير أن هذا النهج يظهر بطريقة عابرة في خطابات يوجهها السارد إلى الشخصية التي تحيل عليه، إما من أجل مواساته إذا كان في موقف سيء، أو من أجل وعظه، أو التخلي عنه))[١٤٩] .

ويوضح شكري المبخوت تحقق عملية التطابق في استعمال ضمير المخاطبة من خلال المعادلة الآتية[١٥٠]:

المؤلف = السارد

المؤلف = أنت (الشخصية)

السارد = أنت

إلا أنّه تطابق لايتم بطريقة مباشرة ، لأن هذا الضمير أيضا يخلق نوعاً من الهوة بين السارد والشخصية (البطل).

ويرى الناقد فاضل عبود التميمي متأثراً بلوجون في تحليل الضمير أن ثمة نُدرة في استعمال ضمير المخاطب، وهذا له ما يسوغه ولا سيّما حين يكون الخطاب حواراً ، وعزا وجود ضمير آخر غير المتكلم إلى حرص الكاتب على التلوين الأسلوبي في كتابته[١٥١] .

وبناءً على ماسبق من عرض فإنه لا يوجد موقف متشدد تجاه استعمال ضمير المتكلم في السرد السيرذاتي وإن كان الشائع عند أكثرهم والأكثر تحقيقًا للميثاق السردي هو أن يأتي السرد بضمير المتكلم الذي يتضافر مع الإعلانات التوثيقية في تحقيق الثقة لدى المتلقي في مصداقية انتماء العمل إلى السيرة الذاتية، وأن الحكايات المحكية على لسانه تخصه هو؛ إذ لا مجال للشك في مصدر المعلومة والحكاية، بعد أن زالت كل أسباب إمكانية اللّبس، التي تصنعها المراوغة بالضميرين الآخرين، اللذين أقر لوجون نفسه بندرة استعمالهما، ولاسيما ضمير المخاطب ، وقد تعامل النقاد مع النماذج التي خرجت عن استخدام ضمير المتكلم من منظور جمالي في محاولة لتفهم قصدية المؤلف في مراوغاته بالضمائر ولعبه بها، في وعي منهم بأن منطوق الضمير يختلف عن دلالة هذا الضمير القارة في ذهن المتلقي تجاه الشخصية الحقيقية التي يعنيها كاتب السيرة الذاتية.

---

(١٤٩) السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي:٢٧

(١٥٠) ينظر، سيرة الغائب. سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين: ١٢.

(١٥١) ينظر، وعي الذات، قراءة في كتاب سرد الذات للسلطان محمد القاسمي : ٦٢

ونرى أنه لا مانع من أن تأتي السيرة الذاتية في أي صورة من صور ضمائر السرد الثلاثة؛ (الغائب ، والمتكلم ، والمخاطب)، وحينها يكون الراوي ضمنيًّا، أي مفهوم لدى المتلقي أنه هو الشخصية صاحبة السيرة لكنها تتكلم بصورة تضمينية على لسان غيرها.

المبحث الثالث
المرتكزات السردية

إن السيرة الذاتية عمل أدبي سردي شأنه شأن أي عمل فني لا بد له من توافر المرتكزات البنائية الأساسية التي يقوم عليها. بما يُحقق له وحدته واتساقهُ بنائياً، فضلاً عمّا يقتضيه فن السيرة الذاتية من اختيار للمفردات وحسن صياغتها في قالب فني مؤثر فهي ليست إلاّ

شكلاً من أشكال السّرد، هناك مؤلّف يكتبها وسارد يسردها وقارئ فضوليّ يقرأها ، والسارد ليس كائناً ورقيّاً من صنع المؤلّف بل كائن أنطولوجي حقيقي هو المؤلّف ذاته ، والقارئ هو قارئ حقيقي وليس قارئاً افتراضياً ، يعمل المؤلف على مخاطبته ويبوح له بأسراره معترفاً بأخطائه ، أو يعرض عليه شهادة ، وثمّة مقامان مقام سرديّ ومقام كتابي ، فالمؤلف يتحوّل إلى سارد لأنّه سيخضع مروياته لمقتضيات الفنّ والكتابة ، ومن ثمَّ يستطيع ايصال رسالته إلى المتلقي(١٥٢).

ويحتل السرد مكانة هامة في السيرة الذاتية وهو يمثل ((نظام حياة الفرد نفسه منذ الولادة حتى اللحظة التي يكتب فيها سيرته الذاتية))(١٥٣) ، ويشخّص أحداثاً حقيقيّة أو هكذا يجب علينا أن نفترض ، فالصدق مسألة نسبية ، وسارد السّيرة الذّاتيّة شأنه شأن كلّ سارد يروي أحداثاً ويروي أقوالاً ويروي أفكاراً أيضاً(١٥٤) .

ويختلف السرد في السيرة الذاتية عن غيره من فنون النثر العربي؛ على الرغم من تشابهها معها في عموم النظرية السردية الخاصة بسياق انتقاء الأحداث، وأسلوبية عرضها، وطرق بنينتها(١٥٥) ؛ ذلك لأن صاحب السيرة الذاتية يملك القدر الكافي من الحرية في الاستعانة بالتقنيات السردية لفنون النثر الأخرى وخاصة الرواية، وذلك عائد إلى أن الكاتب عندما يعمد إلى كتابة سيرته الذاتية فإن الذكريات تتسارع إلى مخيلته مما يجعله يلجأ إلى الاختيار والانتقاء ومتابعة خط ذي دلالة معينة في حياته(١٥٦) .

يتنوع أسلوب السرد في السيرة الذاتية، ولكن الغالب هيمنة السرد المذوَّت ، حيث تُضفي الذات حضورًا، وخصوصية على أسلوب السرد ، فيصبح سرداً ملتبساً بالذات ومعبراً عنها في كل أفكارها وتطلعاتها(١٥٧). ولكن مما يجدر بنا تقريره ، هو أن الأعمال النقدية العربية أقرت بتداخل تقانات السرد السيرذاتي مع أنواع السرود القصصية الأخرى ولا سيما الرواية

---

(١٥٢) ينظر، عندما تتكلم الذات: ١٠٢-١٠٣

(١٥٣) فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية لابن خلدون ، محمود عبد الغني ، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمان – الاردن ، ط ١ ،٢٠٠٦ : ٦٠

(١٥٤) ينظر، عندما تتكلم الذات: ١٧٦

(١٥٥) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الأدبي-دراسة موسوعية-: ٥٧١.

(١٥٦) ينظر ، دليل الناقد الأدبي، راغب، نبيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨ : ١٣٧

(١٥٧) ينظر، رواية السيرة الذاتية ،ممدوح فرج النابي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ، ط١، القاهرة، ٢٠١١م: ٣٩٦ .

تداخلاً كبيراً ؛ لذلك فإن تلك الأعمال أفادت كثيرا من المنجزات والدراسات النقدية النظرية التي أنجزت في مجال النقد لتلك السرود .

وفي إطار الحديث عن بناء السيرة الذاتية، فإننا نكون بصدد الحديث عن: (الشخصية، والمكان ، والزمان، والوصف)، وقد وقف الدارسون على هذه المرتكزات البنائية ، وبينوا أهميتها في السيرة الذاتية، وإلى أي حد تختلف عن غيرها المستخدمة في الكتابات القصصية الأخرى بأنواعها، في الرواية والقصة القصيرة وغيرها؛ إذ إن وضعية الراوي في الكتابات السردية السيرذاتية تختلف بصفة عامة عن الفنون السردية الأخرى، على الرغم من الاتفاق في استعمال الراوي ضمير المتكلم (الأنا) في السرد، الذي يزيد من الالتصاق بين ذات الراوي وذات المؤلف، ومع هذا الالتصاق فإن وضعية الرواي بضمير الأنا المتكلم في الكتابة السيرية، لها حضور مختلف يستمد خصوصيته من خصوصية الميثاق الذي أقر به الكاتب، وللراوي في السيرة الذاتية صفات يمكن حصرها في أنه يكون واقعاً تحت الحكاية التي يرويها وليس خارجًا عنها ، فهو يروي بنفسه عن نفسه ، وهو راوٍ عليم في علاقته بالشخصيات بل وله سلطة عليها ، وهو ما اصطُلِح على تسميته الراوي الملتحم بالحكاية[١٥٨] ،

وسوف نقف في هذا المبحث عارضين لهذه الآراء وأهم النقاط الجوهرية التي وقفوا عندها على النحو الآتي:

أولًا: الزمن:

عالجت الدراسات النقدية أهمية الزمن بوصفه أحد مكونات الفضاء السردي في السيرة الذاتية الذي لا يمكن إلا أن يكون بؤرة زمنيّة الاتجاه، فهو فيها يقترن عادة بحدود السرد وتقاناته، ويقوم الزمن بوظيفة المساهمة في تقديم المادّة المسرودة، وتنظيم فعّالياتها ضمن أجواء السيرة[١٥٩] .

([١٥٨]) ينظر ،م.ن: ٣٥٣

([١٥٩]) ينظر ، وعي الذات . قراءة في كتاب سرد الذات للسلطان محمد القاسمي : ٦٣

وقد تابعت الدارسات النقدية في مجال الرواية تنظيرات جيرار جينيت في الزمن السردي وتقسيمه الثلاثي: الأول: المفارقات الزمنية المتمثلة في الاسترجاع والاستباق، والثاني: سرعة النص وبطؤه متمثلًا في التلخيص والحذف والوقفة الوصفية، والثالث: الحكاية الترددية[١٦٠]، وأفاد النقدي السيري من هذه المنجزات النقدية في دراساتهم التطبيقية على النصوص السيرذاتية.

لكنَّ ثمة فرقًا كبيرًا بين تعامل كاتب السيرة الذاتية مع الزمن وتعامل الروائي معه، فكاتب السيرة الذاتية ((يلتزم الترتيب الزمني في سرده تاريخ حياته، بادئًا بداية طبيعية بالكلام عن أولى مراحل حياته، ثم يمضي مصورًا ما طرأ على حياته من تحول وتطور، مراعيًا في كل ذلك التدرج حتى تبدو ترجمته الذاتية مطابقة لوقائع الحياة التي تسير في خط بياني يكون متدرجًا))[١٦١].

أما الكاتب الروائي فلديه من الحرية الفنية في التعامل مع الزمن ما لا يجعله ملتزمًا بهذا الترتيب الزمني، ولاسيما مع أشكال الرواية الحديثة التي لا تلتزم الترتيب الزمني بتسلسل معين فالروائي له حرية أن يختار ما يشاء من بدايات[١٦٢].

ويرى ممدوح فرج النابي أن هذا الترتيب الزمني الذي تلتزمه السيرة الذاتية على وفق نسق خط تتابعي تسلسلي ، إذ تسرد الحكاية، بترتيب وقوعها في الواقع، لا يمنع التداخلات الزمنية، بين الماضي والحاضر والمستقبل، وهذا التداخل لا يمنع استمرار الترتيب الزمني الذي رسخ في عقل القارئ أو المروي له كون النص يتكلم عن حكاية واقعية[١٦٣].

ومن النقاد من فرَّق بين السيرة الذاتية وغيرها من الأنواع المشابهة لها مستندًا إلى الزمن المروي، فيرى محمد الباردي أن ((التّعامل يُتَّخذ مع الزّمن المروي معياراً للفصل بين السّيرة الذّاتيّة واليوميّات، فالسّيرة الذّاتيّة وهي أعرق من اليوميّات الخاصّة ترتبط أحياناً كثيرة بفترة محدودة من حياة الكاتب في حين تتّصل اليوميّات الخاصّة بالماضي القريب. ولئن سلك الجنسان اتّجاهاً زمنيّاً واحداً ينطلقان من الحاضر إلى الماضي ومن لحظة الكتابة إلى

---

(١٦٠) ينظر، خطاب الحكاية بحث في المنهج : ٤٥ .

(١٦١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٢٧– ٢٨.

(١٦٢) ينظر ، م . ن : ٢٨

(١٦٣) ينظر ، رواية السيرة الذاتية، ممدوح فرج النابي: ٤٣٧ .

لحظة التّجربة فإنّ المساحة الزّمنيّة الّتي تفصل بين زمن الكتابة وزمن التّجربة تكون في السّيرة الذّاتيّة أوسع منها في اليوميّات))[١٦٤].

وقد يبدأ تمظهر الزمن في السير الذاتية منذ العتبات، وعلى رأسها العنوان، وهذا ما حدث في (الأيام) لطه حسين، فـ توظيف عنوان (الأيام) محطة تركيبية وقف بها طه حسين بين زمنين، زمن الكتابة وزمن آخر بدأ يتشكل تدريجيًّا وهو زمن القراءة، في انفتاح السير ذاتي على التأويل وتعدد الدلالة[١٦٥].

إن التقنية الزمنية الأساسية في السيرة الذاتية هي تقنية الاسترجاع، فكما يظهر من تعريف لوجون، أن السيرة الذاتية (سرد استرجاعي)(١٦٦) ، وهذا ما ثبتهُ الدارسون العرب في دراساتهم للسيرة الذاتية ، ونستنتج من هذه الدراسات أن السيرة الذاتية تعتمد على مساءلة كاتب السيرة لذاكرته، وعلى استدعائه لها، وتقنية الاسترجاع هي تقنية زمنية تتعلق بالمفارقة بين زمن القص وزمن الحكاية، أي الزمن الذي حدثت فيه الأحداث فعليًّا والزمن الذي تُحكى فيه هذه الأحداث على لسان الراوي، هذا الفرق بين الزمنين يقوم الاسترجاع على سد الفجوة التي تحدثها مفارقة الاختلاف بين الزمنين.

وينوِّع كاتب السيرة الذاتية في عرض الأحداث المستدعاة من ذاكرته، فيأتي بالخط الأساسي للأحداث ثم ينسج الأحداث الفرعية حول الحدث الرئيسي معيدًا ما سبق منه، أو مكملًا لحدث سابق، أو مضيفًا بعدًا جديدًا لم يكن موجودًا للحكاية.

وإذا ذكرنا قبل قليل أهمية تقانة الاسترجاع كشرط أساسي تقوم عليه السيرة الذاتية، فإنها ليست التقانة الوحيدة في البنية الزمنية للسيرة الذاتية فقد رصد النُقاد توظيف الكتّاب تقانة الاستباق ، والاستباقات في السيرة الذاتية هي استباقات داخليّة تكميليّة * في المقام الأول، ولكنّها استباقات محدودة[١٦٧].

---

(١٦٤) عندما تتكلم الذات: ٩ .

(١٦٥) ينظر ، أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة:١٤٦ .

(٤) ينظر، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي:٢٢.

* عرف لطيف زيتوني أنواع الاستباقات في معجمه .ينظر ، معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، ط١ ،٢٠٠٢ : ١٨ .

(١٦٧) ينظر ، عندما تتكلم الذات:١٢٣

ويذكر الدكتور محمد صابر عبيد ((فضلاً على هاتين التقانتين فثمة تقانات أخرى كالوصف بأنواعه، والحذف بأنواعه، والخلاصة بأنواعها، والحوار بأنواعه، تعمل جميعاً على نقل السرد السيرذاتي من حرفيته وخطيته في تقديم وقائع الحياة المنتخبة وعرضها، إلى تفعيل ذلك باتجاه خلق أنموذج أسلوبي لنوع سردي يبتغي إنشاء جماليات خاصة به تعزز مكانته النوعية- الإجناسية من جهة، وتؤثر في توجيه التاريخ الأدبي ودفعه إلى مسارات جديدة دائمة النمو والتطور))[١٦٨] .

واطلعنا على تلك الدراسات التي عُنيت بمتابعة تلك التقانات الزمنية كالمشهد والحذف وغيرها من التقانات ، ولاحظنا ما أسهم به هذا التلاعب بالزمن السردي في إضفاء سمة الفن والجمال التي لابدَّ منها لصياغة نص أدبي ، ونذكر من تلك الدراسات دراسة الناقد خليل شكري هياس لسيرة جبرا إبراهيم جبرا الذاتية[١٦٩] ؛ إذ توصل الناقد إلى ((أن جبرا وظف في سيرته كل التقنيات الزمنية وهذا دليل على إن السيرة الذاتية لا تختلف عن غيرها من فنون السرد الأخرى ؛ لأنهما لا يختلفان في طرائق التحليل))[١٧٠] .

ودراسة الباحثة مريم حماد عليّان الحسنات لمجموعة من نصوص سيرذاتية ، حيث بيَّنت فيها الباحثة أهداف الكُتّاب في توظيفهم لبعض التقانات الزمنية في كتابة ذواتهم ، ومثال ذلك وقوفها عند نص الكاتبة زينب الغزالي (أيام من حياتي) حيث إن ظاهرة الحذف كانت جلية واضحة في نصها ، وتعلل الناقدة هذا الحذف بأن الكاتبة إنما أرادت: لتنبه القارئ إلى الكلمات المحذوفة ، وكثيرا ما تكون سباب وشتائم تعففت الكاتبة عن ذكره[١٧١].

وأيضاً ينبه محمد الباردي على سمة الترابط الزمني في الزمن الذي تعالجه السيرة الذاتية، أو تحدث فيه أحداث السيرة الذاتية، وهو أن يكون ثمة استرسال في الزمن، وترابط واتصال زمني بين حدوث الوقائع المروية، فيقول مبينًا أن هناك خطأ وقع فيه عباس محمود العقاد في سيرته ؛ حيث تقطَّع الزمنُ فيها : ((نضيف إلى هذه الإشكاليّة ما يتعلّق بزمن الكتابة وهو في الحقيقة زمن متقطّع، ذلك أنّ هذه السّيرة الذّاتيّة هي مجموعة من الفصول

---

(١٦٨) المغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–:٥٧١

(١٦٩) ينظر ، سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات:٢٣١–٢٧٢.

(١٧٠) م . ن : ٢٧٢

(١٧١)ينظر، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث، مريم حماد عليان الحسنات، رسالة ماجستير ، الجامعة الاسلامية، غزة،٢٠١٣ :١٦٦–١٦٥ .

المستقلّة بعضها عن بعض كانت قد صدرت في شكل مقالات في الصّحف والمجلاّت في أزمنة متفاوتة تفصل بينها أشهر وعقود وخضعت لظروف وأسباب مختلفة وبالتّالي فهي تفتقر إلى الاسترسال الضروري الّذي يوحّد زمن الكتابة ويعرض الأسباب والدّوافع الموضوعيّة الّتي جعلت عبّاس محمود العقّاد يكتب سيرته الذّاتيّة))[١٧٢]. وهذا السبب فضلاً عن أسباب أخرى كهيمنة النزعة التحليلية والتفكير المنطقي على حساب الوجدان والذات وهو ما دعا الباردي إلى التحفظ على ضم سيرة العقاد إلى حقل السيرة الذاتية

وبالرغم من واقعية السيرة الذاتية ، وما تتطلبه من الالتزام بترتيب أحداثها ووقائعها ترتيباً تصاعدياً ، إلا أن ذلك لا يعدو أن يكون مجرّد افتراض لأنها بمجرد دخولها تحت مظلة الفن والأدب تكون خاضعة لقوانين الإبداع لاعتبارات متعدّدة تتّصل بالمقام ولا تخضع للمنطق المفترض دائماً[١٧٣]؛ إذ إن كتّاب السيرة لم يمتنعوا من الخوض في لجّة الزمن مقدمين ومؤخرين، وهذا يجعل السيرة أكثر حيوية وليست مجرد حياة إنسان عاشها وفق التقويم الزمني والتأريخي[١٧٤].

وتطبيق الباردي على بعض النصوص السير ذاتية يُثبت ما ذهب إليه ، فهو يُبرر عدم انتظام الزمن في بعض السير بأن موضوعاتها منظمة بما يرتبط احدها بالآخر فهو لا يأخذ على الكاتب الدكتور عبد الرحمن بدوي في سيرته (سيرة حياتي) التقديم والتأخير في الموضوعات أو ((المقاطع الكبرى)) * كما سمّاها ، أي ترتيبها زمنياً، لكن يأخذ عليه عدم احترامه للزمن حتى داخل المقطع أو الموضوع الواحد وهو ما أسماه بـ((المقاطع الصغرى)) ** ، ومن ثم ((فالتّشويش الزّمني يسم إذن هذا الكتاب في مستوى انتظام مقاطعه الكبرى ومقاطعه الصّغرى))[١٧٥].

([١٧٢]) عندما تتكلم الذات: ٢٥

([١٧٣]) ينظر، م.ن : ١١٦

([١٧٤])ينظر، فن السيرة الذاتية ، ليون ادل، ترجمة: صدقي خطاب،مؤسسة فرانكلين،القاهرة،١٩٧٣ :١٤

* يقصد بها الفصول المتعاقبة للسيرة ، ينظر، عندما تتكلم الذات:١١٧.

** يقصد بها انتظام الموضوعات زمنيا داخل الفصل الواحد في السيرة ينظر، عندما تتكلم الذات:١١٧.

([١٧٥]) عندما تتكلم الذات: ١١٧

ويخرج الباردي بنتيجة : أن العثور على نص سيرذاتي يتحاشى التلاعب بالزمن قليل، مثال ذلك سيرة الشاعرة فدوى طوقان (رحلة جبليةّ، رحلة صعبة) فقد وجدَ انتظام المقاطع السّرديّة الكبرى والصّغرى في سيرتها ، فالمؤلّفة تجمع بين نمطين من أنماط انتظام المقاطع والمرويات ، وهما نمطا التتّابع الزّمني والتّرتيب الموضوعاتي فقصّة حياة الكاتبة تتقدّم في الزّمن منذ بداية الكتاب إلى نهايته وهي بصورة عامّة لا تعود إلى الوراء زمنيّا[١٧٦] .

وإن كان التلاعب بالزمن مسموحاً به في السيرة الذاتية لأسباب فنية جمالية إلا أنه لا يواكب النص الروائي في الحرية المطلقة لهذا التلاعب ، ويظل السرد في السيرة الذاتية هو سرد استرجاعيّ في المقام الأول[١٧٧]، يحاول فيها الكاتب أن يستذكر حوادث من طفولته ، وأخرى من مراحل حياته الأخرى، فالحوادث التي يكتبها ترد عن طريق استرجاع الذكريات التي تزدحم في سمائها الصور التي تخدم مقصدية الكاتب في كتابة سيرته[١٧٨] .

والبحث لا يرى مسألة التسلسل في ترتيب الأحداث ذات أهمية، بل إنها تحول السيرة الذاتية إلى وثيقة تاريخية وإخبارية تفتقر إلى الحس الفني والجمالي ، وهذا ما أكده النقاد في تنظيرهم للزمن في السيرة الذاتية ، فشكري المبخوت يُعلِّل إسقاط شرط الترتيب الزمني بقوله: ((لأن السيرة الذاتية وإن كانت قصة استعادية تعتمد على الأحداث الماضية في عملية السرد إلا أنها في الوقت نفسه محكومة بذاكرة تنسى وتتوهم وتشوه ويعسر عليها احترام الترتيب الزمني للأحداث وتعاقبها الواقعي))[١٧٩].

ويرى الناقد محمد صابر أن عملية التذكر لا تقوم باستعادة شريط الماضي كما كان في الواقع، إنما هي تؤلف نسخة جديدة من هذا الأثر تنقله من نشاط الذاكرة إلى نشاط حيوي خلاق يُغادر فيه ما كان عليه من الجمود والثبات إلى الحركة ، ويكسر السياق الزمني المألوف لأنه يتصرف بالزمن بالشكل الذي يخدم الواقعة بشكلها الجديد الحي لا بصورته

([١٧٦]) ينظر ، م.ن :١١٨

([١٧٧]) ينظر ، م . ن :١٢٢

([١٧٨]) ينظر، فن السيرة في الأدب الأيوبي، كتاب الاعتبار نموذجًا، حازم فارس علي أبو شارب،رسالة ماجستير،جامعة الشرق الاوسط،٢٠١٠-٢٠١١ : ١٧١.

([١٧٩]) سيرة الغائب. سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين: ٦٤.

القديمة الجامدة [١٨٠]، وان هذا التمرد على التسلسل الطبيعي للأحداث الذي تحدث عنه محمد صابر هو الذي يصنع الفن والجمال .

وكما رصد النقد الروائي نوعين من الزمن في الرواية هما:(الزمن الطبيعي)، و(الزمن النفسي)[١٨١] فإن النقد السيرذاتي استطاع تشخيص هذين الزمنين في السيرة الذاتية أيضاً، والكشف عن اهتمام كاتب السيرة الذاتية بالزمن الطبيعي على وجه الخصوص بركنيه التأريخي والكوني ، وجعله الخط الذي يسير عليه السرد من أجل تأكيد واقعية مايرويه، وذلك لأن السيرة تحيل على أحداث واقعية لابد من سردها في زمن واقعي معلوم يمكن التوثيق له، لارتباطه بالتاريخ ، فيلجأ إليه الكاتب السير ذاتي في نسج خيوط عمله الفني، تقول تهاني شاكر: ((والسيرة الذاتية تحتفي بالزمن الطبيعي أكثر من احتفاء الرواية به، لأنها تسرد وقائع حقيقية حدثت في وقت معين، لا مجال لدخول الخيال في صياغتها، إلا بالقدر الذي يساعد المؤلف على بناء سيرته بناء فنيًّا، كما أن صاحب السيرة يستطيع أن يسرد في سيرته أحداثًا تاريخية على أن يصوغها صياغة أدبية، ويجعلها جزءًا من البناء الفني لسيرته، بحيث ينقلها من مجال العام إلى الخاص))[١٨٢].

أما الزمن النفسي فيختلف تبعاً لأحداث ومتغيرات المجتمع في كل جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن أنه يتأثر بالحالة النفسية الخاصة بالإنسان، والزمن السيكولوجي زمن نسبي داخلي يقدر بقيم متغيرة باستمرار يعكس الزمن الخارجي الذي يُقاس بمعايير ثابتة[١٨٣] .

وقد رصدت الباحثة تهاني ماجد فرج الله الزمن النفسي الذي تجسدَ في سيرة فدوى طوقان في سيرتها (رحلة جبلية ،رحلة صعبة) الذي يتلخص عندها بزمن الكبت والحرمان

---

[١٨٠]ينظر ، السيرة الذاتية الشعرية: قراءة فن التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية، محمد صابر عبيد، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، ١٩٩٩: ١٧.

[١٨١] ينظر، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د.سيزا أحمد قاسم، سلسلة دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٤ : ٤٦، و المصطلح السردي في النقد الادبي العربي الحديث ، د. أحمد رحيم كريم الخفاجي ، دار صفاء للنشر-عمان،ط٢، ٢٠١١ : ٣٤٨

[١٨٢] السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا، احسان عباس نموذجاً: ١٣١ .

[١٨٣] ينظر، ايقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي ،ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت ،٢٠٠٤ :٢٥-٢٦

والذوبان في اللاشيئية[١٨٤]، فتظهر عقدة السجن التي كانت لها تأثير بالغ على نفسية الكاتبة والشاعرة فدوى طوقان لذلك فإنها ((آثرت وفضلت الانسحاب من واقعها المعاش إلى واقع الحلم والوهم والخيال ، وغرقت في بحر ملئ بالأحزان والهموم))[١٨٥]

نستنتج مما سبق أن هناك تشابهاً كبيراً بين الزمن في الرواية والزمن في السيرة الذاتية ؛ وهو ما رصده الدارسون للسيرة ، وان غالبية النصوص السيرذاتية تتصف بالتشويش الزمني الذي يراه النقاد استجابة لتحول السيرة الذاتية من وثيقة تاريخية إلى نص إبداعي ، فما ينبغي أن يفعله كاتب السيرة الذاتية هو أن يبين خصوصية الحدث العام بالنسبة له هو وموقفه هو من هذا الحدث، والصياغة الأدبية لهذا الحدث لا تتعارض مع واقعية الأحداث التاريخية المروية، وبهذا يمكننا القول: إنَّ التخفف من شرط التسلسل الزمني الخطي يجعل الزمن بتأثير الرواية حراً ، ويكسر الرتابة التي كانت عليها السيرة الذاتية في المنهج التقليدي والتي تراعي التسلسل الزمني والمنطقي للأحداث، ونحن لا نتحفظ على ذلك بل على العكس نعده تجديداً في تقنيات الكتابة السيرذاتية، فالعبرة في تمكن الكاتب من إقناع المتلقي بواقعية الأحداث حتى لا يقع خلط أو لبس لدى المتلقي في معرفة زمن وقوعها.

ثانيا: المكان

المكان الجغرافي هو المسرح الذي تدور فيه الحكاية، وعناية الكُتّاب به كبيرة، فهو الذي يعكس الطبقة التي ينتمي إليها كاتب السيرة الذاتية، وكذلك الثقافة التي نشأ فيها، وهو أحد العناصر الأساسية في بناء السيرة الذاتية ، ومن ثَمَّ كان احتفاء النقد السيري به، فـ((المكان يحظى بأهمية استثنائية ونوعية شديدة الخصوصية والحضور في التجربة النقدية والثقافية والفكرية الحديثة، التي راحت تحاكي المكان، وتفحص تشكيله وتفكك طبقاته، وتغور في جوفه وتبرز طياته وتبحث في عمقه التاريخي والحضاري، على النحو الذي يجعل منه نصًّا قابلًا للقراءة والتحليل والتأويل والكشف))[١٨٦].

---

(١٨٤) ينظر، السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني احسان عباس،وجبرا ابراهيم جبرا،وفدوى طوقان نموذجا، تهاني ماجد فرج الله، رسالة ماجستير، الجامعة الاسلامية،غزة،٢٠١٣ :٢١١

(١٨٥) م.ن: ٢١٢

(١٨٦) التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة:٩٧-٩٨ .

ويبدو هذا واضحاً من عناية الدارسين لنصوص السيرة الذاتية بتحليل مستوياته المؤثرة في ذاكرة الكاتب ومخيلته بكل ما تنطوي عليه تلك المستويات من قيم معرفية واجتماعية حيث ترصد حركات الانتقال عبر الأماكن وتأثيرها على الشخصية وتجاربها.

وتأتي أهمية المكان لدى الكُتّاب من كونه ((البيئة التي يعيش فيها الناس، ولا شك أن الإنسان ابن بيئته، وهي التي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية، فنحن جميعًا بشر، لكن المكان الذي نولد فيه هو الذي يحدد سماتنا الخاصة المتميزة))[١٨٧]؛ لذا نجد أكثر كتّاب السيرة الذاتية يتكلمون عن ذاتهم من خلال كلامهم عن الأماكن التي عاشوا فيها وكان لها الأثر الكبير في حياتهم ولاسيما (البيت) الفضاء الأول لنشأة الإنسان الذي يمكن أن يُوصف الإنسان من خلاله[١٨٨]، وهو يمثل شبكة من العلاقات والرؤى ووجهات النظر التي تتضافر مع بعضها لتشييد الفضاء السردي الذي ستجري فيه الأحداث[١٨٩] .

وفي السيرة الذاتية يمكن ملاحظة أن علاقة الانسان بالمكان علاقة تأثير متبادل إذ إنه ((الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الانسان ومجتمعه، ولذا فشأنه شأن أي نتاج اجتماعي يحمل جزءاً من أخلاقية وأفكار ووعي ساكنيه))[١٩٠]، فالإنسان لا يحتاج إلى مساحة جغرافية للعيش فقط ، وإنّما تُعدُّ تلك المساحة ضرورية لتشكيل هويته التي تعكس شخصيته وثقافته ، ومن ثمَّ فإنَّ تلك الذات الانسانية تسقط ذاتها وقيمتها على المكان.

وقد ركز الدارسون على بعض الجوانب التي يختص بها المكان السيرذاتي، ولكن يمكننا صياغتها في عدد من السمات الخاصة على النحو الآتي:

أ- المرجعية الواقعية للمكان:

يتكون المكان في النص السردي عمومًا من عدد من العلامات الدالة على واقعيته، فمثلًا أسماء الأماكن، والميادين، والطرق، والمقاهي والمساجد ، والمدارس كلّها تُحيل على

---

(١٨٧) دراسات في نقد الراوية، طه وادي دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م: ٣٦ .

(١٨٨) ينظر نظرية الأدب، رينيه ويلك واوستن وارين، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة: د.حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعي، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م: ٥٣٢

(١٨٩) ينظر، بنية الشكل الروائي، د. حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م: ٣٢ .

(١٩٠) الشخصية في عالم غائب طعمه فرمان الروائي، د. طلال خليفة سلمان، من اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية٢٠١٣،ط١-بغداد،٢٠١٢: ١٨٥

أماكن حقيقية معروفة ذات مرجعيات واقعية، فإذا كان في النص الروائي يكون اختيار أسماء حقيقية للمدن والأحياء والشوارع يعطي القارئ إحساسًا بواقعية تلك الأماكن [١٩١]، فإن الأمر أشدُّ وقعًا على القارئ في السيرة الذاتية ؛ إذ إن الميثاق السيرذاتي يؤكد واقعية هذه المُسميات ، وبالعكس فإن هذه الأماكن الواقعية تؤكد صحة الميثاق المُعلن في أي عمل سيري.

وقد قسّم النقد الروائي المكان في الرواية على تقسيمات متعددة[١٩٢] إلا أن أقربها ملاءمة للسيرة الذاتية بحسب وجهة نظر خليل شكري هو تقسيم غالب هلسا[١٩٣] ((وتحديداً المكان كتجربة معاشة والذي يمكن أن نطلق عليه بالمكان الواقعي أي ذلك المكان الذي له وجود فعلي سواءً بقي على ما هو عليه أم ثبتت واقعيته في الذاكرة بعد معايشته على أرض الواقع الذي كان له تأثير كبير في التكوين الشخصي))[١٩٤]، فهو المسرح الذي تتحرك فيه شخصيات العمل السردي ، وتدور فيه الحكاية ، وهو الذي يعكس الطبقة التي ينتمي إليها كاتب السيرة الذاتية، وكذلك الثقافة التي نشأ فيها.

ب- ارتباطه بالحركية الواقعية للشخصية:

يتنوع المكان في السيرة الذاتية شأنه شأن المكان في أي عمل أدبي سردي، رواية أو قصة قصيرة، بين مدينة وريف ومهجر، غير أن المكان في السيرة الذاتية يظلُّ محدوداً بحركة الشخصية صاحبة السيرة، ومن ثَمَّ فالمكان هو ما تمت فيه الأحداث بالفعل، كذلك فإن تنوع الشخصيات في أي عمل روائي، يُسهم في ظهور أماكن جديدة تبعاً لتحركهم، أما في السيرة الذاتية فإن ظهور الأماكن مقرون بما تحرك فيه صاحب السيرة الذاتية نفسه، فتظهر أماكن انتقالاته وأماكن إقامته الجبرية أو الاختيارية وغيرها من تقاطبات المكان التي

---

(١٩١) ينظر، بناء الرواية:. ١١٧ .

(١٩٢) ينظر الرواية والمكان دراسة في المكان الروائي، ياسين النصير، دار نينوى للدراسات والنشر-دمشق،ط٢ ،٢٠١٠ : ٢٥-٥١ ، والمصطلح السردي في النقد الادبي العربي الحديث، د . أحمد رحيم كريم الخفاجي، دار صفاء للنشر- عمان، ط٢ ،٢٠١٢ :٤٢١

(١٩٣) ينظر الرواية العربية واقع وآفاق، غالب هلسا ومحمد برادة وآخرون، دار ابن رشد للطباعة والنشر-بيروت،ط١ ،١٩٨١: ٢١٧

(١٩٤) سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات: ١٢٩

كان لها أثر وفاعلية على الشخصية، والذي يحدِّد هذا الأثر وهذه الفاعلية هو كاتب السيرة نفسه ، فاختياره لأماكن بعينها، دون غيرها من الأماكن التي تحرك فيها، هو بالتأكيد أمرٌ مقصود، ومخطط له بعناية، فالذاكرة تحتفظ بأماكن كثيرة، لكن ما يختار منها هو ما كانت له فاعلية على الشخصية ودور في تكوينها النفسي والمادي معاً ، وقد أظهرت ذلك واضحاً في أكثر من دراسة نقدية أُجريت على النصوص السيرذاتية [١٩٥] .

ت- المكان وطبيعة الاشتغال التخييلي:

على الرغم من القول بالمرجعية الواقعية للمكان في السيرة الذاتية ، إلا إن هذا لا يعني أن لا دور للتخييل فيه ولا يقتصر أيضاً على تأثير المكان على الشخصية لأنّ الذات السيرية لا تستعيد المكان كما كان سابقاً بل كما يراه الآن لحظة الكتابة، فالسيرة تقوم على ((استيلاد مكان معين ومحدَّد له مرجعية واقعية معروفة، لكنه في الوقت نفسه ينفتح على مجال تخييلي مقيَّد تتأنسن فيه الكثير من صفاته وخصائصه وأجوائه، وتأخذ بعدًا بشريًّا إنسانيًّا بمعية الشخصية/الشخصيات التي تتحرى عبره ومن خلاله وبوساطته الكشف عن تشكيل سيرتها على نحو أو آخر))(١٩٦).

ويعد الخيال لازمة من لوازم الإبداع، ويشمل كل عناصر البنائية ((إذ لايعود المكان مكاناً يخضع للمعايير التقليدية في مقايسة المكان ومقاربته ، ما يُضاعف طاقته التخييلية ويفتحه على مسارات شعرية لاتعتقد برياضية الأبعاد ومساحية الوجود ، ويُتيح فرصة للتلاعب بمقدرات هذه البنية على وفق سياسته ورؤيته وحساسيته وعلاقته الخاصة به))[١٩٧] ، فعند استرجاع المكان من المخزن الذاكراتي فانه لايسترجع كما هو بتفاصيله الدقيقة فالمكان ((صورة متخيّلة))[١٩٨]، إذ لابد من حضور الخيال في وصف المكان في عمل فني إبداعي، فمن دونه ((لا يمكن للنصّ أن يرتقي إلى فضاءات الإبداع المفارق لما هو مألوف، وغارق في المباشرة، والسكون، وهي في إجراءاتها النسقيّة تعمل على كشف وظيفة (الخيال)

([١٩٥]) ينظر، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا، احسان عباس نموذجاً:٢٢٨-٢٤١ ، سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات:١٢٣، وتمظهرات التشكيل السيرذاتي:٣٥-٤٢.

([١٩٦]) التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة: ٩٧ .

([١٩٧]) بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا من السيرة الى التجربة: ١٢٩

([١٩٨]) وعي الذات. قراءة في كتاب سرد الذات للسلطان محمد القاسمي:٦٤

في إنتاج الأدب بوساطة استرجاع المعاني، وإعادة تركيبها، وإنتاجها على وفق رؤية متقدمة تتولى الجمع بين ما هو حسيّ وعقليّ في مهمّة لا يقوى على توصيفها الأديب نفسه))[١٩٩].

ومن الباحثين من يرى أن عملية إدراك الكاتب للمكان تُسهم في عرضه لهُ وفق منظور تحقيق دلالته الخاصة ، ويرسم طوبوغرافيته ، ويحدِّد أبعاده فـ((في الكتابة السيرذاتية تؤدي عملية إدراك المكان دورها في نقل أبعاده الجمالية، واسترجاع تفصيلاته وتذكرها))[٢٠٠]، ويتبين من كلام الباحث أن كاتب السيرة الذاتية ينظر إلى المكان من زاوية انتمائه لهُ واحساسه تجاهه ، وهي نظرة تتجاوز وصف الموجودات ، فهو يُحرك المكونات المكانية على نحو يناسب رغبتهِ وحساسيته ورؤيته في المتخيل السردي إلى ماينسجم مع منطق العقل البصري؛

لذا فإن للمكان تأثيراً نفسياً على صاحب السيرة الذاتية ، فهو يصف المكان على وفق رؤيته وأثره في تكوينه الشخصي سلباً وإيجاباً ، ونستطيع أن نتبين تلك القضية بوضوح في دراسة خليل الشيخ لسيرة إدوارد سعيد (خارج المكان) ، فقد رصد الناقد التأثير النفسي للمكان على شخصية إدوارد سعيد من خلال وصفه لدور الأماكن الأكثر تأثيراً على شخصية الكاتب ، فجاء وصفه مزجاً بين جغرافية المكان وفنيته المتمثلة بحساسية الكاتب تجاهه ؛ إذ يقول: ((وللقاهرة دور مهم في تشكيل شخصية إدوارد سعيد الفتى، ولعل كتابته عن تحية كاريوكا تبين قدرة إدوارد سعيد النقدية المدهشة في الربط بين تحولات المجتمع المصري وتحولات جسد تحية كاريوكا في سيره من الرشاقة إلى الترهل))[٢٠١] لكن إدوارد عانى من كثرة الرحيل وقاده ذلك إلى فقدان الشعور بالأمان في المنفى، وقد عبّر عن ذلك في سيرته ، وهذا ماجعل الشيخ يستنتج في قراءته لهذه السيرة أن ((ماتبقى من هذه الاشكالية في السيرة يتجلى في فقدان ادوارد سعيد للشعور بالامان في المنفى والبحث عن المكان الأليف. فقد صرح ادوارد بأنه كان يصطحب في أية رحلة يقوم بها،حتى لو كانت إلى مركز المدينة،حقيبة محشوة بأغراض تفوق مايحتاج إليه. وإذا كان ادوارد سعيد يعلل ذلك باكتئاب السفر الحضاري، فإن انعدام الشعور بالأمان في المنفى هو الذي يفسر مثل هذا الشعور))[٢٠٢].

([١٩٩]) م.ن : ٦٤

([٢٠٠]) أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة:. ١٥٧ .

([٢٠١]) السيرة والمتخيل قراءات في نماذج عربية معاصرة ،خليل الشيخ ،دار الازمنة للنشر–عمان،ط١ ،٢٠٠٤: ٢٤٩.

([٢٠٢]) السيرة والمتخيل قراءات في نماذج عربية معاصرة:٢٥٣

إنّ النقاد انتبهوا إلى أنّ المكان لا يبقى على حالته التقريرية، وإنّما يتحول فنياً داخل النص السيرذاتي، ويعرض الباحث ناصر بركة سؤالاً مؤدَّاه : ((هل يمكن أن يفلح الكاتب في الانتقال بالمكان من مستوياته المادية المحسوسة إلى مستوى إبداعي يتشارك فيه أكثر من طرف؟))[٢٠٣] وللإجابة عن هذا السؤال فإن الباحث حلَّل سيرة فدوى طوقان : (رحلة جبلية رحلة صعبة)، ففي عمل فدوى طوقان وجد أن المكان يكتسب أبعادًا رمزية إذ يحضر وصف الأمكنة في سيرتها حضورًا في سياقاته التي أنتجته، لأن المكان الأكثر تأثيرا في سيرتها (الرحلة الأصعب) هو فلسطين/القضية/ الوطن، فتوصيفها للمكان يحمل دلالة الارتباط بالأرض، ومتضمنًا في الآن نفسه معاني التشتت والضياع والغربة[٢٠٤]، وتلك الأماكن التي تكتسب دلالات رمزية في سيرة فدوى طوقان تضفي إحساسًا خاصّاً على المكان الواقعي.

وبذلك فإن المكان في السيرة الذاتية لا يبقى على حالته السكونية، إنما ينفتح دلاليًّا ليصير محملاً بالدلالات الرمزية ، فالمكان الواقعي الذي نبحث عنه في السيرة الذاتية يتشكل من المكان المعيش في الواقع بأبعاده الهندسية ، والمكان بوصفه تجربة فنية ، فالمكان في النص السيرذاتي ليس مكاناً جغرافياً صرفاً وإنما هو حصيلة امتزاج الوقائع التاريخية بالوقائع الفنية[٢٠٥].

ث- المكان وطبيعة الاشتغال الذاكراتي:

إن استرجاع المكان من الذاكرة يخضع لسلطة الوعي الحاضر ، ولا يستجيب كليًّاً للماضي في رسم صورة المكان كما كان في الواقع [٢٠٦] ، فالذاكرة تختار وتترك وتشوه وتموه ، وتُزيد وتنقص[٢٠٧] ، وكاتب السيرة لايمكنه أن يلتحم بشكلٍ تامٍ بالماضي ، وإنما يُحاول صياغتهُ على وفق رؤيته له في لحظة الكتابة.

وبعد اطلاعنا على الدراسات والآراء النقدية التي بحثت في دلالة المكان السيرذاتي يمكننا أن نخرج بنتيجة وهي أن عناية النقاد بهذا المرتكز نابع من أهميته لدى كُتّاب السيرة الذاتية، فوصفهم للأماكن في نصوصهم هو وصف لحالتهم النفسية والاجتماعية من خلال مايحمله

---

(٢٠٣) أدبية السير الذاتية في العصر الحديث، بحث في آليات اشتغال النصوص ومرجعياتها الفاعلة: ١٦١

(٢٠٤) ينظر ، م . ن: ١٦٢

(٢٠٥) ينظر ، سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات: ١٣٠.

(٢٠٦)ينظر، الذات ممحوة بالكتابة عن السيرة الذاتية نوعاً أدبياً:١١٥.

(٢٠٧) ينظر: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٥-٦.

المكان من دلالات تُدلي بخفايا نفسياتهم، فثمة استرجاعات وإسقاطات ورؤية ظاهراتية تشكل المكان بحسب الحالة النفسية وهذا ما سجلته الدراسات النقدية في قراءآتها للنصوص السيرذاتية ، ذلك أن الإبداع السير الذاتي يقوم على المزج بين الذاكرة والخيال. وهذا ما لايمكن نقضه أو رفضه ، فضلاً عن أن استرجاع المكان بتفاصيله الدقيقة وواقعيته كما شهدها كاتب السيرة يسهم في تعزيز الميثاق السيرذاتي ، ولاسيما في النصوص التي لايُصرح أصحابها بهويتها بكتابة كلمة (سيرة ذاتية) على الغلاف الخارجي للنص.

ثالثا: الشخصية:

تُعد الشخصية العماد الرئيس في العمل السيري، وهي المرتكز الأساسي في بناء السيرة الذاتية، فهي موضوع العمل، والعنصر الأساسي الذي تقوم كل العناصر الفنية بمعالجته، والعناصر البنائية بدعمه، ومن ثَمَّ فإن العناية من قبل كاتب السيرة الذاتية تكون مركَّزة على بيان أبعاد هذه الشخصية ، كذلك فإن القارئ يكون مع السيرة الذاتية عينه على الشخصية وأبعادها وأدق تفاصيلها، ويتحقق من صدق ماتقوله أو تتصف به ، ويعدُّ صدقها وأوصافها ميثاقاً ضمنياً يعقده الكاتب معه على أن مايكتبه هو سيرة حياة هذه الشخصية التي تمثله ، ومن هنا فهي العنصر الأهم في بناء السيرة الذاتية بوصفها فناً ((تلتحم فيه الذات بالموضوع ، لإبداع صورة للشخص موضوع الدراسة سواء أكانت الترجمة ذاتية أم غيرية))[٢٠٨]

تقوم الشخصية في السيرة الذاتية بالكشف عن حقيقتها الروحية ومكانتها كفردٍ في الواقع الاجتماعي، ووصف وضعها الجسماني والنفسي والاجتماعي والثقافي، لذلك يُفسر أحد الباحثين الشخصية على أنها ((خصائص تتحدد الإنسان جسمياً واجتماعياً ووجدانياً))[٢٠٩].

وقد تنبّه النقاد الى أهمية الشخصية في السيرة الذاتية، انطلاقًا من أهميتها في الفن القصصي عمومًا ، فهي بمثابة العمود الفقري للقصة، أو هي المشجب الذي تعلق عليه كل تفاصيل العناصر الأخرى، لذلك قيل: ((القصة فن الشخصية))[٢١٠] ، وفي السيرة الذاتية يُفترض أن كل ما تقوم به الشخصية من أفعال وأقوال متحقق على أرض الواقع ، فكل ما في النص يتمحور حول الشخصية (المؤلف/ الراوي) ، إذ تقوم الشخصية بشبكة علاقات

---

(٢٠٨) المذهب الأدبي للعقاد ،عبد الله بريمة فضل،(ر.د) ،كلية اللغة العربية ،القاهرة ،١٩٢٨: ٦٥.

(٢٠٩) المعجم المفصل في الأدب ،محمد التونجي ، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان،١٩٩٣ :٥٤٥/٢

(٢١٠) دراسات في نقد الرواية ، د. طه وادي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م:٢٥

مركبة عمادها المكان والفعل والارتباط بالآخرين[٢١١]، فهي المنتجة للغة والمنتجة للحوار والمنتجة لوصف الأشياء والأشخاص والمنجزة للأحداث والموثقة لها بالتواريخ وإثباتها زمكانياً ؛ إذ تقوم بالصراع من خلال سلوكها وعواطفها ، فهي أساس بناء السيرة إذ تتبني السيرة في فكر احسان عباس النقدي على وجود الشخصية المميزة الفارقة ذات الصفات الخاصة ،على المستويين الفردي والجماعي ، الشخصية التي تُثير اهتمام كاتب السيرة أولاً، وتعجب فيما بعد أذواق القُرّاء لدى تلقيهم السيرة واطلاعهم عليها ثانياً[٢١٢] .

ومن الملاحظ على الدراسات النقدية للسيرة الذاتية أنها تتناول الشخصية في سياق الحديث عن الراوي/المؤلف وانتفاء المسافة بينهما ، وإن حاول الكاتب التمويه بأساليب مختلفة كاستعمال ضمير آخر غير ضمير المتكلم ، وبما أن السارد في السيرة الذاتية هو نفسه الشخصية ، فإنَّ السارد يقوم بوظيفتين : فهو يعيش الحدث فيكون شخصية قصصية، وهو يسرد ما عاشه فيضطلع بوظيفة القص[٢١٣] .

فموقع الراوي داخل السيرة الذاتية شديد الحساسية، فالسيرة بوصفها سردًا هي حكاية يكتبها كاتبٌ ويرويها راوٍ حقيقي، وتقوم بالأحداث الهامة فيها شخصية رئيسة، أي تحبك أحداثها انطلاقًا من الشخصية الرئيسة، سيرة لهذه الشخصية وأحيانًا يصنع كاتب السيرة الذاتية مسافة بين الراوي والشخصية صاحبة السيرة، وذلك لأغراض فنية ، وهذا ما وضحه لطيف زيتوني فـ ((المسافة التي يتخذها الراوي من الشخصية، في السيرة الذاتية، تولد ما يشبه الانعكاس الذاتي الذي تحدثت عنه جدلية هيجل. وأول نتائج هذا الانعكاس وعي الراوي لحقيقته ودوره ولحصرية انتمائه إلى الحاضر. وفيما يعي الراوي حقيقته يعي أيضاً حقيقة الشخصية المروي عنها كذات منفصلة عنه ومتحدة في آن واحد، فهما متحدان في الهوية ومنفصلان في الزمن والوظيفة السردية. وهذا الوعي المزدوج يسمح للراوي بمقاربة الشخصية المروي عنها بوصفه موجوداً مستقلاً عنه، ويتيح له إبداء رأيه في أفعالها، وقد يشجعه على

---

(٢١١) ينظر، السرد المؤطر في رواية النهايات ، لعبد الرحمن منيف(البنية والدلائل) ، محمد الشوبكة، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان–الاردن،٢٠٠٦ :١٠٤

(٢١٢) ينظر : فن السيرة: ٧٥

(٢١٣) ينظر، السيرة الذاتية في مجموعة ذاكرة محلة ، للقاص فاضل محمد عبد الله، د.علي أحمد محمد العبيدي، مجلة إضاءات موصلية ، العدد ٧١ ، آيار ٢٠١٣م :٨

شيء من النقد، وقد يبلغ هذا النقد حدود إزاحة الستار الذي يحجب الأسرار، وحدود التعرية التامة أو شبه التامة))[٢١٤].

إن المعنى المقصود من الاقتباس السابق يوضح أثر الزمن على الشخصية المركزية في السيرة الذاتية ، فإن هذه الشخصية التي هي الراوي تتأثر بالفجوة الزمنية التي بين الوقائع المستدعاة من الذاكرة وما آلت إليه الشخصية في حاضرها، وهذه الفجوة الزمنية تؤثر بدورها على نظرة الكاتب لنفسه في الزمن القديم، فنرى تغيُّرات مواقفه من خلال رأيه في ذاته وسلوكها في الماضي، ويمكننا كذلك أن نلاحظ ملامح الانتماء الباقية ؛ لذا يُنبه إحسان عباس على مراعاة التدرج والتغير والتحولات التي تطرأ على الشخصية في السيرة الذاتية مع مراحل التقدم في السن، وأن يلحظ بدقة تأثير الأحداث في الخارج والداخل على نفسية صاحبها[٢١٥].

وأظهر الدارسون الفرق بين الشخصية الروائية والشخصية السيرية في إطار تداخل الجنسين وتعيين المادة السيرية في الرواية الحاضنة لهذه المادة ، إذ إن الفرق بين وضع الشخصية في كلا الجنسين ((يكمن بكل بساطة في الاختلاف القائم بين وجود الشخصية السيرذاتية ووجود الشخصية الروائية من حيث طبيعة كل منهما فالشخصية في السيرة الذاتية موجودة يشهد بذلك وجود الكاتب نفسه، فحتى وإن عمد كاتب السيرة الذاتية إلى خرق ميثاق الصدق والحقيقة عن قصد منه أو عن غير قصد، فإنه لا يمكن أن يتخلص من التطابق القائم بين الكاتب والشخصية، وهو التطابق الذي أرساه كاتب السيرة نفسه، وتظل المطابقة قائمة دائمًا بينه وبين هذه الشخصية))[٢١٦] ، ثم أن الشخصية في الكتابات السيرية محددة سلفًا، خارج الزمان و الشخصية الروائية تحمل توجهات كاتبها، أو التوجهات التي يريدها الكاتب أن تحملها ، أمّا في السيرة الذاتية فالأمر مختلف تماماً ، لأنّ السارد يستعيد شخصيته في نصه بما تحمله من توجهات وقيم، حتى ولو كانت هذه القيم والتوجهات تتعارض معه شخصياً[٢١٧] .

([٢١٤]) السيرة بوصفها شكلا سرديا:٢٢٣

([٢١٥]) ينظر، فن السيرة: ٧٧

([٢١٦]) التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية "قصة الحب والظلام لعاموس عوز نموذجًا"، د. إبراهيم دبيكي، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، مصر، العدد ٢٦، ٢٠٠٩م: ٣٠٨ .

([٢١٧]) ينظر، رواية السيرة الذاتية ، ممدوح فرج النابي:٣٥١-٣٥٢

وثمة سمات أخرى لوضعية الشخصية داخل السيرة الذاتية، تختلف بها عن الشخصية في الرواية، فشخصية السيرة الذاتية شخصية تتمتع بالحيوية، وتعيش لحظات الضعف والتردد والمكاشفة، والتحدي والصمود، وتعرية الذات ومساءلتها، والتصالح مع النفس[٢١٨].

ومن الجدير بالذكر بعد أن استطلعنا آراء النقاد حول التفريق بين الشخصية الواقعية في السيرة والشخصية الخيالية في الرواية القول بأن طرائق رسم الشخصية في السيرة الذاتية لا تختلف كثيراً عنها في الرواية أو القصة، فهي تُقدم بوصف صفاتها المعنوية وصفاتها المادية، إلا أن الصفات المعنوية تطغى في السيرة الذاتية، لأنه أدب اعتراف يفصح عما بداخل الشخصية من مكنونات نفسية ، فالمونولوج الداخلي ، ووصف الأماكن الواقعية ، وعلاقة الشخصية المركزية(المؤلف) بالشخصيات الأُخرى كلّها تقنيات تُفصح عن الصفات المعنوية لكاتب السيرة الذاتية من خلال البوح ((بالتجارب والذكريات الحميمة التي أسهمت في تشكيله الوجداني والنفسي والفكري، وأن يقترب من المناطق الحساسة التي يسعى المرء للابتعاد عنها، وعدم لفت الأنظار إليها، وأن يسعى بوعي وقصدية، في أثناء ذلك البوح والاعتراف إلى بناء معالم الذات وشخصيتها المتفردة ورسم ملامحها من المنبع إلى المصب))[٢١٩].

إن الشخصية في السيرة الذاتية هي شخصية واقعية استمدت هويتها من الواقع، إذ لا يمكن الطعن فيها، ومن ثَمَّ فالشخصيات التي تتردد داخل النص هي شخصيات أغلبها لها أثر عظيم في حياة المؤلف الإنسانية والفكرية على حد سواء، و معظم هذه الشخصيات ترتبط بالمؤلف عبر روابط حميمة ، وأهم هذه الشخصيات هي شخصيات الأب والأم، فهما أساسيان في نحت معالم الشخصية وبلورتها[٢٢٠].

وبما أن السيرة الذاتية هي ترجمة المؤلف لنفسه ،فشخصيته هي بؤرة الأحداث والزمان والمكان ، وقد يصورها مثالاً للخير ويترفع عن ذكر أي شيء يسئ لها لذلك نتفق مع الباحث عصام أبو شندي حين يرى ((وجوب تمحور السيرة حول الشخصية الرئيسية فيها، وتصويرها من الداخل والخارج بمعنى تصوير تأثير الزمن وعوامله وأحداثه على ظاهر

([٢١٨]) ينظر، تفاعل الأنواع في أدب لطيفة الزيات، زينب العسال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، عدد ١٤٠، ط١، القاهرة ٢٠٠٣م: ٣٨٣ .

([٢١٩]) السيرة والمتخيل قراءات في نماذج عربية معاصرة:٢٢٤

([٢٢٠]) ينظر، رواية السيرة الذاتية ، فرج النابي:٣٣٢

صاحب السيرة ، من حيث البنية الشخصية أو مراحل العمر ، بالإضافة إلى بيان لواعج نفسه الداخلية وأفكاره ومعتقداته–قدر الإمكان–من الولادة حتى الممات))[٢٢١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن السيرة الذاتية تعتمد على الصراع شرطاً من شروطها وملمحاً من ملامحها الفنية إذ ((إن حظ السيرة الذاتية منوط ببقاء صاحبها نفسه من عمق الصراع الداخلي أو شدة الصراع الخارجي))[٢٢٢] ، وإنّ أول من يقوم بهذا الصراع هو الشخصية المركزية في النص ، فهي من ترسم لنا وتيرة هذا الصراع مع نفسها ومع الآخرين باعتبار الصراع العامل الأبعد أثراً في تشكيل الإنسان وبلورة رؤيته سواء أكان الصراع داخلياً أم خارجيا مما يَمنح السيرة الذاتية قيمة حقيقية ؛ إذ إن (المؤلف/السارد/الشخصية) يُفرغ ما بداخله من قلق وحيرة واضطراب نفسي وهي مشاعر ولدتها صراعاته مع الحياة وحوادثها[٢٢٣].

واشترط إحسان عباس أن تكون الشخصية المركزية في السيرة الذاتية ذات تميز واضح في ناحية من النواحي[٢٢٤]، فتنقل تجربتها الإبداعية إن كانت مبدعة في مجال من المجالات كما في سيرة العقاد وجبرا إبراهيم جبرا وسيرة فدوى طوقان ؛ إذ إنّ أساس السيرة ((هو الانسان او شخصيته او تجاربه))[٢٢٥].

إذ تُعتبر الشخصية تعبيراً جمالياً لواقع معقد تتحكم فيه معايير متداخلة عدّة ،القصد منه الكشف عن جوانب متعددة من الواقع ، فإذا كانت الشخصية الروائية هي الوسيلة الوحيدة لذلك ، لأنها المعيار أو المجهر الذي يُفحص بوساطته نوعية الواقع الاجتماعي[٢٢٦]،

([٢٢١]) نقد النثر العربي في كتابات احسان عباس ،عصام حسين اسماعيل ابو شندي ، رسالة ماجستير، جامعة ال البيت، ٢٠٠٥ :٢٠١

([٢٢٢]) فن السيرة :٩٨

([٢٢٣]) يُنظر : رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم دراسة نقدية تحليلية ،سامي صدقي محمد موسى، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية في نابلس–فلسطين، ٢٠١٠ : ١٠٥–١٠٦

([٢٢٤]) ينظر، فن السيرة :٧

([٢٢٥]) فن السيرة:٣٧

([٢٢٦]) يُنظر ، الشخصية في الرواية الجزائرية(١٩٧٠–١٩٨٣)، بشير بويجرة، ديوان المطبوعات الجامعية–الجزائر:١٢

فالشخصية في السيرة الذاتية تمثل ذلك الواقع بتفاصيله وبما جرى فيه من الأحداث ، وهي تمثل حلقة تواصل بين النص والمتلقي[٢٢٧].

ويتضح لنا مما سبق أنّ السيرة الذاتية لاتحقق المتعة في نفوس القُرّاء مالم تكن قائمة على شخصية لها مميزاتها الفارقة ، سواء كانت تلك المميزات مستمدة من الأحداث الدائرة حولها أو من طبيعة السلوك الخلقي والنفسي .

وما لاحظناه من مقارنات أجراها النقاد بين الشخصية في السيرة الذاتية والشخصية في الرواية ، وإظهار مناطق التشابه والاختلاف في تشكيل الشخصية بين الجنسين ، يتبين لنا مدى الاشكالية التي وقع بها الدارسون لتحديد هوية النصوص وانتماءاتها الاجناسية ولاسيما تلك النصوص التي لم يُصرح أصحابها بسيريتها ، إذ أن مقارنات أكثرهم كانت قائمة على تفحص سيرية النصوص من خلال تفحص شخصياتها المركزية السارة .

وكان تأثرهم بالدراسات النقدية الروائية التي نَظَرت لمكانة الشخصية في بناء النص واضحاً في دراساتهم للشخصية في السيرة الذاتية.

رابعاً: الوصف في السيرة الذاتية:

لاحظ النقاد أن كُتّاب السيرة الذاتية يتفاوتون في اعتمادهم على الوصف في العمل السردي تفاوتًا كميًّا وكيفيًّا، والوصف مرتكز أساسي، يتجلى على نحوٍ خاص مع كُتّاب السيرة الذاتية، الذين يُفتنون بالفعل الكتابي، فيسترسلون في تصوير المشاهد المستدعاة من الذاكرة((في سياقها الفعلي التذكّري (يذكرني)، بوصفها الجسر الذي ينقل هذه الموجودات الوصفية إلى الحالة التي تتخيلها الذات))[٢٢٨]، ويضفون عليها شاعريةً كبيرة، تجعل الأفعال السردية تتوقف لعرض هذه المشاهد التي تتفاوت طولًا وقِصرًا من كاتب إلى آخر.

ويرى إحسان عباس أن هناك تطورًا لحق بفن السيرة الذاتية على يد المحدثين نقلها نقلة كبيرة فنيًّا، وهو يعزو ذلك التطور إلى التأثر بالغرب ، وهذا التطور يكمن في جوهره في التخفف من الأوصاف والتأملات التي كانت تحفل بها السير قديماً، فيقول: ((ظلّ أكثر السير في العالم الإسلامي مجموعة من الأخبار المأثورة أو المشاهدات، ليس فيها وحدة

([٢٢٧]) يُنظر ، بنية النص السردي في رواية (غدا يوم جديد) رسالة ماجستير،عبد الحميد بن هدوقة جامعة منتوري قسنطينة،٢٠٠٤: ١٣٨

([٢٢٨]) القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب ، خليل شكري هياس، عالم الكتب الحديث ودار جدارا للكتاب العالمي، أربد_ الأردن، ٢٠٠٩ : ٤٨٣

البناء ولا الإحساس بالتطور الزمني ، ولا تتبع مراحل النمو والتغيُّر في الشخصية المترجمة، وباختصار ظلّت السّير دون شكل تام ، ودون محتوى وافٍ كامل ، حتى العصر الحديث، حيث واجهت بعض التغير في القاعدة والطريقة ، وكان ذلك بتأثير من الثقافة الغربية))[٢٢٩].

ويُثبِت هذا الكلام الدراسات التي عُنيَت بالنصوص السيرذاتية القديمة كسيرة أسامة بن منقذ في (كتاب الاعتبار)[٢٣٠]. فقد يتضح خيط السرد بقوة في تلك الأعمال وقد يَبهت أو ينقطع تاركا القارئ لا قدرة لديه على الإمساك بخيط السرد الذي تحول إلى وصف محض[٢٣١].

وعلى الرغم من تضادية العلاقة بين الوصف والسرد، فإن السرد لا يمكن له أن يوجد بدون الوصف، إذ إن كل الأجناس السردية؛ كالملحمة والحكاية والقصة والرواية... لا يمكن لأي منها الاستغناء عن الوصف، بل إنك لتجد هذا الوصف يتبوأ فيها المنزلة الكريمة، وتقليص زمن السرد أو توقفه مرهون بطبيعة الوصف، ففي الوصف الذاتي الذي يمزج فيه السارد بين النشاط البصري والمفعول النفسي لمشاهداته، لا يتوقف السرد وإنما تتقلص حركته، في حين أن الوصف الموضوعي يمثل وقفاً تاماً لحركة السرد[٢٣٢] .

ومن أمثلة الوصف في السيرة ما لاحظه خليل الشيخ في قراءته لسيرة احسان عباس (غربة الراعي) إذ يرسم إحسان عباس ملامح الطفل في فصلين من سيرته التي حَوَت ((على اثني عشر مشهداً ، ترسم المعالم المتبقية في ذاكرة الطفل وفي مشاهد تتوزع بين خوف الطفل من الموت ، وبين الأرق الذي تسببه دقات ساعة مجهولة))[٢٣٣] وعلى هذا فان تقنية الوصف بحسب ما يرى الناقد تستعين بالذاكرة السيرذاتية من أجل تصوير أدق وأكثر حيوية ناحية من نواحي الذات السيرذاتية كالحالة الشعورية ، أو على موجودات ذات صلة حيوية عميقة بالذات الساردة، ضمن حيّز مكاني وزمني.

([٢٢٩]) فن السيرة: ٣٥ .

([٢٣٠]) ينظر ، كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، براءة محمود السقرات، رسالة ماجستير ،جامعة مؤتة،٢٠١١ : ٩٦-٩٧.

([٢٣١]) ينظر ، أنماط السرد في تراثنا العربي:٤٢٥

([٢٣٢]) ينظر، مدخل إلى نظرية القصة: تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،١٩٨٦ :٨٦-٨٨.

([٢٣٣]) السيرة والمتخيل قراءات في نماذج عربية معاصرة: ٢٢٥

وتتجلى أهمية الوصف بشكل خاص في رسم المكان السيرذاتي، إذ يرى الدكتور فاضل عبود التميمي، أن أهمية الوصف تتجلى في أنه ((يسهم في تحديد الصورة البصريّة للمكان وموجوداته، ويسعى إلى تحويل المرئي إلى مقروء، بهدف الاتصال بالمتلقي، ووضعه في قلب المكان من خلال الإحاطة بالجغرافيّة، وتفصيلاتها النفسيّة، عندها يصبح خطاباً يسم كلّ ما هو موجود بالتحديد، معطياً إياه التميّز، والتفرّد داخل نسق الموجودات المشابهة له، أو المختلفة عنه ، فهو مهيمن شعريّ تعمل لغته على إبطاء حركة السرد المتنامية إلى الأمام بهدف تقديم مشهد ممزوج بالتأمل))[٢٣٤]. ولعلّ هذه الأهمية للوصف في رسم المكان هي الأكثر دورانًا في بحوث النقاد التطبيقية على السيرة الذاتية[٢٣٥].

وقد يُضفي كاتب السيرة الذاتية طاقة جديدة من العمق والهدوء والأصالة إلى دلالات المكان والموجودات في وصفه لها ،فضلا عن حساسية الدهشة والتفرد والذاتية من خلال إدراكه لحساسية هذا المكان وموجوداته وهذا الإدراك له تأثيره على جودة وفنية العمل فإنّ((جودة العمل الفني ودقة وصفه منوطتان بقوّة هذا الإدراك ووضوح الصور والجزئيات في الذهن))[٢٣٦] .

ولا يقف وصف كاتب السيرة عند وصف المكان أو وصف الحالة النفسية والشعورية التي مرّ بها ، فالأحلام والتخيلات أيضاً تدخل في الوصف كونها جزءاً من حياة صاحب السيرة ، وتعبير عن الحالة النفسية التي يكون عليها ، وتعبر عن طموحه وتطلعاته، وهذا ما أثبتته الباحثة ندى محمود الشيب في قراءتها لسيرة حسين البرغوثي(الضوء الأزرق)، ((فقد كان للأحلام والتخيلات دور بارز في سيرته الذاتية، وهو يصف الحالة اللاشعورية التي كانت تمر به وكأنها حلم، تلك الحالة التي تشعره بقرب الجنون، وأنه على حافة الانهيار فقد كانت هذه الحالة اللاشعورية تعبيرًا عن قلق نفسيته، وعما يختلج داخلها من خوف وغربة وهو يتعرض في أكثر من موضع من سيرته للأحلام التي كانت تطارده))[٢٣٧] ، فهو هنا

([٢٣٤]) وعي الذات. قراءة في كتاب سرد الذات للسلطان محمد القاسمي : ٦٤

([٢٣٥]) ينظر ، سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات: ١٢٣ ، و التشكيل السيرذاتي التجربة والكتابة : ٩٧

([٢٣٦]) المدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا)، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨ : ٦٥ .

([٢٣٧]) فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢، ندى محمود مصطفى الشيب، رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية،٢٠٠٦ :١٢٥-١٢٦

يفتح نافذة للتخييل على ما موجود داخل ذاكرته ويكشف عن مدى تأثيره على حياته الشخصية ورغبته في نقل هذه الخلجات النفسية للقارئ باسترجاعها من ذاكرته المتوهجة.

إنّ استثمار تقنية الوصف، ودفعها في نطاق السيرذاتية على النحو الذي يعمّق طاقتها السردية ويمنحها بعداً تقنياً مميزاً يستجلي البعد النفسي للكاتب، يظهر في وقوف محمد الباردي عند تلك التقنية في قراءته لسيرة الكاتبة نوال السّعداوي (أوراقي حياتي) التي تنطلق من فضاء الذات المغتربة الساردة ، وقد كتبت سيرتها بعيدا عن بلدها فوجدها((تطنب في وصف الوضع المقامي، فهي تكتب حياتها الشّخصيّة في بلد ليس بلدها وفي ظروف نفسيّة ليست عاديّة))[٢٣٨] ، لذلك تظافرت أجواء الغربة والهجرة القسرية ومكان الإقامة التي تصفها الكاتبة في وصف حالتها النفسية الفزيولوجيّة .

ويرى أحد الدارسين أنّ البدايات الوصفية للنص تعمل على إضاءة جوانب من النص السيرذاتي وتأكيد تفاصيلها ، مع إسقاط جوانب أخرى ، وذلك كي يتسنى وصل بين ما قيل في السابق، وبين ما يليه ويلحقه [٢٣٩] ، ومثل هذه البداية الوصفية وجدتها الباحثة مريم حسنات في قراءتها لسيرة سيد قطب (طفل من القرية) [٢٤٠] .

والبداية الوصفية المشهدية تجلو الغموض عن حركة الأبطال وتكشف عن قسم من حواراتهم دون أن ينفلت عنصر الزمن كما المكان من الذكر ذلك أن العلاقات القائمة بين الشخصيات تُقدم مختصرة مُفسرة.[٢٤١]

ويستطيع كاتب السيرة الذاتية أن يدخل إلى نفسية الشخصيات عن طريق وصفها من الداخل وسبر أغوارها وتحليلها والكشف عنها للقارئ كما في سيرة (ابن القرية والكتاب) للقرضاوي[٢٤٢].

ومع هذا يرى محمد الباردي أنه لا يجب أن يستغرق الكاتب في الوصف إلى حدٍّ المبالغة ، كما فعل إبراهيم المازني ، فقد امتلأت سيرة المازني (حصاد الهشيم) بالوقفات

([٢٣٨]) عندما تتكلم الذات:٥٢

([٢٣٩]) ينظر ، البداية في النص الروائي ، نور الدين صدوق، دار الحوار للنشر والتوزيع ،اللاذقية- سوريا- الطبعة الأولى،١٩٩٤: ٦٢.

([٢٤٠]) ينظر ، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث:٢٢٢

([٢٤١]) ينظر ، البداية في النص الروائي:٦٣

([٢٤٢]) ينظر ، السيرة الذاتية في الأدب الإسلامي الحديث:٢٢٢

التأملية الوصفية، فـ((نتج عن هذه الاستطرادات الكثيرة في النصّ أن تعطّل السّرد وتقطّع القصّ لكي يقف تماما في الفصول الستّة الأخيرة ليتحوّل السّارد إلى متأمّل في الحياة فيتحدّث عن انقباضه من النّاس وتشاؤمه ويتحدّث عن السّلوك وتغيّر الأحوال وعن إعادة طبع ديوانه الشّعري))[٢٤٣].

وبناءً على الكلام السابق من أمر التكامل بين الوصف والسرد يرى النقاد أن الوصف في السيرة الذاتية وصف لمحسوسات واقعية، ليست بريئة تمامًا من التخييل، فتصوير الكاتب للمشاهد يأتي عبر رؤيته هو للأشياء، والأماكن، والشخصيات، فالسيرة الذاتية تعبر عن وجهة نظر (الأنا) تعبيرًا خالصًا، فقد يحكي كاتب سيرة ذاتية عن موطنه الريفي مبينًا ما كان عليه من ثراء وجمال، وكذلك مدينته الهادئة، فكل هذه الأوصاف تأتي بحسب ما يراها هو، فكاتب السيرة هو من يقود عملية الاستعادة من الذاكرة، وهو الذي يقدم للقارئ المشاهد عبر منظوره السردي .

وأخيراً تبين لنا في هذا المبحث أن تلك المرتكزات هي عناصر مهمة في تكوين البنية السردية لكل أنواع السرود ، وقد يجد الباحث تشابهاً كبيراً بينها في الرواية وفي السيرة الذاتية ، فلا مناص لدارس البنية السردية للسيرة الذاتية من الاطلاع على المنجز النقدي النظري الخاص بتقانات السرد الروائي والقصصي، والإفادة منها وإدراك أهمية هذه التقانات وصيغها ومجالات عملها ، إذ نجد الدارسين يتحدثون عن أهمية الزمن في السيرة الذاتية انطلاقاً من أهميته في الرواية ، وكذلك المكان ... وهكذا بالنسبة لبقية العناصر، وهذا أمر طبيعي لأن فن السيرة الذاتية يمثل فرعاً رئيساً ومهماً في منطقة السرد القصصي .

([٢٤٣]) عندما تتكلم الذات: ٢٨ .

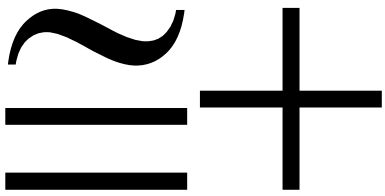

السيرة الذاتية المهجنة ونشوء الأنواع الجديدة

المبحث الأوّل : تداخل السيرة الذاتية مع الرواية

المبحث الثاني : تداخل السيرة الذاتية مع القصة

المبحث الثالث : تداخل السيرة الذاتية مع الشعر

المبحث الرابع : التجارب الذاتية

مدخل

إنّ انفتاح السيرة الذاتية على الفنون الإبداعية أدى إلى تهجينها مع الأجناس الأدبية الأُخرى ونشوء أنواع جديدة ، وهذا بدوره شجع الدارسين على مواكبة هذا الانفتاح للوقوف على الإشكاليات الفنية التي أحدثت خرقاً للأعراف والمفاهيم في الأجناس الأدبية بين الأنواع بوصفها فنوناً مهجنة تتداخل فيها السيرة الذاتية مع أجناس أدبية أُخرى من أكثر من جنس ، ومن ثم البحث عن مواضع التشابه والاختلاف بينها.

فقد لاحظ الدارسون أن هناك من المبدعين من سخر عناصر الأجناس الأدبية التي يمارسها لكتابة سيرة حياته، فنتج عن ذلك أنواع أخرى مغايرة للسيرة الذاتية ، لا تشبهها في كل قواعدها وأعرافها وتفاصيلها ، وبذلك فهم ينجزون بنية مختلفة ((تعمل هذه البنية على تشييد فضاء تشكيلي سيرذاتي لا يلتزم بالمعايير والتقاليد الكتابية في فن السيرة الذاتية على نحو مطلق ، بل يتحرّك الكاتب داخل اطار هذا التشكيل بحرية ورحابة تؤهّله لكتابة نص سيرذاتي خارج معطيات العناصر والآليات التقليدية المعروفة))[٢٤٤]، وتنوعت الأجناس الأدبية التي تهجنت مع السيرة الذاتية بين رواية، وقصة، ومقالة، وشعر، وخاطرة، ورسائل، يقول عبد الله ابراهيم: ((إن نهوض الأنواع القصصية اعتماداً على الحكاية يعد أساساً إلى قانون تفكك الأجناس الأدبية إلى أنواع ، ومحاولة تخليق كيان خاص يرتبط بالأصل بوشائج معينة))[٢٤٥]، ولمعرفة أهم الأجناس الأدبية التي تداخلت وتهجنت مع جنس السيرة الذاتية ، والإشكاليات النقدية التي ترتبت عليها بين النقاد في قضايا نقدية أهمها: (المصطلح ، والمفهوم، والتجنيس، والتطبيق على النصوص)، معتمدين في تقسيم تلك المباحث بحسب أنواع الفنون التي تتداخل مع السيرة الذاتية مبتدئين بالفنون السردية وهي : القصة ، والرواية في المبحثين الأول والثاني ، ثُم تداخلها مع الشعر في المبحث الثالث ، أما المبحث الرابع المعنون بـ(التجارب الذاتية) فهو يَضم نشوء الأنواع الجديدة التي اجتهد بعض الدارسين في الوقوف عندها مُعلنين أنها تنتمي إلى السيرة الذاتية ولكنها تختص بكتابة التجارب الذاتية الإبداعية لكاتبها، كاشفاً فيها للقارئ عن أسرار شهرته ونبوغه الإبداعي وجوانب رحلته الفنية والأدبية.

المبحث الأول

([٢٤٤]) التشكيل السيرذاتي التجربة والكتابة: ١٣٣

([٢٤٥]) المتخيل السردي مقاربات نقدية عبد الله ابراهيم ، المركز الثقافي العربي،١٩٩٠: ١٧

تداخل السيرة الذاتية مع الرواية

أولاً : اشكالية المصطلح والمفهوم :

تُعدُّ الرواية من أكثر الأجناس الأدبية قرباً من السيرة الذاتية ، من حيث البناء الفني[٢٤٦]، و لها من متعة القص والتشويق وإجادة السرد ما يقربها من الرواية[٢٤٧] ، حتى إن المسافة بين الجنسين تكاد تكون قابلة للإلغاء والتجاوز حسبما يرى الناقد حاتم الصكر إذ يقول: ((فنياً تقف السيرة الذاتية على مسافة قابلة للإلغاء والتجاوز من التاريخ والرواية بكونهما أكثر الحقول قرباً منها وكذلك من أكثرها تغذيةً لها بالمادة السيرذاتية))[٢٤٨]. فقد مارس المكون الذاتي حضوراً فاعلاً في المادة الروائية ، وقد لاحظ بعض الدارسين أن الرواية بلغت أوجّ تجربتها كنص مفتوح لكل إمكانات التجديد في القرن العشرين فكتبت الرواية بكل اللغات لغة الشعر والمسرح والموسيقى والحكاية والسيرة[٢٤٩] ((وإذا كانت القصة في السيرة الذاتية واقعية مسترجعة معاداً خلقها، فإنّها في الرواية متخيلة غير أنّ مكوناتها مستجمعة من تجارب الروائي ووعيه الاجتماعي والجمالي والفكري لتحمل شتاتاً سيرياً))[٢٥٠].

إن هذا التهجين حظيَّ بعناية كثير من الكُتّاب في الأدب العربي الحديث ، فخلطوا بين المكونات الذاتية والمكونات التخييلية بفنية عالية تمخضت عنها أشكالاً جديدة[٢٥١] .

ووصفت يمني العيد هذا التهجين بأن السيرة تتوسع لتأخذ أشكالاً فنية أخرى كالقصة والرواية ، أي أنّها لا تلتزم بقالب ثابت للصياغة[٢٥٢] .

أما جابر عصفور فيعزو هذا التداخل ، والخروج عن القواعد المعروفة للسيرة الذاتية الخالصة إلى أن فن السيرة قد يميل إلى طرف التخييل، فتهيمن عليه الوظيفة الأدبية وتصل إلى النقطة التي تتحول فيها إلى عمل من أعمال القص، وهو ما يقود إلى تجنيس نوع من أنواع الرواية تحت اسم (رواية السيرة الذاتية) وهي الرواية التي تنطوي على حياة

---

(٢٤٦) يُنظر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا ، احسان عباس نموذجاً: ٢١

(٢٤٧) يُنظر ، على هامش الأدب والنقد ،علي ادهم،دار المعارف، القاهرة، ط١ ،١٩٧٩ :٣٨

(٢٤٨) البوح والترميز القهري:٤٩.

(٢٤٩) يُنظر ، رواية السيرة الذاتية فضيلة الفاروق انموذجا، الباحثة نجاة السويسي ، رسالة ماجستير، الجزائر : ١٢

(٢٥٠) السيرة الذاتية الروائية في النصف الثاني من القرن العشرين ، جولان حسين جودي ساني ،اطروحة دكتوراه ،جامعة الكوفة ،٢٠٠٨ : ١٤

(٢٥١) يُنظر ، موسوعة السرد العربي،عبد الله ابراهيم،المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،٢٠٠٨: ٤١٧/٢.

(٢٥٢) ينظر ، السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة، د. يمنى العيد، مجلة فصول العدد (٤)-١٩٩٧ :١٣.

كاتبها[٢٥٣].

إنّ تبادل التأثر والتأثير مع الأجناس الأخرى أدى إلى اختلاف طرائق التعبير والتشكيل في النصوص السيرية والروائية[٢٥٤] وأصبحت أكثر التباساً فكثيراً ما ننظر إلى الرّواية على أنّها في وجه من وجوهها جنس سير ذاتي[٢٥٥].

وقد نبه منظرو السيرة الذاتية الغربيين من قبل على العلاقة بين الجنسين ، فقد أطلقوا على السيرة التي تُكتَب بالشكل الروائي مصطلحا تمت ترجمته بـ (السيرة الذاتية الروائية)[٢٥٦].

والمسألة التي يجدرُ الإشارة إليها هنا هي إشكالية التداخل المصطلحي بين الجنسين ، والتي ترتبَ عليها اختلاف الآراء بين النقاد والدارسين في قضية المصطلح لهذا النوع الجديد، وقضية تحديد هوية النصوص المقروءة ، وتحديد عناصر وسمات النوع الهجين، الذي يستثمر طاقاته وتقنياته من السيرة والرواية معاً ، أما ما يخص المصطلح فنجد أنّه يتباين عند من درس هذا النوع بين مصطلح (السيرة الذاتية الروائية) ، ومصطلح (رواية سيرة ذاتية) أو (الرواية السيرذاتية) فهناك من يفرق بين المصطلحين في المعنى، وهناك من لم يفرق فيجمع بين المصطلحين تحت دلالة واحدة .

ولا مراء في أن اشكالية تحديث المصطلحات أو نقلها أو توحيدها كانت ولا تزال من بين المسائل المهمة في التفكير النقدي ، إذ ((أخذت فعالية التداخل بين الفنون الآن بعداً واسعاً وعميقاً وديناميا... وأصبح التضافر والتلقي والاستيعاب والتشغيل والدمج من الأمور الماثلة والطبيعية في ظل هذا المناخ ، وهو يحقق الصورة الأكثر حضوراً وصيرورة لجدوى هذا التداخل وقيمته ومعناه))[٢٥٧] .

---

(٢٥٣) يُنظر : زمن الرواية:٢٠٦ – ٢٠٧.

(٢٥٤) ينظر ، كتاب عمان (حوارات ثقافية في الرواية والنقد والقصة والفكرة والفلسفة ، حوارات مع بوشوشة بن جمعة)، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية :٢٥٣ .

(٢٥٥) يُنظر : عندما تتكلم الذات: ١١.

(٢٥٦) يُنظر : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٢١

(٢٥٧) التشكيل مصطلحاً ادبياً ، محمد صابر عبيد ، مجلة الرافد تصدر عن دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، العدد ١٥٦ اغسطس ٢٠١٠ :٢٨

فمصطلح (رواية السيرة الذاتية) عند كل من جابر عصفور[٢٥٨]، والناقد معجب الزهراني [٢٥٩] ، وقحطان البيرقدار[٢٦٠] ، ودمج محمد صابر عبيد بين مصطلح (رواية) ومصطلح (سيرة) فأسماه (الرواية السيرذاتية)[٢٦١] .

وأطلق عليه عبد المحسن طه بدر(رواية الترجمة الذاتية) وهو يرى أنّ السيرة الذاتية منبعٌ هامٌ استفادت منه التجربة الروائية[٢٦٢]

أمّا الذين استعملوا مصطلح (السيرة الذاتية الروائية) فهم يحيى ابراهيم عبد الدايم [٢٦٣]، وعبد الله إبراهيم[٢٦٤] ، وصالح معيض الغامدي[٢٦٥]، وحاتم الصكر[٢٦٦] .

ووقف بعضهم على اسباب اختيار هذا المصطلح أو ذاك ، يقول يحيى إبراهيم عبد الدايم معارضاً الدكتور عبد المحسن طه بدر في الاصطلاح على هذا النوع (رواية الترجمة الذاتية)، وجعله عنواناً لفصل من فصول كتابه (تطور الرواية العربية الحديثة في مصر): ((ربما كان اسماً يتجافى مع الصواب ، لأنّ النقاد الغربيين يطلقون على الترجمة الذاتية المصوغة في قالب روائي اسم (Novelized autoiography) ولعلّ الترجمة الموافقة لهذا المصطلح ((الترجمة الذاتية الروائية)) [٢٦٧] .

أما الناقد عبد الله إبراهيم فقد كان أكثر وضوحاً من سابقيه في التفريق بين المصطلحات ومعانيها ، فيرى أن السيرة الذاتية الروائية لا تنتسب إلى الرواية بل إلى السيرة الذاتية التي تُصاغ بشكل روائي ، السيرة التي تستعير كثيراً من مستلزمات الرواية والسيرة ، أما رواية السيرة فهي رواية الشخصية المركزية، كما أن السيرة تعتمد الشخصية ، ويستعين بمخطط سلم الألوان لجورج ماي ، حيث يعتمد (اللون) و(نوع الكتابة) لتحديد مفاصل التداخل بين السيرة والرواية ، وصولاً إلى اللونين الأخضر والأصفر ، الذي يحدد في الأوّل هيمنة الرواية

---

(٢٥٨) ينظر، زمن الرواية:٢٠٦ ، ٢٠٧.
(٢٥٩) يُنظر ، مقاربات حوارية ، معجب الزهراني ،مؤسسة الانتشار العربي ، بيروت–لبنان، ط ١ ،٢٠١٢ : ٩١–٩٢ .
(٢٦٠) يُنظر ، رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيَّل (تمهيد.. ومحاولة تعريف)، قحطان بيرقدار: www.alukah.net/Literature_Language / ٢٠١٣/٣/١٦
(٢٦١) ينظر تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٩
(٢٦٢) ينظر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر:٣٧٣
(٢٦٣) يُنظر ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:١٢٦
(٢٦٤) يُنظر ، موسوعة السرد العربي:٤١١/٢
(٢٦٥) يُنظر ، كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية: ١٤٨
(٢٦٦) يُنظر ، البوح والترميز القهري:٥٣
(٢٦٧) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٤٣٣

على النوع ، فهي رواية مكتوبة بطريقة سيرية ، أما اللون الثاني فهي سيرة ذاتية مكتوبة بقالب روائي مستمدة عناصرها من السيرة والرواية معاً[٢٦٨] .

ويحاول الناقد صالح معيض الغامدي أن يناقش تلك المسألة لافتاً النظر إلى ضرورة التفريق بين المصطلحات ، وضرورة التفريق بين أن تُكتب سيرة ذاتية في قالب روائي ، وبين كتابة رواية بأسلوب سيرة ذاتية ، وهو ما لم يَعرهُ بعض الباحثين أهمية فوقعوا في مطب الخلط بين الأنواع ؛ إذ يرى ((أن ثمة تغيباً واضحاً لمفهوم محدد ودقيق لمصطلح (رواية السيرة الذاتية) في كثير من هذه الدراسات ، و ينبغي أن نلاحظ كذلك أن هذا المصطلح لا يعني عند كثير من هؤلاء النقاد مجرد توظيف الكاتب لجوانب من سيرته في عمله الروائي ، لأن هذا أمر متعارف عليه ومفروغ منه في كل عمل ابداعي سواء أكان رواية أم قصة أم قصيدة ، بل يعني عموماً أن الكاتب يكتب سيرته الذاتية تحت قناع روائي))[٢٦٩]، وفي التفريق بين المصطلحين يرى أن (السيرة الذاتية الروائية) هي سيرة ذاتية في قالب روائي، أما مصطلح (رواية السيرة الذاتية) هي رواية استثمرت تقنيات وأسلوب السيرة الذاتية مثل ضمير المتكلم ، والسرد الكرونولجي المستقيم أو أسلوب السرد المباشر للوقائع والأحداث ، والاسترجاع ... الخ ، ويتضح ذلك في كلامه إذ يقول: ((السيرة الذاتية المصوغة صياغة روائية (السيرة الذاتية الروائية) ، والرواية المصوغة بتقنيات السيرة الذاتية (الرواية السيرذاتية)، فالأولى سيرة ذاتية من حيث الجنس الأدبي ، ورواية من حيث الصنعة، أمّا الاخرى فرواية من حيث الجنس الأدبي وسيرة ذاتية من حيث الصنعة ، فالأُولى في حالة تأكد عقدها القرائي السيرذاتي هي بلا شك سيرة ذاتية ، أمّا الأُخرى فهي رواية ، الأُولى تحيل على عالم حقيقي أو على الاقل توهم بالإحالة عليه ، على الرغم من أنّها تتوسل إلى ذلك بتوظيف كثير من أساليب الرواية بما في ذلك الخيال ، أمّا الأُخرى فتحيل على عالم متخيل حتى وإن استثمرت بعض جوانب حياة كاتبها وبدت في بعض الأحيان أشدُّ واقعية من الواقع ذاته))[٢٧٠]

؛ لذا فهو يُرجح مصطلح (السيرة الذاتية الروائية) ويُرجعهُ إلى جنس السيرة الذاتية لأن

([٢٦٨]) يُنظر : موسوعة السرد العربي: ٢/٤١٤-٤١٥.
([٢٦٩]) كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية: ١٤٧
([٢٧٠]) م.ن : ١٤٨

الأحداث فيه تحيل إلى وقائع حقيقية.

أمّا الدكتور حاتم الصكر فيرى ان مصطلح (السيرة الذاتية الروائية) أقرب إلى فهم طبيعة العمل الأدبي من اقتراح نوع (رواية السيرة الذاتية)، ويضع لذلك مبررات فنية وجمالية متمثلة بالآتي:

– عدّ السيرة الذاتية حاضنة للنوع الجديد ، وبذلك يكون من المؤكد تحقق شروط السيرة الذاتية من مطابقة بين الأنوات الثلاث ، وضمير الأنا المعبر عن الذات .

– واستحضار الأحداث الماضية بوساطة تقنية الاسترجاع .

– ووجود إشارات وإلماحات توثق واقعية الأحداث.

– التخفف من الخيال المستعمل في السرد الروائي لتصبح العلاقة علاقة مماثلة لا مطابقة كما في السيرة الذاتية التي تستلزم تحقيق التطابق لتأكيد الميثاق.

– استثمار امكانات كلا النوعين في النوع الجديد انطلاقا من قصد المؤلف الذي يبتغي استعادة تجاربه الشخصية من خلال عنصر السرد ، وهو العنصر المهيمن على باقي عناصر السيرة الذاتية ، ويتضح ذلك من تعريفات السيرة الذاتية لدى مُنظّريها والمشتغلين على نصوصها .

– تهيئة المتلقي للنص بكونه (سيرة مرويَّة) لا (رواية خالصة)، ليستنفر من بعد خبرته وثقافته وذخيرته لتعيين النص.

– أن تكون الحيل السردية والتقنيات المستعارة من الرواية بما يتناسب مع النوع الجديد

–استثمار العتبات النصية في توجيه عملية القراءة لتأكيد الجانب السيري من النص[٢٧١].

وبعد أن اطلعنا على المبررات التي ساقها الصكر ، نرى أن أكثرها لا علاقة لها بالمصطلح، ولا يعدُّ سبباً لجعله الأنسب والأقرب إلى النوع الهجين، وإنما هي علامات يهتدي بها المتلقي لتمييز النوع بأنه سيرة ذاتية كتبت في قالب روائي ، فالكاتب يستثمر تقنيات وأساليب وحيل السرد...في الرواية لكتابة سيرته ، مع عدم مبالغته في التخييل كما لو أنّهُ يكتب رواية خالصة ، أنما يحدث امتزاج التخييلي بالواقعي ، وهو من المعروف والمتفق عليه بين النقاد ، وهو ما أكده منظّرو السيرة جورج ماي وفيليب لوجون من قبل أنّ شرط (التطابق) بين الكاتب والشخصية المركزية في النص السير ذاتي يتحول إلى (التماثل) في

---

(٢٧١) يُنظر ، البوح والترميز القهري:٥٤–٥٥

السيرة المكتوبة بشكل روائي ، أما استثمار العتبات النصية فهو شأن راجع إلى الكاتب في كيفية وطريقة استثمارها ، وتلك الأسباب لا تبرر تفضيل الناقد لمصطلح (السيرة الذاتية الروائية) ، أما قوله بان هذا المصطلح يوحي بـ الانطلاق من منطقة (السيرة الذاتية) وما تفرضه كحاضنة لهذا النوع (الهجين) الجديد؛ فهو قول قد يبدو مقنعاً بأن النوع راجع إلى جنس السيرة وكُتِبَ بشكلٍ روائي، ويتبين لنا أن الناقد تأثر برأي من سبقوه فعبد الدايم فضل استخدام مصطلح (السيرة الذاتية الروائية) [٢٧٢].

أمّا المصطلح الثاني وهو: (رواية السيرة الذاتيّة) فيعزو الناقد محمد الباردي سبب تفضيله لهذا المصطلح كونه يعد شكلاً من أشكال الرواية وأنواعها ، فهو يستخدم مصطلح الشكل بمعنى النوع ، إذ ((إنّ ثمّة علاقة لهذا الجنس الحديث بأجناس أدبيّة أخرى قريبة منها (اليوميّات – أدب الوقائع – الرّواية. السّيرة...) فهي من باب الاستعارة لبعض المقوّمات الفنيّة لا غير ، وخلافاً لذلك نحن نعتقد أنّ هذه الاستعارة ذات الأوجه المتعدّدة تضع حدوداً فاصلة بين أنواع مختلفة داخل الجنس الواحد ألّا وهو السّيرة الذّاتية وها نحن نستعمل مصطلح الشّكل بمعنى النّوع ، فكما نتحدّث في الرّواية عن أنواع شأن الرّواية التاريخيّة والرّواية الذّهنيّة ورواية السيرة الذاتيّة ... يمكن أن نتحدّث في السّيرة الذاتيّة عن أنواع هي تلك الأشكال التي ذكرناها آنفا))[٢٧٣] ، ويبدو أن الباردي كان يقصد الرواية التي تستثمر تقنيات واساليب السيرة الذاتية في الكتابة ، وهذا يعني أنهُ أرجع جنسها إلى الرواية ، وليس إلى السيرة ، فهي شكل من أشكال الرواية.

ويجتهد الناقد محمد صابر عبيد بمحاولة في التحديث على صعيد المصطلح ، وحاول إضفاء مفهوم جديد عليها ، أو تحديد مجال جديد لاستخدامها ، يختلف عما شاع ودرج في الاستعمال النقدي المتداول انطلاقاً من الرؤيا الخاصة للناقد والمنبثقة أساساً من طبيعة تصوره ، فقد أدرك أن تقانات السرد السيرذاتي ((تتداخل تداخلاً كبيراً مع أنماط السرود الأدبية المختلفة الأخرى ولاسيما الرواية ، وذلك لأن فن السيرة الذاتية يُمثل فرعاً رئيساً ومهماً في شجرة السرد القصصي، وتبقى مادتها مرجعاً وممولاً أساساً ومركزياً لبقية أنواع السرود))[٢٧٤]، وذهب إلى أنّ النوع الذي تُكتب فيه سيرة حياة في شكل روائي يُسمى

---

(٢٧٢)ينظر، الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث:٤٣٣.

(٢٧٣) عندما تتكلم الذات: ١٥٦.

(٢٧٤) المغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–: ٥٧١

(الرواية السيرذاتية)، وهو مصطلح اشتقه الناقد من دمج جنسين أدبيين معاً (الرواية) و(السيرة) ، وهو عمل روائي يستند على السيرة الذاتية للروائي[٢٧٥] ، أما مصطلح (السيرة الذاتية الروائية) فهو يختلف عن المصطلح السابق ؛ إذ إنّه ينقل التجربة الروائية فقط من حياة الكاتب إلى القارئ، فلا يكتب الكاتب فيها سيرة حياته إلا بالقدر الذي له صلة بسيرته الروائية ونجاحها ، فهي: ((سرد نثري سيرذاتي يتوجّه فيه الراوي إلى تقويم سيري لتجربته الروائية، يشتمل على نقل حكايته مع الرواية والكتابة الروائية إلى القارئ، ولا يتحقق ذلك بطبيعة الحال إلّا على يد روائي له حضور مؤثّر ولافت في ميدان الإبداع الروائي، وله تجربة فيها من الثراء والخصوصية والسعة ما يُؤكّد انطواءها على خبرة وعمق وأصالة تدفع القارئ إلى البحث عنها وتُشجعه على ارتيادها والإفادة منها))[٢٧٦] .

ونقترح الاصطلاح على ما سمّاهُ عبيد (السيرة الذاتية الروائية) بـ(التجربة الذاتية الروائية) ، وهو الأنسب من وجهة نظرنا ؛ لأن الكاتب يُعنى فيها بنقل جانب من جوانب حياته وهو تجربته الروائية ، وما يتعلق بذلك من نجاح وشهرة في مجاله الإبداعي من بين حصيلة التجارب الذاتية التي تشتمل عليها سيرته، فلفظة (سيرة ذاتية) برأينا تشمل كل تجارب الكاتب من طفولته إلى لحظة الكتابة وليس تجربته الإبداعية حصراً ، وهذا يَنطبق على من يكتب تجربته الشعرية أو القصصية أو النقدية ، وقد أطلق عليها الناقد السيرة الذاتية الشعرية والسيرة الذاتية القصصية والسيرة الذاتية النقدية [٢٧٧] ، غير أنّها تجارب لا تُعبر سوى عن تجربة الكاتب الإبداعية فقط ، وما تذكره من سيرة الحياة يجب أن يكون بقدر صلته بالتجربة الإبداعية ، وإلا فلا داعي لذكره ؛ لذلك فإننا نقترح التعديل على هذه المصطلحات ، وفي الوقت ذاته لا ننكر جهوده الحثيثة في وضع تعريفات دقيقة لتلك الأنواع[٢٧٨]، وتطبيقاته على النصوص الإبداعية المتنوعة[٢٧٩] في قراءات نقدية شيقة تدل على وعيه النقدي في فن السيرة الذاتية والأنواع المتفرعة عنها، فقد رأى أنّها قضايا مجتمعة تستحق المتابعة والدراسة ، واهتم بدراستها وسلط الضوء على مظاهرها وتجلياتها في نصوص متنوعة وتجارب

---

(٢٧٥) ينظر، تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٣٩

(٢٧٦) م . ن : ١٣٧ .

(٢٧٧) ينظر، م . ن : ١٣٦ ، ١٣٧.

(٢٧٨) ينظر، معجم مصطلحات السيرة .تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٣٥ .

(٢٧٩) ينظر، السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية:٤٠-٤١-٩٥ ، و تمظهرات التشكيل السيرذاتي:٩٥-١٢٧، وبلاغة العلامة وتأويل الرؤيا من السيرة إلى التجربة الأدبية :١٩١-٢٢١

مختلفة.

وفي مراجعتنا لعدد من الدراسات الأكاديمية[٢٨٠] التي تناولت هذا التداخل بين السيرة الذاتية والرواية لم نقف فيها على جديد يُذكر في المصطلح أو المفهوم ، بل هي دراسات اتباعية كررت ما جاء به النقاد مع عدم الإضافة ، وهناك من الباحثين من لا يُفرق بين المصطلحين (السيرة الذاتية الروائية) و (رواية السيرة الذاتية) ويُرجعهما إلى معنى واحد[٢٨١].

ونرى أنّ من الخطأ تجاوز الفرق بين المصطلحين ، ونذهب إلى ما ذهب إليه الناقد محمد صابر عبيد أن (الرواية السيرذاتية) هي رواية تعتمد اعتماداً شبه كلّي على الوقائع السيرذاتية عبر التخييل الذي يُتيح للكاتب التمويه والتخفي ، مع تغلب الواقعية على المتخيل، وإن هذه الأحداث الواقعية جرى العبث بها عن طريق إضافة خيال روائي وبعض تقنيات الجنس الروائي كاللعب بالزمن أو إعادة ترتيب الأحداث أو استلهام بعض مفردات تيار الوعي كأحلام اليقظة أو الكولاج الروائي أو التناص بأشكاله.

ولانتفق مع من اقترح مصطلح ((رواية السيرة الذاتية)) على الرواية التي استثمرت تقنيات وأساليب السيرة الذاتية ، وهي رواية تتحدث عن سيرة شخصية خيالية وليست سيرة المؤلف ذاته ؛ لأنها عمل روائي خالص ليس إلا وإن وظف فيها الروائي مفردة من مفردات الواقع.

أما مصطلح ((السيرة الذاتية الروائية)) فقد أقترحنا تعديله ليصبح (((التجربة الذاتية الروائية)) التي يُقصد بها كتابة المبدع لتجربته الذاتية الإبداعية وتاريخ منجزه الروائي.

ويبدو أختلاف النُقاد في مسألة التجنيس وعدم اتفاقهما على إرساء أُسس وقواعد عامة لهذا النوع الجديد مردهُ أن الحدود الفاصلة بينهما غائمة زئبقية ووهمية ؛ لأن كلمة (روائية) تقود القارئ الى إدراج بعض النصوص في هذه المنطقة أو يصعب عليه تمييز هويتها ، وهو ماحدث في نص (الأيام) لطه حسين على سبيل المثال ، فعبد المحسن طه بدر صنفه

---

(٢٨٠) ينظر،جماليات تماهي الأنا والأنا الآخر في رواية السيرذاتية بحر الصمت لياسمينة صالح أنموذجا،قوادي نعيمة،رسالة ماجستير،جامعة حسيبة بن بو علي –الشلف– كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٩، ورواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق ،نجاة سويسي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة ، ٢٠١١ :٧ ، فن السيرة في كتابات نزار قباني النثرية، رسالة ماجستير ، صبرينة جعفر، جامعة المسلة ، ٢٠١٢–٢٠١٣ ،و جماليات الرواية السيرية رواية السمك لايبالي لانعام بيوض نموذجا، كريمة غيتري،رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد–تلمسان–، الجزائر،٢٠١٣.

(٢٨١) ينظر، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم دراسة نقدية تحليلية ، سامر صدقي محمد موسى، جامعة النجاح الوطنية،٢٠١٠: ٦٨

على أنه (رواية سيرة ذاتية)[٢٨٢] ، في حين صنفه يحيى ابراهيم عبد الدايم في منطقة وسط بين السيرة الذاتية الروائية والرواية الفنية[٢٨٣] .

أما المفهوم فقط حاول الدارسون وضع تعريف محدَّد لهذا النوع الأدبي ، على الرغم من وصفه بأنه أحدث الأنواع الأدبية على الإطلاق، والإشكاليات النقدية التي رافقت ظهوره ، فيعرفه الدكتور عبد الله إبراهيم بأنَّه: ((كتابة سردية إبداعية مهجنة من نوعين سرديين معروفين ، هما: السيرة والرواية ، ولا يُقصد بالتهجين معنى سلبياً، إنّما المقصود به التركيب الذي يستمد عناصره من مرجعيات معروفة ، وإعادة صوغها على وفق قواعد مغايرة ، في السيرة الروائية يدمج الخطاب بين الروائي والراوي، فهما مكونان متلازمان لعلامة جديدة هي "السيرة الروائية" لا يفارق الراوي مرويه ، ولا يجافيه، ولا يتنكر له إنّما يتماهى معه، يصوغه ويعيد إنتاجه طبقاً لشروط مختلفة عن شروط الرواية والسيرة))[٢٨٤] .

إنّ هذا التعريف يُحدِّد شكل النوع الجديد بالآتي:

- استثمار لتقنياتٍ مشتركة بينَ فني السيرة الذاتية والرواية.
- يعتمد مرجعيات واقعية تُوحي بواقعية الأحداث.
- تشابه الروائي مع الراوي ومرجعية الأحداث المروية على المؤلف صاحب النص.
- صياغة الواقع صياغة جديدة استجابة لشروط الشكل الجديد.

وعرفه الدكتور محمد صابر عبيد بأنه: ((عمل سردي روائي يستند في مدوّنته الروائية على السيرة الذاتية للروائي، حيث تعتمد الحادثة الروائية في سياقها الحكائي اعتماداً شبه كلّي على واقعة سيرذاتية واقعية، تكتسب صفتها الروائية أجناساً بدخولها في فضاء المتخيّل السردي، على النحو الذي يدفع كاتبها إلى وضع كلمة "رواية" على غلاف الكتاب في إشارة أجناسية ملزمة للقارئ وموجهة لسياسته القرائية النوعية))[٢٨٥] .

إن أكثر ما يلفت الانتباه في تعريف عبيد السابق هو تأكيد الميثاق الروائي الصريح من قبل الكاتب الذي يتبدى بتجنيس العمل بكلمة (رواية) على الغلاف الخارجي ، والذي يُلزم فيها القارئ باحترام تجنيسه للنص على أنّه فضاء سردي متخيل ، لكن الناقد يدعو إلى

---

(٢٨٢) ينظر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠-١٩٣٨): ٣٠٢-٣٢٢

(٢٨٣) ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٤٣٣-٤٤٣

(٢٨٤) موسوعة السرد العربي:٢/٤١١.

(٢٨٥) تمظهرات التشكيل السيرذاتي ١٣٩.

ضرورة تهيئ ذهن القارئ لتحسس الوقائع السيرذاتية التي يستند اليها العمل الروائي المتخيل ، والمواضع التي يتماهى فيها الكاتب/السارد تاركا العبء الأكبر على القارئ ليهتك ما تستَّر عليه في تجنيسه للعمل على أنه (رواية) وليس سيرة ذاتية.

أمّا الناقد شعبان عبد الحكيم محمد فلا يُجيز الإفراط في استعمال الخيال وإن كانت الوقائع السيرية مكتوبة في قالب روائي مصرح به من قبل الكاتب بكلمة (رواية) على الغلاف الخارجي ، ووجود الحوار بوصفه عنصراً مهماً في الكشف عن الوقائع السيرية وأبعاد الشخصية المركزية ، والعناية باللغة بوصفها العامل الأهم في توصيل رسالة المبدع إلى المتلقي ، وإسعافه على تشخيص تجاربه الشخصية واكتشاف مجاهيل ذاته ومعاودة النظر في الذكريات المسترجعة ، لإنتاج نص يتعاون على صنعه جنسين مختلفين يستقل عنهما تماما في بناء مترابط متسق له خصوصيته الفنية والجمالية ، فيعرفه بأنه: ((ذلك القالب الفني الذي يزاوج فيه الكاتب في عرض أحداث حياته (الواقعية) في شكل روائي يعتمد على السرد والتصوير ، وإيجاد الترابط والاتساق بين الأحداث الفنية ، واستخدام الخيال استخداماً محدوداً في تجسيد الأحداث (الحقيقية) واللجوء إلى الحوار في تجسيم المواقف ، والكشف عن أبعاد شخصيته وتحقيق المتعة الجمالية في عمله الأدبي ، ناهيك عن استخدام اللغة ذات الطابع التصوري والإيحائي الذي يساعد على تجسيد الأحداث وتصويرها ، مع حسن صياغة الأسلوب جملاً وعبارات))[٢٨٦] .

ويعرفه معجب الزهراني : إنَّ ((رواية السيرة الذاتية نمط سردي هجين ينبغي إدراجه ضمن الإطار العام للرواية الواقعية الحديثة وليس ضمن تراث سردي عريق متصل))[٢٨٧] ، وهو تعريف يخلو من التشخيص لمرتكزات النص الروائي المهجن بالسيرة الذاتية على الرغم من تأكيد الزهراني على استقلالية هذا النوع الأدبي ، ولا يجعله تابعاً للسيرة لا للرواية وإنّما هو فن هجين فيه من صفات السيرة ومن صفات الرواية ما يجعله يَشبه الفرد الذي يشبه أبويه ((رواية السيرة الذاتية ليست مجرد حاصل جمع لعناصر محددة سلفاً من السيرة الواقعية والرواية المتخيلة فهذه كتابة إبداعية هجينة تتألف عناصرها من هذين النوعين بالتأكيد ، لكنها تظل كالفرد الذي يشبه أبويه بقدر ما يختلف عنهما فزيولوجياً وثقافياً ، ومما

([٢٨٦]) السيرة الذاتية في الادب العربي الحديث رؤية نقدية، شعبان عبد الحكيم محمد ،دار العلم والايمان ، ط١ ،٢٠٠٩: ٧٢

([٢٨٧]) مقاربات حوارية:٩١-٩٢ .

يؤكد هذا القول إن نماذجها تختلف من كاتب لآخر ، بل أنّها لا يمكن ان تتكرر مرتين حتى عند الكاتب الواحد ، الذي ينجز أكثر من رواية سيرية ، كما هي حال صنع الله إبراهيم ومحمد شكري))[٢٨٨] .

ووصفهُ محمد الباردي ((إنّه الشّكل الأرقى في كتابة السّيرة الذّاتيّة حيث تتّسع مساحة الإبداع ويسمح للمخيّلة بأن تلعب لعبتها الفنيّة. يقتبس هذا الشّكل الفنّي إنشائيّته من إنشائيّة الرّواية))[٢٨٩] وبهذا يكون الباردي قد لامس المصطلح من دون تقديم مفهوم دقيق له، وما قاله لا يعدو أن يكون وصفاً لما يحيط بهذا النوع ، ويبدو واضحاً تأثره بشكري المبخوت الذي وصف السيرة الذاتية بأنّها شكل روائي[٢٩٠].

ويبدو أن المفهوم الأقرب إلى الرواية السيرذاتية هو المفهوم الذي حدَّدهُ عبد الله إبراهيم ، فهو يُحدِّد سمات النوع في كونه مهجن من السيرة والرواية ، وأن مادته تخضع لشروط أهمها زمن الاستعادة ونفسية المؤلف المتماهي خلف الشخصية الروائية ، وطريقة تعبيره فالبناء الروائي ينقذ كاتب السيرة بما يضمنه من شرطه الفني من بناء يقوم على الانتقاء والانسجام ((فالأدب القصصي الذي هو في جوهره تكنيك لتقديم التجربة عبر صور الأحداث الواقعية بنظامها العام ، وليست بالضرورة بشكل تفصيلي))[٢٩١] ، إن الناقد يجعلها منطقة تتقاطع فيها السيرة الذاتية مع الرواية وتدمج الواقعي بالتخييلي وتعيد خلق الواقع الخارجي وصياغة التجربة من جديد ، تخضع لزمن استعادة الماضي ، ومستلزمات التعبير بما يوازن بين التاريخي الحقيقي والفني التخييلي ، وهو بذلك يقتفي أثر الناقد الفرنسي جورج ماي في معرض حديثة عن نقاط اللقاء بأن ((الرواية والسيرة الذاتية شكلان يمثلان قطبين لجنس أدبي مترامي الأطراف يجمع بين الآثار المنضوية فيه أنّها تتخذ من حياة إنسان موضوعاً لها))[٢٩٢].

ثانياً : إشكالية تجنيس الأعمال الأدبية:

أمّا الإشكالية الأُخرى التي يجدر بنا الإشارة إليها هي إشكالية تحديد النوع أو هوية

([٢٨٨]) مقاربات حوارية : ١١٢

([٢٨٩]) عندما تتكلم الذات: ١٧٣

([٢٩٠]) ينظر، سيرة الغائب سيرة الآتي السيرة الذاتية في كتاب "الأيام" لطه حسين:٢٨

(٢٩١) الرواية وعصرنا، الناقد الانكليزي اليكس كومفورت ، ترجمة: عادل خضير النجار،مجلة الأقلام، العددان٣-٤ آذار –نيسان،السنة الأربعون،٢٠٠٥ .

([٢٩٢]) السيرة الذاتية، جورج ماي،تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة، منشورات بيت الحكمة ، تونس،١٩٩٢ :١٩١

الجنس الذي تتداخل فيه السيرة مع الرواية ، ويترتب على تلك الإشكالية قضيتان أساسيتان آثارهما النقاد يمكن ان نلخصهما بالآتي :

– قضية احترام الهوية التي يحددها المؤلف على الغلاف كأن يكتب (رواية) على الغلاف الخارجي لنصه.

– وقضية الكشف عن الجانب السيري في روايات الكُتّاب ، وهو ما لا يصرحون به علناً للقارئ، فالناقد بدوره يكشف عن تلك المواضع التي ترتبط بسيرة الكاتب في قراءاته للنص ، باحثاً عن ميثاق مرجعي يحيل على الواقعي من حياة المؤلف، ومن ثم يُثبت للمتلقي أنّ النص ينتمي إلى النوع الهجين وهو (السيرة الذاتية الروائية).

ويرى بعض الدارسين أنّ هؤلاء الكُتّاب أرادوا التخفي وراء الرواية لتقديم جوانب من حياتهم[٢٩٣] ، يقول معجب الزهراني : فهناك كتاب روائيون اتخذوا من الرواية قناعاً لهم لكتابة سيرهم الذاتية مثل الكاتب غازي القصيبي، وتركي الحمد، ومحمد عبده يماني، وعبد العزيز مشري[٢٩٤] .

حيث يظهر الراوي بوصفه قناعاً للروائي ، ولكنّه قناع يفضح أكثر مما يخفي ، فقد يكون الروائي تحت ضغط تجاربه الذاتية والفكرية ، فيخترق القناع الذي يختفي خلفه الراوي فتنهار الحواجز بين الروائي والراوي ، وفي مرحلة لاحقة وجد كثير من الروائيين العرب في استعمال تجاربهم محاور لرواياتهم قضية تتصل بتكونهم وانتماءاتهم ومعاناتهم ومنافيهم ، واختلفت بين روائي وآخر الكيفيات التي أُعيد بها بناء تلك التجارب ، وقد شكلت خلفيات لا يمكن اختزالها لدى جبرا إبراهيم جبرا في رواياته (صيادون في شارع ضيق) و(السفينة) و(البحث عن وليد مسعود)... وأكثر من روائي[٢٩٥] .

ويبدو أن المقصدية والفضول الانساني في نفس الكاتب والقارئ معاً –بحسب رأي الصكر– يدفع الكاتب لاختيار هذا الشكل (السيري/الروائي) للتعبير في لحظة يصبح فيها الكاتب فضولياً وقارئاً لحياته وناقداً لها في الوقت نفسه ، وهو من يفتح مكامن الذات معترفاً

---

(٢٩٣) ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٢٢ ،و السيرة الذاتية العربية: تاريخ وثقافة :١٥٥ ، والبوح والترميز القهري:٥١–٥٢

(٢٩٤) يُنظر ، موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث(السيرة الذاتية)، معجب الزهراني، دار المفردات ،الرياض ،٢٠٠٠ :٣٦ .

(٢٩٥) يُنظر ، موسوعة السرد العربي :٢/ ٤١٦، وينظر جبرا إبراهيم جبرا دراسة في فنه القصصي ،علي الفزاع، دار المهد ط١ ،١٩٨٥ ،عمان :١٦٧.

ومُكتشفا لخباياها ومعترفاً بأسرارها [٢٩٦] ، ولكنه في الوقت ذاته ينوه مقتفياً أثر لوجون على ضرورة التفريق بين المتخيل والمعيش ، والمتماثل والمتطابق ، وهو ما يتقاطع عنده السيرة والرواية، والمحذور منه وارد من الخلط على مستوى القراءة بينهما[٢٩٧] وقد عبَّر عن ذلك المأزق بكل وضوح ؛ إذ إن قيام بعض النقاد بتعقب الأعمال الروائية والبحث عن كِسَر أو أجزاء ذاتية، لتقديمها بوصفها سير مهربة أو غير مُصرح عنها وذلك خطأ لا نوافق عليه، مستدلين على ذلك بتوظيف الكاتب أو الكاتبة لضمير المتكلم في السرد ، أو استحضار معلومات أو استنتاجات من خارج النص، لإسقاط حياة الكاتب الفعلية على المتخيل السردي، وهو ما حاولت المناهج النقدية الحديثة إقصاءه لصالح قراءات تستند إلى النص، وتنطلق منه بعيداً عن المؤلف و المعلومات أو المؤثرات الخارجية أو التاريخية[٢٩٨].

وإن كان بعض الدارسين قد وقف بالضد من موقف الصكر بذريعة أن للقارئ الحق في أن يقارن بين سيرة الكاتب وروايته وأن يكتشف أنّ هناك صفات متشابهة بين شخصية المؤلف والشخصية المركزية[٢٩٩] ، فمن وجهة نظرنا فإنَّه من غير الممكن التركيز دائماً على المعلومات الخارجية أكثر من التركيز على النص والانشغال بالمؤلف أكثر من الانشغال بالنص ، وهذا الشيء يؤدي إلى اتهام الناقد بالجهل ، وقصوره أو قلة خبرته في قراءة العمل الروائي ، ومن ثمَّ يُؤثر سلباً على العملية النقدية للأعمال الروائية.

ومن جهة أُخرى قد يجد الناقد بعض الإشارات التي يوردها الكتاب في نصوصهم الروائية والتي من غير الممكن إهمال دلالات ورودها ، تحيل على ما هو خارج نصي أو مايسمى بـ(التعالق النصي الإحالي)[٣٠٠]، مثل كتاباتهم المتنوعة من قصص ، وحوارات وتصريحات ، وشعر ، ورسائل، يمكن اعتبارها ميثاق على تحقق النوع الذي تتداخل فيه السيرة الذاتية مع الرواية وهو (السيرة الذاتية الروائية) .

([٢٩٦]) يُنظر، البوح والترميز القهري:٥١

([٢٩٧]) يُنظر : م .ن :٥٢

([٢٩٨]) ينظر، م . ن :٥٣

([٢٩٩]) ينظر ، فن السيرة في الأدب الفلسطيني: ١٦٥

([٣٠٠]) ينظر ، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٦٧، والمصطلح الذي استعمله جيرار جينيت هو مصطلح (النص الملحق)،وينقسم هذا التعالق على صنفين :

١- بين نصوص غير ذاتية أي بين نص لِمؤلف، ونص لِمؤلف آخر.

٢-بين النصوص الذاتية : أي تلك التي تحدث بين النصوص التي يكون فيها مؤلف النص السابق هو مؤلف النص اللاحق ينظر ،نحو شعرية منفتحة، جيرار جينيت ، كريستين مونتاليني، ترجمة:غسان السيد ووائل بركات،دار الرحاب، وزارة الإعلام، دمشق،ط١، ٢٠٠١ :١٢٠، ١٢١ ،١٢٤ .

أمّا قضية مبالغة الدارسين على سيرنة الأعمال الروائية فقد أثارها الغامدي في دراسته للرواية السعودية في ما سمّاهُ بـ((منهج النقد السيرذاتي))[٣٠١] في نقد الرواية السعودية على الرغم من رفض كتّابها لهذا النقد واتهامه بالجهل والتعميم ، وقلة الخبرة وعدم وعي الدارسين بالفنّين ، و تصريح هؤلاء الكتاب علناً بهوية أعمالهم بذكر كلمة (رواية) على الغلاف، وبالرغم من ذلك أصرَّ النقد السعودي على مسخ هوية الجنس الروائي وعدم احترام الميثاق الروائي المصرح به، والأهم من ذلك هو تبرير هؤلاء الكتّاب ورود إشارات وبيانات واقعية في رواياتهم كالأماكن ، والأوضاع الاجتماعية ، والاضطرابات النفسية بأنها لا تنطبق على الكاتب وحده وإنما تنطبق على حالات عدّة في المجتمع كونهم عاشوا في الأماكن ذاتها ، وتعرضوا للضغوط ذاتها والأوضاع النفسية والاجتماعية والثقافية لبيئتهم[٣٠٢]، يقول كامل عراب في قراءته لرواية (أطياف) لتركي الحمد : إن ((الذين عاشوا شبابهم في تلك المرحلة من حياة الامة وقرأوا هذه الرواية بأجزائها الثلاثة لابد أنّهم وجدوا انفسهم في إحدى شخصياتها ، ولا بد من أنهم رأوا صورتهم في (هشام العابر) بطل الرواية ... فهشام العابر هو صورتنا جميعاً))[٣٠٣] .

ولم يتوقف فرض النقد السيرذاتي للرواية السعودية فقط ، بل نجد ذلك النقد يستشري أيضاً في نقد الرواية الجزائرية ، وقد تنبه لذلك الدكتور أحمد منور إذ يقول: ((وتحظى رواية السيرة الذاتية في الأدب الجزائري بقسط وافر حتى وان لم يعترف الكتّاب بذلك بصراحة ولجأوا في ذلك إلى نوع من الانتقائية والتصرف في الأحداث ، ومحاولة صرف انتباه القارئ عن ذواتهم بكل أساليب التمويه والمراوغة))[٣٠٤] ويذكر منور أكثر من رواية في هذا الصدد لكن موقفه يتبدل إذ يقول في موضع آخر : ((لكن يبقى أن هؤلاء الكتّاب لا يتخذون من حياتهم محوراً أساسياً للرواية ، ولكنهم يتخذنونها متكأً أو منطلقاً ومعبراً نحو الانطلاق من الذاتي إلى الموضوعي، أو من الخاص إلى العام ومن هنا تخرج الروايات عن إطارها الذاتي السيري ، إلى إطار الرواية التخييلية بمعناها العام ، ويصبح الجانب الذاتي فيها جزءاً

---

(٣٠١) يُنظر : كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية: ١٢٩

(٣٠٢) ينظر ، م.ن:٩٣.

(٣٠٣) م.ن: ١٢٣

(٣٠٤) رواية السيرة الذاتية في الأدب الجزائري المعاصر ((ابن الفقير انموذجا))،احمد منور ،مجلة المساءلة ، مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد ١، ١٩٩١: ١٨٥-١٨٦

من تجارب الكاتب في الحياة بشكل عام))[٣٠٥] .

نستخلص من كلام منور أن مايكتبه المبدع من تجارب ذاتية هي تجارب عامة تتشابه عند الكثير من الناس يتخذ منها الكاتب ثيمة للانطلاق في كتابة روايته ، فالكثير من الروائيين اتخذوا من الظواهر المجتمعية والمشاكل التي يتكرر حدوثها بين الناس موضوعات لتقريب العالم الروائي من العالم الواقعي ومن ثمَّ فإن جنس العمل هنا هو (رواية) وليس (رواية سيرذاتية).

وهذا ما حصل أيضاً مع الأعمال الروائية النسائية فقد نظرت الدراسات النقدية التي تناولت تداخل السيرة بالرواية ، إلى الرواية النسائية على أنّها سيرة ذاتية ، وهذا الخلط يقع حتى في الأعمال المصرح بأنّها أعمال روائية للكاتبة مثل أعمال لطفية الزيات الروائية (الباب المفتوح) ، (وحملة تفتيش أوراق خاصة) و(صاحب البيت) ، ووصل الأمر إلى أن تلك الآراء النقدية انطوت على إدانة كتابات المرأة بالذاتية وتقيسها بوضعها الاجتماعي والثقافي، على الرغم من أن الكتابة الذاتية كانت سمة من سمات الرواية العربية الحديثة في مرحلة من مراحل الرواية العربية[٣٠٦] .

وقد دعا أكثر من ناقد ، محذرين من الخلط بين الأجناس وطمس هوياتها ، وهو ما يلقي بضلاله السلبية على هذه الأجناس[٣٠٧] ، فالمنطق السليم يدعوا الى التسليم بوجود فاصل بين السيرة الذاتية والرواية ، وهو الفاصل ذاته بين الواقع والخيال [٣٠٨] .

إن الاستعانة بتجارب شخصية حقيقية في كتابة عالم متخيل ، والتصريح بأسماء شخوص واقعيين شهدهم المؤلف أو عايشهم ، وتجسيد صفاتهم وأوصافهم لا يبرر سيرذاتية الرواية ، فقد يوظف الروائي شخوصاً بأسمائهم من واقعه في روايته ، وبدخولهم في عالم فني خيالي يتحولون إلى شخوص متخيلة يحركها المؤلف وفقا لما يتناسب مع بناء عالمه الروائي على نحو ما يحدث في الروايات التاريخية ،((فالرواية عمل فني ، والفن في الانسان طاقة حرية))[٣٠٩]

([٣٠٥]) م.ن:١٨٦

([٣٠٦]) ينظر ، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر:٩٣-٩٤.

([٣٠٧]) ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث: ٤٣٦، السيرة الذاتية العربية في الدراسات الغربية ، د. معيض الغامدي ، مجلة علامات النقد السعودية،ج٤،م١١ ،٢٠٠٢ :١٨٦ ، والبوح والترميز القهري:٥٢

([٣٠٨]) السيرة الذاتية: ١٩٣.

([٣٠٩]) الروائي وبطله :مقاربة اللاشعور في الرواية العربية، جورج طرابيشي، دار الآداب ،بيروت،١٩٩٥: ٩.

والسيرة الذاتية تحدٌّ من تلك الحرية وتفرض على كاتبها توثيق الأحداث والتزام الصدق والصراحة.

لا يمكن تسمية أي عمل فني ترجمة ذاتية إلا إذا كان مكتوباً بهذا الفن ، ولهذا الغرض بالضبط ، كأن يقول الكاتب هذه مذكراتي أو هذه حياتي ، ويكتبها بأسلوب السرد المباشر لحياته . [٣١٠]

ونعتقد أن هذه القضية يمكن حسمها بملاحظة التوثيقات المهمة التي يجب توافرها في النص الذي ينتمي إلى هذا التصنيف وتتمثل بالآتي:

الاول: وجود مرتكزات ومؤشرات داخل النص الروائي بما لايدع شكاً في انتماء هذا النص إلى الرواية السيرذاتية.

الثاني: الاستناد إلى مؤشرات خارج النص تؤكد انتماء النص إلى هذا النوع من مثل تصريح المؤلف بوجوده الفعلي داخل النص كما هو حاصل مع جبرا ابراهيم جبرا في السفينة والبحث عن وليد مسعود.

ثالثاً : في التحقق من النوع :

وللتحقق من النوع وعدم الوقوع في مطب الخلط المصطلحي فإن عبد الدايم يضع شروطاً يجب أن تتوافر في الجنس إذا كان الكاتب يريد صياغة سيرته في قالب روائي ، وتتمثل تلك الشروط بـ ((أن يفصح الكاتب عن اسمه على أنه هو نفسه البطل الحقيقي لأحداث روائية ، وأن يعمد إلى الإفصاح عن أسماء الشخصيات والأماكن والتواريخ ويستمسك بالحقيقة التاريخية في كل جزء من أجزاء ترجمته الروائية ، ولا يلجأ إلى التخفي والتواري، أو إلى انكار اسمه واستعارة اسم آخر له، أو اسماء أخرى لبقية الشخصيات))[٣١١].

ولا نتفق مع عبد الدايم فيما اشترطه لهذا النوع ؛ إذ أن التطابق الاسمي عنصر مهم في تأليف الميثاق السيرذاتي ، لكنه ليس عنصراً نهائياً ؛ إذ يمكن بناء ميثاق سيرذاتي يُؤكد

([٣١٠]) ينظر، عشرة أدباء يتحدثون، فؤاد دواره، دار الهلال،(د.ط) (د.ت): ٣٣.

([٣١١]) الترجمة الذاتية في الأدب الحديث: ٤٧٦

سيرذاتية الرواية بالاعتماد على معطيات أُخرى مكانية وزمنية ومؤشرات خارجية كأن يشير المؤلف إلى مؤلفاته الأخرى وتفاصيل سيرذاتية أخرى تُثبت عائدية النص للمؤلف ، ولها علاقة وثيقة بشخصيته ، ويقر بها من خارج النص تَحتشد كلها في سياق ميثاقي واحد ، حتى من دون الحاجة إلى التطابق الاسمي ، وهذا ما أكدتهُ دراسات نقدية على أعمال روائية غير مصرح بسيريتها ، ولم يتحقق فيها التطابق بين اسم المؤلف واسم البطل داخل النص ، إلا أن هذه الدرسات قدمت أدلة تثبت الحس السيرذاتي لهذه الاعمال.

أما تهاني عبد الفتاح فتقترح بأن يصرح كاتب السيرة الذاتية بأسلوب مباشر، أو غير مباشر بأن ما يكتبه هو سيرة ذاتية وليس جنساً آخر ، لكي نتلافى إشكالية الخلط بين السيرة والرواية[٣١٢] .

وطالما أن القارئ قد التمس أجزاء من سيرة الكاتب في روايته ، فعليه بفحص السيرة الذاتية في النص برأي حاتم الصكر؛ إذ يقول: في حال اتخاذ الكاتب أسلوب السرد الروائي سبيلاً لتوصيل أحداث حياته للمتلقي، ووصل ذلك التداخل حدّ التماهي فيجب أن تفحص السيرة الذاتية على أساس انتمائها إلى الرواية ، أما ((القول بوجود رواية سيرة ذاتية كنوع من الرواية ذاتها و تنويعا عليها أو توسعاً منها يعيد هذا النص إلى الرواية ويحتكم إلى أعرافها وقوانينها، كما يحصل في قصيدة النثر التي ينبغي فحص نثريتها انطلاقاً من وجود الشعر فيها كأصل في خلقها أو إبداعها وليس الانطلاق من النثر لرؤية شعريتها ووجود النثر فيها، فالسيرة هي الأصل في قراءتنا والرواية كيفية ممكنة لتوصيلها وليس العكس))[٣١٣] .

وبقي بعضهم يعتمد مقصدية الكاتب والميثاق في تحديد هوية النص[٣١٤] ، ونعارض موقف الناقد المغربي صدوق نور الدين الذي ورد في مقال عنوانه (السيرة الذاتية: قضايا الكتابة والتلقّي حول تجربة محمد شكري) ، التي يقول فيها : ((إنّ كلّ سيرة ذاتية هي كتابة روائيّة وفي المقابل لا يمكن اعتبار كلّ كتابة روائيّة سيرة ذاتيّة))[٣١٥] فليست كل النصوص السيرذاتية تحتذي شكل الكتابة الرّوائيّة ، فالكتابة السيرذاتية لها شكلها الذي يحدد خصوصيتها كما ورد في تعريف لوجون حكي نثري استعادي يكون موضوعه سيرة حياة

([٣١٢]) يُنظر ، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان ،جبرا ابراهيم جبرا، احسان عباس نموذجاً :١٥

([٣١٣]) البوح والترميز القهري :٥٣

([٣١٤]) يُنظر : كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية:١٢٧

([٣١٥]) السيرة الذاتيّة، قضايا الكتابة والتلقّي حول تجربة محمد شكري،صدوق نور الدين، مجلّة عمّان . أمانة عمّان الكبيرة، عدد نيسان ٢٠٠٤: ٤١

شخص معين[٣١٦] ، وفضلاً عن ذلك، فإننا نرى أن رأي الناقد صدوق نور الدين يلغي خصوصية جنس السيرة الذاتية ، ويدثرها ويجعلها فرعاً من فروع الرواية و تابعة لها ، في حين أنّها جنس أدبي قائم بذاته موضوعه الرئيس كتابة الحياة بطريقة فنية لها شروطها وعناصرها وأعرافها وأهدافها ، كما للرواية .

ويحذر الكتور معيض الغامدي من المبالغة فيما سمّاهُ ((سيررة الرواية العربية)) على الرغم من أن أدبنا العربي الحديث يحتوي على حقيقة هذا التداخل بين الجنسين ، وأنّ بعض الكتّاب يوظفون تقانات الرواية في كتابة سيرهم الذاتية إلّا أنّه يجب احترام تصنيفات الأجناس التي يضعها الكتّاب على أغلفة أعمالهم[٣١٧] .

وهناك من يرفض فكرة التهجين لعدم إمكانية حدوث ازدواجية في عقد واحد ، أو الجمع بين عقدين ، إذ أن: ((مقولة التعالق والتهجين بين هذين النوعين هي من وجهة نظر التلقي مقولة متهافتة ،فلا يمكن الجمع في قراءة واحدة بين عقدين قراءيين متناقضين ، وبالتالي عالمين متناقضين ، أحدهما مبني على الواقع والآخر مبني على الخيال))[٣١٨] ، وهو يرجع سبب دعمه للالتزام بهذا الموقف هو الحرص على عدم تمييع السيرة وتحجيمها من خلال جعلها تابعة للرواية وعلى العكس من ذلك فإن عبد الله إبراهيم لا يرى أن هذا التهجين ممارسة سلبية إذ يقول : ((ولا يقصد بالتهجين معنى سلبياً إنما المقصود به التركيب الذي يستمد عناصره من مرجعيات معروفة وإعادة صوغها على وفق قواعد مغايرة))[٣١٩].

ونرى أن جعل السيرة تابعة للرواية حتى في الأعمال الروائية المغرقة في الخيال يوقع الكاتب في مواقف حرجة مع مجتمعه ، ويؤدي إلى المساس بالأمور الاجتماعية والأخلاقية، ومن ثمَّ فانه يحدُّ من حريته في رسم شخوص روايته وحركاتها داخل العالم الروائي .

أما من قال بأن تلك التداخلات بين الجنسين تؤثر على تطوير العمل النقدي المنشغل بقضاياهما[٣٢٠] فنحن نرى على العكس من ذلك أن تنوع الأجناس الأدبية وتداخلها يُسهم في المقابل بتنوع الآراء النقدية من خلال البحث في تلك التداخلات وتأثيرها على الأجناس وهذا

([٣١٦]) ينظر، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي: ٥١

([٣١٧]) ينظر، السيرة الذاتية العربية في الدراسات الغربية: ١٠٨٦

([٣١٨]) كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية:١٤٩

([٣١٩]) موسوعة السرد العربي:٢/٤١١

([٣٢٠]) ينظر، الوجه والقفا : ملاحظة عامة عن الحدود المنهجية لدراسة السيرة الذاتية ،عمر حلين، مجلة علامات ، العدد٦ ، ١٩٩٦: ٦ ، و كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية : ١٤٩– ١٥٠

يفضي إلى تطوير القضايا النقدية وتنوع الرؤى والأحكام بين الدارسين.

رابعاً : الميثاق :

لقد ناقش النقاد بآرائهم المتباينة إشكالية هذا التداخل وحاولوا التصدي لمسألة الخلط بينها ، فالتداخل بين السيرة والرواية يعني ضرورة التمييز بين ما هو سيرة ذاتية خالصة ، وبين ما هو رواية خالصة ، ورواية تعتمد السيرة الذاتية مادةً لها ، ورواية تكتب بطريقة سيرذاتية ؛ لذا يبقى الحد الفاصل بين تلك الأنواع هو الميثاق .

وكذلك يتطلب الأمر حساً نقدياً قادراً على التمييز بين النصوص بما يمتلك من خبرة مكتسبة من قراءة الأنواع ، والمعرفة بعناصرها وتقنياتها وأساليب الكتّاب، فأكثر الكتّاب لا يصرحون بأن ما يكتبونه سيرة ذاتية روائية على أغلفة أعمالهم أو في مقدماتهم ، ولكن يوردون إشارات صريحة تكشف للقارئ عن نوع النص .

ويقدم لوجون مظهرين من الميثاق في الرواية السيرذاتية الأوّل : إعلان عدم التطابق بين المؤلف و الشخصية في الاسم وثانيهما: التصريح بالتخييل وغالباً ما يكون ذلك من خلال مصطلح (رواية) الذي يعبر عن وظيفة أساسية في اعتبار النص تخيلاً[٣٢١] .

ويشترط عبد الدايم التزام الحقيقة، إلى جانب الكشف عن غرضه، فيعلن أنه يكتب سيرته الذاتية في هذا البناء الروائي و يُعلن عن اسمه الحقيقي، وعن أسماء الشخصيات والأماكن وعن التواريخ[٣٢٢] والفاصل بينهما أيضاً الخيال ، إذ إنه في الرواية مطلق، ويستطيع المؤلف أن يُوظفه كما يشاء، أما في السيرة فهو مقيد[٣٢٣].

وتُشكل الإشارات، أو الإلماحات، أو الاعترافات، التي يوردها الكاتب في نصه اعترافاً بالمرجعية السيرذاتية لعمله الروائي من وجهة نظر الناقد محمد صابر عبيد ، ومراعاة التسلسل الحدثي السيرذاتي وعلاقته بالأزمنة والأمكنة والشخصيات ومعلومات من خارج النص داعمة لموقف الذات السيرية الساردة، وهي تروي ذاتها السيرية الواقعية عبر جسر المتخيّل، وتبقى السمة الجوهرية والأساسية من سمات النوع هي تفوّق الجانب السيرذاتي

---

(٣٢١) يُنظر : السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي : ٤٠

(٣٢٢) يُنظر : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٤٧٦، و فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢ : ١٦٣

(٣٢٣) فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢: ١٦٤ .

على الجانب الروائي، أي تفوق الواقعي على التخييلي ومن ثمَّ يكون الميثاق قائماً يكشف عن هوية النص[٣٢٤] .

ونرى أن التزام الكاتب بكتابة جنس العمل الإبداعي على الغلاف يمثل التزاماً أخلاقياً بالميثاق الذي يحيل على الجنس الأدبي ، إلا أن الكتّاب يلجؤون إلى الميثاق الروائي للاختباء خلفه في تدوين حياتهم، لما للسيرة من تبعات اجتماعيّة، ومواقف تتعلق بالشخصيات التي تذكر في النص، وكشف لأسرار كانت مخفية وهي أمور تتعلق بالمؤلف والاشخاص المقربين منه ، وهذا ما منع بعض الكتّاب من الإعلان عن سيرية نصوصهم .

بيد أن هناك نصوصاً تخلو من الميثاق الصريح فلا يحدد صاحب النص هويته على الغلاف كأن تكون (سيرة ذاتية) أو (رواية) إلا أن التوافق بين سيرة الكاتب وعمله يقود إلى أنه قد صاغ سيرته صياغة روائية، بوجود اسم المؤلف على العمل الفني ، فالدراسة التي أجراها الباحث سامر صدقي محمد موسى على نصوص توفيق الحكيم والتي اختصت برصد هذا التداخل بين السيرة الذاتية والرواية توضح طريقة الكاتب في صياغة نصوصه السيرية ، فنصه(عودة الروح) لم يحمل على غلافه مصطلح سيرة ذاتيّة، ولم يُصرح الكاتب بذلك من خلال مقدّمة، أو بين سطور النص، وهذا يجعلنا غير قادرين على تسمية النص سيرة ذاتيّة، لكنّ التشابهات التي يُدونها الباحث حول العلاقة بين المؤلف توفيق الحكيم، وبطل النص محسن، يقود إلى الحديث عن أجناس أدبيّة تتعالق مع السيرة الذاتيّة ، فالحكيم ابتعد عن الميثاق، ووظف التقنيّة الروائيّة من خلال استعارته الأسماء، ولجوئه إلى الخيال، كتحليله باطن الشخصيّات، أمّا في(زهرة العمر) فيبدو الأمر مختلفًا، فعبارة (سيرة ذاتيّة) أخذت موقعها على صفحة الغلاف، إلى جانب العنوان، وبذلك يتحقق الميثاق الذي وجد فيه الدارسون حدًّا مميّزًا للسيرة[٣٢٥] .

خامساً: الضمير :

يصف عبد الله إبراهيم طريقة التعاون الشرعية بين السيرة والرواية التي تتيح للسيرة استثمار أساليب السرد من الرواية ، و تتيح للرواية استثمار أسلوب السرد المباشر بضمير المتكلم من السيرة ، وهنا يلاحظ عمق الملاحظة واستثمار الجانب الشخصي[٣٢٦] ذلك أن

([٣٢٤]) ينظر، تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٩

([٣٢٥]) ينظر ، رواية السيرة الذاتية في أدب توفيق الحكيم،دراسة نقدية تحليلية:٦٧

([٣٢٦]) ينظر، موسوعة السرد العربي:٦٩٣

السرد بضمير المتكلم كان مناسبة أتاحت لبعض النقاد الحكم على الأعمال الروائية بأنّها سيرة ذاتية لكتابها أو أنّها سيرة مصوغة في قالب روائي ، وذلك أن السرد بضمير المتكلم وهو ضمير ينقلنا لنعيش الحدث كأّنه أمامنا، وأسلوب يكشف به عن باطن الشخصيّة وخفاياها، ووسيلة تمنح النص وحدة بين أجزائه، و إيهامًا بالواقعيّة . اللصيقة بالبطل، وتستبعد احتمال الإلتباس أو تدخل الراوي في أحداث يراها من الخارج[٣٢٧] ، فالذات الساردة تبرز من خلاله ، وتتحول إلى محور للعالم الروائي[٣٢٨] .

وقد حقق السرد بضمير المتكلم(أنا) الواقعية في الرواية الحديثة ، والتي حلَّت محل الواقعية في الرواية الكلاسيكية ، باعتبار أن السرد في صيغة الضمير المتكلم المفرد (أنا) وسيلة لتخيل صوت الكاتب، وتدعم احتمال وقوع الحكاية المسرودة[٣٢٩] ؛ لذا يَعتبر معجب الزهراني (رواية السيرة الذاتية) أو (الرواية السيرية) كما يسميها، نمطاً فرعياً من أنماط الرواية الواقعية [٣٣٠].

وعدَّ عبد الدايم السرد المباشر أو السرد بضمير المتكلم هو الطريقة الأكثر وضوحاً لتقريب الرواية من السيرة الذاتية خطوات ، واعتبر النصوص التي كتبها أصحابها بهذا الضمير هي النصوص التي تنتمي إلى هذا القالب الفني، في حين اعتبر(الأيام) لطه حسين مخل بعناصر البناء الفني للنوع بشكل تام[٣٣١].

وطبعاً نحن لا نتفق مع عبد الدايم في جعل الضمير هو المقياس لتحديد هوية النص وانتمائه إلى((الترجمة الذاتية الروائية)) ، كما سمّاها ، أما قوله أن طه حسين بالغ في التستر وفي إخفاء غايته وشخصه طوال الكتاب ، فهو قول يجانب الصواب ، فإذا افترضنا أن طه حسين بالغ في التخفي لأنه أراد لقارئ (الأيام) أن يفتش عن مقاصده بين ثنايا وتخوم النص ، وأن نص (الأيام) لم يكتب لمن يقرأه قراءة سطحية ساذجة ، إلا أننا حين نقول إن الكاتب يكتب سيرته في قالب روائي ، فهذا لا يعني تمييع واقصاء الذات ، والمبالغة في

---

(٣٢٧) ينظر، التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين ط. ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٩٩ : ٢٦

(٣٢٨) ينظر، الراوي والنص القصصي، عبد الرحيم الكردي: ١٣٤– ١٣٣

(٣٢٩) يُنظر : بعض ملامح الأنا الراوية والمروية في الخطاب المعاصر "إدوارد الخراط نموذجًا" ،محمد الخبو، مجلة فصول،العددالرابع، المجلد السادس عشر، ١٩٨٠ م: ٢١٢

(٣٣٠)ينظر ، مقاربات حوارية:٩١–٩٢ .

(٣٣١) ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب الحديث: ٤٣٨

إخفائها لأن ذلك يبعد العمل عن أجواء السيرة الذاتية.

وعلى الرغم من أن توظيف تقنيّة السرد بضمير المتكّلم، تفرض تساؤلاً مشروعاً أحياناً حول علاقة السارد بالمؤلف، فضمير المتكلم هو الأسلوب المفضّل في السيرة الذاتيّة، لكنّ الأمر لا يُحسم بالنسبة لمجرد توظيف هذه التقنية ، وقد يكون العمل روائياً استعار هذه التقنية من السيرة الذاتية لإيهام القارئ بواقعية أحداث روايته ، فرغبة بعض الروائيين بكتابة سيرهم الذاتية بأسلوب روائي من أجل تمويه القارئ أو للتخفي خلف الشخصية الروائية والأحداث ، لا تنطبق على كل الاعمال الروائية التي استخدمت أسلوب السرد المباشر بضمير المتكلم وتضمنت كِسراً أو أجزاءً من الواقع ، فكثيراً ما((يجد الكاتب نفسه مسكوناً بهم عام يخص السواد الأعظم من بني قومه، أو بقضية تمس الواقع اليومي لبني جنسه، أو بتاريخ يشمل تغيرات سياسية، واقتصادية، واجتماعية يعيشها وطنه الصغير، أو الكبير... عندما يجد الكاتب نفسه يعيش هذه الحالة، أو تلك لا يجد غير الرواية شكلا انسب للتعبير عن النظرة الشاملة التي يطوق بها آفاق واقع يسكن خياله ولا يرضى غير التعبير عنه بالرواية بديلاً))[٣٣٢] وبإمكان الباحث التحقق من تلك القضية في البحث عن إشارات داخليّة، أو الاعتماد على مصادر أخرى، تجعله يحدد طبيعة العلاقة بين المؤلف والسارد، أهي علاقة تطابق أم تشابه، أم انفصال.

ومن خلال اطلاعنا على العديد من القراءات النقدية في النصوص التي تمازج بين فني السيرة والرواية على اختلافها وتنوعاتها يتبين لنا أن قضية اختيار الضمير ناتج عن وعي وقصد يتعلق بطبيعة النص ، ومقصدية الكاتب ، وهذا يتطلب وعياً من الناقد في تقصي دور الضمير ونوعه ، وتأثير ذلك على النص .

وقد تنبه الناقد نجيب العمامي إلى أهمية الوقوف على دلالة اختيار ضمير دون الآخر، وتأثير ذلك على السرد الروائي ، ويرى أن السرد بضمير المتكلم هو حديث الشخصية عن نفسها فاختيار ضمير من هذه الضمائر الثلاثة لا يمكن أن يكون اعتباطيًا . وإنما نَميل إلى أنهُ ناتج عن اختيار واعٍ[٣٣٣].

أما استعمال ضمير المخاطب فإن اتصاله بالأفعال الواردة في الرواية يوحي بأنّ تلك

([٣٣٢]) آفاق الرواية البنية والمؤثرات، محمد شاهين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١ :١٢٤.

([٣٣٣]) يُنظر : الراوي في السرد العربي المعاصر، محمد نجيب العمامي ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠١ :٨٩.

الأفعال تأتي بلغة تحمل شيئاً من الجبر، وكأن أبطاله مرغمين على فعل ما يريد الراوي فقط ، حيث يُنجز ضرباً من الحالة الجبرية (césar) للفعل السرد /Etat algébrique) [٣٣٤] .

وقد يُفسر مجئ ضمير المخاطب (أنت) وجود عقدة نفسية ، وربما النرجسية المندسة أو الماثلة في" أنا" حيث يصبح " الأنت " كقارب نجاة يبلغ من خلالها " الأنا" إلى شاطئ النجاة بعد طول عناء ، ففي الأنت خلاصا للـ أنا[٣٣٥] .

ويرى الدكتور محمد صابر عبيد أن الكاتب لكي يتحكم بحرية في صياغة حلقات السرد فأنه يُنوع في استخدام الضمير الثالث الغائب[٣٣٦] .

ويبدو لنا مما سبق ذكره أن قضية الضمائر قضية نحوية في الأصل لكن ما يفيده الضمير في المعنى قد يكون مختلفاً عما يُفهم منه عادة في النحو ، وإن استخدام ضمير الغائب أو التأرجح بين الضمائر الثلاثة والتنويع فيها فعائد إلى أن السردانية الحديثة ضاقت ذرعاً بذلك التقليد الرتيب ؛ فنشأت تتخلص منه شيئاً فشيئاً بتهافتها على اصطناع ضمير المتكلم.

إن هذا السلوك السردي لم يحدث تغييراً في الكتابة في هذا الجانب فحسب ، وإنما جاء لتحقيق غايات تقنية وجمالية فنية تُتيح للعمل الفني استكمال زينته باتخاذه الأقنعة وسيلة للتخفي.

ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن الضمائر التي تُحقق التطابق في اشتغالها السردي داخل النص السيرذاتي تصبح ليست بالأهمية ذاتها في الرواية السيرذاتية لأنها تشتغل في نص تخييلي وهذا يُعطي الحرية الكاملة للروائي في توظيف الضمائر بصيغها الثلاث (المتكلم ، والمخاطب ، والغائب).

سادساً : التطابق أو التماثل بين الشخصية الروائية والمؤلف:

يُعنى دارسو النصوص المرتبطة بحياة أصحابها وتجاربهم بقضية التطابق بين المؤلف والسارد، والشخصيّة، أو عدمه؛ لما لهذه العلاقة من دور في تجنيس النص الأدبي،

([٣٣٤]) يُنظر : في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد: ٢٣٧ .
([٣٣٥]) يُنظر : جماليات تماهي الأنا والأنا الآخر في رواية السيرذاتية بحر الصمت لياسمينة صالح أنموذجا: ٩٠
([٣٣٦]) يُنظر : تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٩.

وتحديد هُويّته ، فالكاتب يظهر اسمه على الغلاف، لكّنه يستعير من تقنيات السرد ما يجعله يتقّنع خلف راو يبتدعه، فيتخّلى بذلك عن حّقه في السرد، وهذا ما يجعل الباحث يُنقب عن روابط تجمع بين المؤلف والسارد، وتثبت تطابق تلك العلاقة، أو تشابهها، أو اختلافها ، فلقد فرق المنظرون بين (المماثلة) التي يقوم على أساسها المتخيل السردي كالرواية والقصة، وبين(المطابقة) التي تستند إليها النصوص السير–ذاتية كتابة وتلقياً[٣٣٧] .

وتختلف(المماثلة) أو (المشابهة) ، عن المطابقة التي تستمد من مفردات حياة الكاتب والعلامات الدالة عليه دون سواه ، الذي هو شرط أساسي من شروط السيرة الذاتية يأخذ عند لوجون بُعداً حاسماً لا يُمكن الإخلال به إذا ما أردنا التمييز الدقيق بينها وبين غيرها من الأنواع الأدبية[٣٣٨]، أما المماثلة فلأن السيرة الذاتية تتخذ شكلاً روائياً ، أو رواية لأنّها تقترض مادتها السردية من السيرة الذاتية لكاتبها، وتتخفى وراء التماثل أو التشابه الذي تهبه المخيلة[٣٣٩] ، فالسيرة الذاتية تتعرض لما أسماه حاتم الصكر بـ(الانصهار والانصياع) ((لرغبة المماثلة لا المطابقة التي تتيحها كتابة السيرة التي لا تفترض الانصهار ، بل يظلّ لها وجود مستقل داخل السرد الذي تكون هي عصبه أو هيكله العظمي حيث تلتم حوله كل عناصر السرد الأخرى))[٣٤٠] ولكن هذا التماثل يتيح للروائي الجرأة والشجاعة للكشف عن قضايا أغلبها تتعلق بحياته العاطفية والجنسية ، أو عرض قضايا تمس الآخرين[٣٤١]. لذلك يُصرح اندريه جيد بأن السيرة الذاتية دائما تكون نصف صادقة ، بل ربما تقترب الحقيقة أكثر في الرواية[٣٤٢] .

وإذا كانت الكتابة السيرذاتية العادية نفسها أصبحت تُعاين هي أيضاً كتخييل ذاتي لذا فمن الضروري التدقيق فيما يُقال من علاقات (التطابق) بين المؤلف والراوي والشخصية المركزية في النصوص من هذا النوع ؛ لأن الكتابة السردية هي ذاتها لعبة معقدة وغامضة ما أن تتجسد في نص محدد حتى يستقل بوجوده عن حياة مؤلفه ويصبح كينونة جمالية منفتحة على نصوص وسياقات ثقافية لا يمكن للقراءة النقدية حصرها إلّا بضرب من

---

(٣٣٧) يُنظر : البوح والترميز القهري:٥١

(٣٣٨) يُنظر : سيرة الغائب سيرة الآتي: السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين:١٢.

(٣٣٩) يُنظر : البوح والترميز القهري:٥١

(٣٤٠) م.ن: ٥٤

(٣٤١) يُنظر : الأدب وفنونه ،عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي ،ط٦ ،١٩٧٦: ٢٨٦

(٣٤٢) يُنظر : السيرة الذاتية الميثاق والتأريخ الأدبي: ٥٨ .

التأويل[٣٤٣] .

ولا يمكن الحديث عن تطابق حرفي فيها بين الوقائع التاريخية المتصلة بسيرة المؤلف والوقائع الفنية المتصلة بالشخصية الرئيسة في النص، إنّما يظهر العناية بكيفيات الاستلهام والاستثمار ، مع الأخذ بنظر الاعتبار الاكراهات والانزياحات التي تلازم حالة التحول[٣٤٤] .

إن هذا النوع يكون معمى أو مغيباً في بعض النصوص المتخفية وراء اسم الرواية وجنسها هرباً من مأزق التطابق الذي تستدعيه قراءة السيرة الذاتية .

بيد أن الغامدي هنا ينوه على قضية مهمة وهي ان يتنبه النُقاد إلى الفرق بين أن تكون الرواية المروية بضمير المتكلم سيرة للبطل وان تكون سيرة للمؤلف ، وبين الأمرين فرق شاسع[٣٤٥] ؛ لأن في الأولى لا وجود للتطابق ، وفي الثانية تحقق للتطابق[٣٤٦] .

ويرى حاتم الصكر أن ((كون الراوي داخلياً مشاركاً وشخصية من شخصيات العمل، واستخدام ضمير المتكلم في السرد الروائي، لا أجدهما كافيين لممارسة نقدية تقوم على قراءة تطابقية بين المؤلف والنص، أو الكاتب وشخصية (الراوي) أو السارد))[٣٤٧]؛ لذا فإنَّ الدارسين يبحثون عن إشارات أُخرى يستدلون بها على تطابق شخصية الكاتب /الراوي/ الشخصية المركزية في الأعمال الروائية ، تتمثل بخضوع الرواية لبناء سردي مماثل للبناء السيرذاتي من حيث تسلسل الأحداث ، والحضور القوي للأزمنة والأمكنة والشخصيات الداعمة لموقف الذات السيرية الساردة، وهي تروي ذاتها السيرية عبر جسر المتخيّل ، فضلاً عن الإفادة من معلومات الغلاف[٣٤٨] والهوامش الملحقة بالعمل ، والعتبات النصية ، والإشارات الأخرى في فحص أفق التماثل أو التشابه بين المؤلف والشخصية المركزية في النص[٣٤٩].

ويحاول الدارسون البحث عن التطابق من خلال البحث في سيرة الكاتب أو تاريخه

([٣٤٣]) يُنظر : مقاربات حوارية: ٩١-٩٢ .

([٣٤٤]) يُنظر : السيرة الروائية اشكالية النوع والتهجين السردي:١٨

([٣٤٥]) ينظر، كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية: ١٢١.

([٣٤٦]) ينظر، م.ن:١٢١

([٣٤٧]) البوح والترميز القهري:٥١

([٣٤٨]) معلومات الغلاف تشمل(اسم المؤلف، عنوان العمل ،جنس النص، تصميم الغلاف، دار النشر وسنة النشر، العبارات الاضافية).

([٣٤٩]) ينظر، البوح والترميز القهري:٥٨

الشخصي ، وأعماله الفنية الأخرى ((للحصول على إشارات، أو الماحات، أو اعترافات، يُدلي بها الكاتب في أيّة مناسبة كانت، تُشير أو تُلمح أو تعترف بالمرجعية السيرذاتية لعمله الروائي))[٣٥٠] .

وفي حقل الدراسات التطبيقية التي تبحث في تحقق هذا النوع في نصوص جُنست على أنّها روايات ، نجد على سبيل المثال ، الباحثة نجاة السويسي أصدرت حكمها بأن رواية (مزاج المراهقة) للكاتبة الجزائرية (فضيلة الفاروق) هي مزيج من سيرة ذاتية ورواية ، فبالرغم من تحديد الكاتبة لهوية نصها بكلمة (رواية) على الغلاف الخارجي ، فإن الباحثة تبرر حكمها بالأدلة المنطقية، إذ أن الكاتبة تَستحضر سيرة حياتها من المخزون الذاكراتي دون إحداث تغيير عليها أو إعادتها بحيث يكاد ينتفي المتخيل الذي يشتغل بهدف إعادة كتابة الحياة كتابة مجردة عن الذات ، وتطابق اللقب واسم الجد والانتماء العائلي[٣٥١] وهناك تشابه بين شخصية الكاتبة ، وشخصية بطلة الرواية فكلاهما تفضل اختيار اسم مستعار للدخول في عالم الأدب[٣٥٢] ، فالاسم الحقيقي للكاتبة (فضيلة ملكمي) لكنها ولجت عالم الأدب باسم مستعار هو (فضيلة الفاروق) ، وتُرجع الباحثة سبب اختيار اسم مستعار إلى رغبة الكاتبة في التخفي من المجتمع ، وخوفا على عائلتها من أن تتحمل أعباء ما تكتبه هي ، أما السبب الثاني لاختيار الاسم المستعار هو سهولة الاسم وانتشاره على صعيد العالم العربي[٣٥٣]، وإشارة الكاتبة إلى الكثير من تجاربها المتحققة فعلياً على أرض الواقع كدراستها وعملها ، حيث استوحت احداثاً ووقائع من حياتها اليومية ، وحفلت روايتها بأماكن وشخصيات واقعية.

إن كل هذه العلامات تدعم رأي الباحثة في تحديدها للنوع بعد الدراسة التي أجرتها على رواية (مزاج المراهقة) ، فقد تحسست المادة السيرية التي صبتها الكاتبة لبناء عالمها الروائي وتعبيرها عن واقع المجتمع الجزائري خلال فترة التسعينيات فاستطاعت أن تبني عالماً روائياً تخيلياً ، وإيصال صوتها إلى المتلقي من خلال صوت البطلة ، إن اختباء الكاتبة خلف قناع السرد سبب إشكالية ميثاقية لاتؤمن للمتلقي تصريحاً واعترافاً بالشكل الأدبي على الرغم من

---

(٣٥٠) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٩

(٣٥١) ينظر، رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق :١٠.

(٣٥٢) ينظر، رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق :١٥-١٦

(٣٥٣) ينظر، رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق: ٤٨

وضع كلمة (رواية) على الغلاف الخارجي للكتاب ، وهذا ما قاد الباحثة إلى التركيز على دلالات التماهي وتأكيد التداخل بين الجنسين.

و دراسة أُخرى أجراها الدكتور فاضل عبود التميمي لرواية (الصندوق الأسود) للكاتبة (كليزار)[٣٥٤] رجح فيها انتماء النص لـ(السيرة الذاتية الروائية) لرصده تشابهاً بين حياة الروائية وحياة البطلة في وصف الحالة النفسية وظاهرة الحرمان من الإنجاب والمعاناة التي صاحبت ذلك الحرمان ، غير أن ما ساقه التميمي من توصيفات حول النص متمثلةً بوجود كلمة (رواية) على الغلاف الخارجي للنص، واختلاف الاسم بين البطلة والروائية وتصريح الروائية بالتخييل الذي التزمت به في روايتها على لسان الراوية داخل النص يجعلنا لانوافقه الرأي في جعل النص ينتمي إلى هذا النوع الأدبي ، وإنما هو عمل روائي تخييلي استلهمت فيه الكاتبة أفكارها من واقعها المعيش ، كما يفعل غيرها من الروائيين ، أما ثيمة (العقم) التي وظفتها الكاتبة في روايتها ، وهو ماتعانيه على أرض الواقع ؛ فإنها غير كافية لتبرير سيرية الرواية ؛ لأن الحرمان من نعمة الإنجاب هي واحدة من المعاناة التي يعانيها الكثير في المجتمع ، ولايقتصر ذلك على الروائية وحدها ، وربما وجدت الروائية موضوعة (العقم) التي تَكتنز بالدلالات المناسبة للخوض بكتابة روائية فيها ، وهي في النهاية ((مغامرات وهمية مكتوبة على الورق)) [٣٥٥].

وفي دراسة أجراها الناقد حاتم الصكر لنص الكاتب عبد الستار ناصر(على فراش الموز)[٣٥٦]، فقد وجد الناقد أن العمل يَعتاش على مفردات تلك السيرة المحتشدة بالأحداث، على الرغم من أن المؤلف عقد ميثاقاً مع القارئ بوضع كلمة(رواية) على الغلاف الخارجي ، وعدم التطابق في الاسم بين المؤلف (عبد الستار ناصر) ، والشخصية الرئيسة في العمل (رواية رشدي)، التي يذهب الناقد أنّها إشارة لإنجاز رواية لا سيرة ، وأهم الإشارات التي اعتمدها الناقد في ملاحظة مدى تحقق الجانب السيري من حياة المؤلف في روايته، هي: – (العتبة)، فقد أتاحت العتبة إشارة سيميائية للناقد وميثاقاً لما ستحتويه هذه الرواية من مراحل حياته، يستعين بعتبة أولى يثبتها قبل المتن السردي مأخوذة من الشاعر توفيق صايغ

---

(٣٥٤) ينظر، أثر السيرة الذاتيّة في النصّ الروائي رواية(الصندوق الأسود):مثالاً د.فاضل عبود التميمي جامعة ديإلى ، مجلة سردم العربي العدد(٣٢) ٢٠١٢ :٤٥

(٣٥٥) ينظر ، أثر السيرة الذاتيّة في النصّ الروائي رواية(الصندوق الأسود):مثالاً :٤٦

(٣٥٦) ينظر، البوح والترميز القهري:٦٢-٧٦

:هذا أنت من المنيّ إلى المنيّة وهي تمثل حياة الإنسان منذ تكونه ونشأته إلى موته ونهايته بما يوحي للمتلقي بأن الكاتب وظف المادة السيرية في بناء روايته [٣٥٧].

– المكان الذي نشأ فيه والذي وصفه بأنه (المكان الغرائبي الوسخ) إنه زقاق الطاطران (المنسي المهمل) في قلب العاصمة بغداد ، لكنّه احتل حيزاً مهماً في ذاكرة رواية[٣٥٨].– ذكره لأسماء أصدقائه من الأدباء والكتاب الذين ماتوا والذين لم يموتوا بعد ، وعن أعمالهم وأشعارهم وبعض حكاياتهم .

– تصريح الكاتب إنما كتبه لم يكن إلا ذكريات ، وليؤكد الكاتب خصوصية عمله يُصرح بأن روايته هنا إنما تتغذى من الذكريات، لتصبح مناسبة للحديث عن سيرة، شاء الكاتب بخياله وتصويره أن يغلفها بالغلاف الروائي تخييلاً وفناً، فيُحلّق بالواقعة الحياتية متناسياً موضوعيتها ؛ أي ارتباطها بموضوع قديم أو ماض؛ ليمنحها هذا الوجود الفني تأثيراً في المتلقي بحكم طبيعة عمله النصي الموائم بين السيرة والرواية[٣٥٩] .

إن مايلفت الانتباه في مراجعتنا لهذه القراءة ونماذج عدّة مشابهة لها أن استفحال ظاهرة الالتباس والاضطراب الذي يتجلى في تصنيف النصوص وتعيين حدودها الإجناسية تعود لسببين شائعين أولهما: الالتباس الكائن بين نصوص السيرة والروايات التي استلهم كُتّابُها بعض الحوادث والوقائع من حياتهم الخاصة ، وثانيهما: التباس الحدود الفاصلة بين السيرة الذاتية والأنواع الأخرى من كتابات الذات كالذكريات ، والمذكرات ، واليوميات ، وهذا أدى الى تضارب الآراء النقدية ، واستحالة ضبط مدوّنات إبداعية حديثة مستقرة من حيث الضوابط التي تسودها ، وعلى الرغم من وجود هذه الاضطرابات المنهجية في مقاربة النصوص وتأويلها ، إلا أننا نَعُدّها ظاهرة طبيعية لأنها جاءت تعبيراً عن مرحلة نهضة نقدية أرتقت بقضايا السيرة الذاتية وانتزعتها من الأهمال لفترة طويلة.

وهناك نصوص جُنِست على أنها (سيرة ذاتية) لكن القراءات البحثية وضعتها في منطقة تداخل السيرة الذاتية مع الرواية ومن أمثلتها (الاعتراف الأخير لمالك بن الريب) ليوسف الصائغ ؛ إذ ذهب الباحث سالم جمعة كاظم الى تجنيس النص بأنهُ رواية سيرة ذاتية و يبدو لنا هذا الرأي مفروضاً على النص وصاحبه ، فتحقق الميثاق السيرذاتي المتمثل بالتصريح

([٣٥٧]) ينظر ، م.ن : ٦٧ .

([٣٥٨]) ينظر، م.ن:٦٣–٦٤

([٣٥٩]) يُنظر : البوح والترميز القهري : ٦٧

بكلمة(سيرة ذاتية) على الغلاف الخارجي[٣٦٠] ، وذكر الاسم في أعلى صفحة الغلاف ، وتطابقه على الشخصية داخل السيرة ، فضلاً عن أن عنوان السيرة هو نفسه كان الكاتب قد وضعه عنوانا لأعماله الشعرية ، لكي يكون دالاً على خصوصيته وشخصيته القريبة من شخصية الشاعر الاسلامي (مالك بن الريب) ، ووضوح عنصر الاعتراف والصدق والصراحة في نصه ، كلها أدلة على سيرذاتية العمل الفني ، أما القول بانتقائية الأحداث واللعب الفني بالضمائر وإدخال الخيال الابداعي في إعادة صياغة ذاكرة الواقع وهيمنة الشاعرية على اللغة السردية ، واستخدام بعض التقنيات الروائية[٣٦١] ، فهذا لا يفضي إلى خلخلة الميثاق السيرذاتي وعدم إيلائه أي أهمية ومن ثمَّ تغيير هوية النص.

فكل ما ذكره الباحث فيما سبق ذكره طبيعي حصوله في النصوص السيرذاتية ؛ لأن السيرة الذاتية لا تأخذ شكلاً واحداً في البناء الفني[٣٦٢] ، فالأسلوب يختلف من كاتب لآخر ، وأن مسألة تنويع الضمير داخل النص لا يفضي هو الاخر بتغيير هوية النص ، فقد أكد الناقد الفرنسي (اميل بنفنيست) أن الضمير لا يمكن أن يكون معياراً قاراً للتمييز بين الأجناس ، وأن الضمائر الثلاثة (ضمير المتكلم وضمير الغائب وضمير المخاطب) جميعاً لاتنفي تحقق قانون التطابق ، ويبقى الفرق في تلك المسألة هو استخدام الطريقة المباشرة الي يتيحها ضمير المتكلم أو غير المباشرة التي يتيحها ضمير الغائب وضمير المخاطب[٣٦٣].

ومسألة انتقائية الأحداث أصبحت من سمات العمل السيري ، لأنه ليس من المعقول كتابة كل ما يستحضره المخزون الذاكراتي ، وإنما هي عملية انتقائية للأحداث يتم رصدها وتشخيصها بطريقة فنية منمقة بما يخدم العمل ويبعد الملل عن القارئ، و أن اضفاء جانب من الخيال في إعادة صياغة ذاكرة الواقع ، وهيمنة الشاعرية ، فتلك أيضاً لا تخل بالجانب السيري من النص لأن كل نص أدبي هو إبداع ، وكل إبداع به حاجة الخيال وإن كان مقيداً في السيرة الذاتية ، ولكن الكاتب يستخدمه بالقدر الذي يحول الأحداث من رتابتها وبساطتها على أرض الواقع إلى عمل فني إبداعي يتخذ من سيرة حياة الشخص موضوعاً له.

---

(٣٦٠) ينظر ، بنية السرد في الاعتراف الاخير لمالك بن الريب، رسالة ماجستير، سالم جمعة كاظم، جامعة القادسية٢٠١٠ م: ٣١

(٣٦١) يُنظر : م . ن : ٢١

(٣٦٢) ينظر، السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان ، جبرا ابراهيم جبرا، احسان عباس موذجاً:١٦

(٣٦٣) ينظر، النقد والادب، جان ستاروبنسكي ترجمة: د. بدر الدين قاسم، مراجعة: أنطوان مقدسي، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦: ٧٩.

وفي النهاية يبقى أُفق انتظار القارئ هو من يُحدد نوع التلقي ، ولا أحد يمكنهُ أن يخرق قناعات القارئ في أن الرواية عملٌ متخيَّل، والسيرة وثيقة لها بعد واقعي، فالقارئ يندفع في الرواية للتماهي مع تجربة خيالية، ويندفع في السيرة بفضول معرفة حقيقية ما حصل للآخرين[٣٦٤].

وما لاحظناه في بحثنا في الدراسات النقدية التي أُجريت في هذا النوع يبين لنا أنّ كتابة جنس العمل (رواية) من قبل المؤلفين لن يمنع الدارسين من افتراض وجود تداخل سيري روائي، والاستدلال على ذلك من خلال الكشف عن الجانب السيري في العمل الروائي ، فالسيرة الذاتية الروائية تُنوّع ما أمكنها ذلك في استثمار الطاقات التقانية بآلياتها المتعددة للرواية والسيرة الذاتية معاً، كما أنّها تنوّع في صياغتها للتجربة الذاتية المستعادة بطريقة فنية تناسب متطلبات الواقع والمتخيل فتثمر كتابة جديدة مهجنة بطريقة تستأثر باهتمام كثير من الدارسين في النقد العربي الحديث.

والحذر واجب هنا من اصدار الأحكام النقدية بأن لا تكون متعجلة وسطحية في قراءة النصوص التي لم يكن كُتّابها يقصدون من ورائها كتابة جانب من سيرهم الذاتية ، وإنما هي أعمال فنية متخيلة لا علاقة لها بالسيرة الشخصية للمؤلف ، وإن كان المؤلف قد استخدم فيها شيئا من مفردات الحياة فالمؤلف هو جزء من عالم واقعي يؤثر ويتأثر ، وقد ينطبق ما يقوله الروائي على الكثيرين ممن عاشوا هذا الواقع على صعيد الأحداث أو العناصر الزمكانية والشخصانية ، وليس على شخص المؤلف بالتحديد فأغلب الروائيين يستقون تجاربهم الروائية من الواقع ؛ لذا فالأحكام غير المنصفة تعود بشكل سلبي على الناقد والعمل الفني وكاتبه على حد سواء ، فضلاً عن الضرر والقصور الذي سيلحق بالعملية النقدية للرواية والسيرة الذاتية معاً.

([٣٦٤]) يُنظر : موسوعة السرد العربي:٢/٤١٣ .

المبحث الثاني
التداخل بين السيرة الذاتية والقصة

على الرغم من الحرية التي يتمتع بها القاص في استخدام مخيلته في عمله الفني، إلّا أن ذلك لا ينفي أن تكون أحداث ذلك العمل واقعية ناجمة عن تجربة شخصية ، إذ يحاول المبدعون تطويع المادة التاريخية للسيرة وتحويلها إلى عمل ابداعي يحتفظ ببصمة مبدعه لصلة ذلك برؤيته لهذا العمل، وهي رؤية فنية خالصة ، لفنان خاص متعين بالذات، متناولاً فيها على نحو واضح معارفه وتجاربه وتراثه واعترافاته، وهذا أدى إلى انفتاح السيرة الذاتية على أساليب الكتابة الإبداعية المتنوعة وآلياتها ومكوناتها ، وخلق غموضاً والتباساً في تحديد هوية النصوص ، وما يسعى إليه النقد عبر مناهجه الحديثة هو البحث في اشكالية العلاقة بين الفنون الادبية وتداخلها وتفسير ذلك اللبس والتماهي ، ومن تلك الفنون القصة والسيرة الذاتية .

إشكالية تداخل الجنسين:

ومع خصوصية السيرة الذاتية التاريخية والواقعية ، إلا أنّها تقترب من القصة فكلتاهما تنهض على الطابع القصصي ، وان عرض القصة للمشكلة في حياة البطل أو لحادث ما في مجتمعه والأثر المصاحب له ، وعلاقة ذلك بنمو عقدة القصة وتطورها يشبه عرض كاتب السيرة الذاتية لحياة الشخصية المركزية التي تمثله شخصيا ، ولا يختلف كاتب السيرة كثيراً عن القاص عند محاولة تصوير الصراع بين البطل ومحيطه العام والخاص فقد يكون رافضاً لنواميس المجتمع ، يعيش في علاقة إشكالية بينه وبين مجتمعه[٣٦٥].فليس من الغريب أن يتشكل نوع جديد من الكتابة الإبداعية التي يتماهى فيها ((القاص ليقدم من خلالها عالماً يتمازج فيه الخيال بالواقع، وتتعاون فيه المخيلة مع الذاكرة))[٣٦٦] ، ويعد هذا النوع الأدبي من الأنواع التي خلقت تعقيداً وتمويهاً إجناسياً ، وتعدداً مصطلحياً ، فضلاً عن الأنواع المهجنة الاخرى الناتجة من تلاقح السيرة الذاتية وغيرها من الأجناس الأدبية ، التي بحث النقاد والدارسون في إشكاليتها المصطلحية والمفهوماتية، إلا أن الدكتور محمد صابر عبيد يرى أن أعقدها نوعاً هو الناتج من علاقة التداخل بين السيرة الذاتية والقصة بشكل عام والقصة القصيرة بشكل خاص، إذ ((يعد الإلتباس العميق الحاصل بين التجربة الشخصية

([٣٦٥]) ينظر، فن السيرة.:٨٥

([٣٦٦]) السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن، د.خليل شكري هياس ، مجلة آداب الفراهيدي، العدد(١) السنة الاولى، كانون الاول ٢٠٠٩ : ٨٤

السيرذاتية للقاص وتجربة الإبداع النصّي القصصي من أعقد الإلتباسات الإشكالية في جوهر العمل القصصي ، ذلك أن فن القصة القصيرة من أكثر الفنون الكتابية استجابة للنزعة الذاتية وتعاطياً مع التجارب الشخصية للقاص ، بفعل ضغط التجربة السيرذاتية من جهة وإغراء النوع الكتابي لحساسية التجربة من جهة أخرى ، وربما من الصعب الفصل في هذه القضية لأن الالتباس الإشكالي عميق وشائك ، وهو في صالحها ومصدر أساس وجوهري من مصادر تمويلها وحيويتها))[٣٦٧].

ويبدو أن هناك من يرى خلاف ذلك الرأي كون فضاء القصة والقصة القصيرة لا يتسع للبوح في تفاصيل الحياة الشخصية ، فالدكتور خليل شكري يرى أن ((القصة بشكل عام والقصة القصيرة بشكل خاص لا يمكن أن تَستوعب سيرة الذات بحكم صغر مساحتها))[٣٦٨] ، وهو في ذلك يَحتكم إلى تعريف لوجون للسيرة الذاتية بأنّها : حكي نثري يعلن فيه شخص واقعي عن وجوده الخاص ، مُركزاً على تاريخ حياته وشخصيته بتفاصيلها الإيجابية والسلبية [٣٦٩] ، ومن المؤكد أن ذلك الحكي النثري الذي يَبوح بتلك التفاصيل به حاجة إلى مساحة تستوعبه وتُتيح للكاتب أن يُعبر بحرية عمّا يُريد أن يَكتبهُ.

ومع ذلك فهو لا يعترض على فكرة التهجين أو التداخل بين الفنين ، لذلك يحاول معالجة هذا الأشكال بأن تحمل القصة جانباً أو أجزاءً من سيرة الحياة وليس الحياة بأكملها وبهذا التكثيف ممكن ان يكون فضاء القصة قابلاً للتلاقح مع السيرة الذاتية ؛ إذ يقول: ((وبما أن النص القصصي السيرذاتي بمفرده – على الرغم من كل المرتكزات التي يحملها – لا يستطيع سرد سيرة الذات، لذا فان تعريف لوجون لا يمكن تطبيقه على النص القصصي ما لم نشفعه ببعض التغييرات كي يتناسب مع طبيعة النص شأنه في ذلك شأن القصيدة السيرذاتية))[٣٧٠]، ويمكن القول : إن تسويغ خليل شكري لمناسبة هذا التلاقح الإجناسي يشمل علاقة السيرة الذاتية مع الفنون الأدبية الأخرى وإن اتسعت فضاءاتها للبوح بالسيرة الذاتية، إذ وجدنا من خلال قراءتنا في الدراسات والأعمال النقدية التي تناولت علاقة السيرة الذاتية بالرواية أو علاقتها بالشعر، إن تلك الدراسات تتبعت المناطق السيرذاتية في تلك

([٣٦٧]) المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٣٠٣

([٣٦٨]) القصة السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن:٨٦

([٣٦٩])ينظر، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي:٢٢

([٣٧٠]) القصة السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن:٨٦

النصوص فلم تجد إلا أجزاءً واشتاتاً من سيرة الذات[٣٧١]. وإن كتابها لم يبثوا فيها كل جوانب الحياة ، وإنما استثمروا منها بعض التجارب الذاتية في بناء عوالم يمتزج فيها الواقع بالخيال، وأغلب تلك الأعمال مثلت ((صيغاً هروبية))[٣٧٢]، أراد الكتّاب التماهي خلفها للخلاص من رهبة البوح والاعتراف التي تعد عناصر أساسية في النص السيرذاتي. أما الرجوع إلى تعريف لوجون فتكمن الاستفادة منه في التعرف على تلك الأجزاء أو الأشتات السيرية ومدى تحققها في تلك النصوص الابداعية .

وإذا كان هناك حضور كلي للسيرة الذاتية فإن ذلك يعود إلى اكتناز تلك السيرة بالتجارب الذاتية وأهمية تلك التجارب في حياة صاحب السيرة أو بالعكس، ويؤكد ذلك قول محمد صابر عبيد: ((إلا أن حضور السيرة الذاتية في قصة / قصص القاص تتراوح من الحضور الكلّي الطاغي والمهيمن ، إلى الحضور الكلّي الذي لا يتجاوز اللمحات أو الإشارات أو اللحظات ، على النحو الذي يناسب خصب السيرة وثراءها ، ويتلاءم مع منهج الكتابة وفلسفتها لدى القاص ، فضلاً عن طبيعة الفضاء القصصي لكل قصة ، ومدى تجاوبها مع هذا المعطى بإشكالياته المعروفة في وضع الحادثة / الحوادث الشخصية في منطقة السيرة الذاتية ، وقابلية انتقالها وتحويلها إلى نص قصصي بكل ما ينطوي عليه الانتقال والتحويل من إجراءات وتشغيل تقانات وآليات ورؤى))[٣٧٣] .

إنّ هذا النوع من الكتابة يتطلب وعياً بالكتابة السيرذاتية ؛ إذ يكون بالإمكان رسم مسارات الذات وتوجيهها لتنصهر في بوتقة القصة وهذا يستلزم تعاملاً خاصاً للغة قائماً على التكثيف في الحدث والموضوع والفكرة، ولاسيما القصة القصيرة التي تنهض على تجربة لها أهمية في حياة الكاتب في جانب ما سواء على الصعيد العاطفي أو السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي[٣٧٤] .

المصطلح :

إنّ أهم ما يجدر بنا توضيحه هو البحث في المصطلح الذي أطلق على هذا النوع الهجين ، وإذا كنا قد لمسنا إشكالية نقدية تتعلق بمصطلحات وتعاريف لأنواع أخرى تلتقي

---

(٣٧١) ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٤٣٦، ، وموسوعة السرد العربي: ٤١٨/٢-٤٢٤ ، و عندما تتكلم الذات: ١١٣ ، و البوح والترميز القهري الكتابة السير-ذاتية دراسة نقدية: ٦٧.

(٣٧٢) البوح والترميز القهري:٢٤

(٣٧٣) المغامرة الجمالية للنص الأدبي-دراسة موسوعية-:٣٠٥

(٣٧٤) ينظر، القصة السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن:٨٥

فيها السيرة الذاتية مع فنون أدبية في أثناء اطلاعنا على الدراسات النقدية التي عُنيت بتحليل تلك القضايا ، إلّا أنّنا هنا في منطقة تداخل جنسيّ السيرة الذاتية والقصة لم نجد جدالاً نقدياً نقف عليه ؛ ويعود السبب في ذلك إلّا إنّنا لم نجد جهوداً نقدية بُذلت في البحث في تلك المنطقة ، سوى الجهود النقدية التي قدمها الناقدان محمد صابر عبيد[٣٧٥] ، وخليل شكري هياس[٣٧٦] ، وقد اتفق الناقدان على الاصطلاح على هذا النوع بـ (القصة السيرذاتية) ، ويبدو لنا واضحاً أنّ المصطلح أساسا لمحمد صابر عبيد ، وهو من المصطلحات التي أدرجها في معجمه الذي أنجزه وخصّصهُ للتعريف بمصطلحات السيرة والأنواع القريبة منها ، والمهجنة معها، والذي سجل أول ورود للمصطلح فيه.

التعريف :

أما تعريف هذا النوع فقد عرفه الدكتور محمد صابر بأنه: ((سرد استعادي فني ينهض به راو سيرذاتي، يفيد من التقانات الفنية للقصة القصيرة بأشكالها وآلياتها المتعددة والمتنوعة لتسجيل سيرة حياته، عبر قصّة واحدة طويلة تحتشد فيها الأحداث وتتركز بحيث تسمح على نحو ما إظهار الشكل الترتيبي التصاعدي للسيرة المحكيّة سرداً وحدثاً وفضاء، أو مجموعة قصصية واحدة أو أكثر تحكي قصّة هذه السيرة بمراحل تتوزّع على القصص وحسب المراحل الزمنية التي يجدها الراوي مناسبة وصالحة فنياً للعمل القصصي، وربما وجدنا أعمالاً قصصية كاملة لقاص هي ليست في الواقع سوى سيرة ذاتية، شاء القاص لأسباب متنوعة نقلها إلى ميدان فني يبدو غير سيري متقصّداً الإخفاء والتمويه، لكنّه ما يلبث فيما بعد أن يصرّح بذلك من خلال إشارات، أو لمحات، أو اعترافات، تكشف عن هذه الصلة بين الفن القصصي والمرجعية السيرذاتية))[٣٧٧] وهو تعريف وافٍ يَذكر فيه الناقد كل التفاصيل التي تتعلق بهذا النوع وشروطه .

وإذا تأملنا في هذا التعريف فإننا سنجده لا يتعارض مع تحقيق المشروع السيرذاتي في النص وأن تداخل مع فن القصة ، فالناقد يشترط على كاتب القصة السيرذاتية الآتي:

- السرد فيها استعادي باتجاه الماضي.

([٣٧٥]) يُنظر : في كتابيه تمظهرات التشكيل السيرذاتي قراءة في تجربة محمد القيسي السيرذاتية: ١٣٩ ، و المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٧١٢–٧١٣ .

([٣٧٦]) يُنظر : في بحث فريد كتبه في مجلة آداب الفراهيدي سنة ٢٠٠٩ ، تحت عنوان((القصة السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن)) :٨٤

([٣٧٧]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٩ ، وينظر، المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٧١٢

- إن الذي يقوم بالقص راو له وجود واقعي.
- أن تتسع مساحة النص لسرد تفاصيل مهمة من حياة صاحب السيرة.
- التوثيق للأحداث التي جرت على ارض الواقع في حياة الكاتب، أي تحقق ما اسماه لوجون بـ (الميثاق المرجعي).

وقد وضح الناقد تفاصيل هذا التداخل القصصي السيرذاتي معتبراً نفسه أمام مسؤولية اجتراح هذا النوع ، وجدير به ان يضع حدّاً لما أقترحه ، وكان له جهد تنظيري وتطبيقي في هذا الجانب، وبذلك فإن محمد صابر عبيد يُعطي حلولاً أكثر نضجاً لهذا النوع لأن يستوعب سيرة الحياة الشخصية فإذا لم تكن القصة طويلة ، فمن الممكن أن تتوزع سيرة الحياة على مجموعة قصصية كاملة للقاص، وإن لم تستوعب فأكثر من مجموعة قصصية ، لذا فهو يمنح القاص حرية في سرد تفاصيل كثيرة من سيرته في منجزه القصصي.

أما خليل شكري فيحاول أن يجد تعريفاً لا يكون فيه هذا النوع الهجين مخالفا لما جاء في تعريف لوجون للسيرة الذاتية ، وفي الوقت نفسه مناسباً لحجم القصة كحاضنة لسيرة القاص الذاتية فيعرفها: بـ((إنّها قصة استعادية نثرية، يروي فيها القاص كِسراً سيرية عن حياته ووجوده، مركزاً حديثه على حياته الفردية، وعلى تكوين شخصيته بالخصوص، مستنداً في كل ذلك إلى آليات المنظومة الذاكراتية))[٣٧٨] ،

وبهذا يمكننا القول إن هذين الناقدين فتحا آفاقا لمن يريد من الدارسين الولوج في دراسة هذا النوع الجديد الذي مازال أرضاً بكراً لم تتناولها أقلام الدارسين بعد ، ومن المؤكد أن هناك نصوصا تستحق الدراسة تحقق بها هذا التلاقح الإجناسي بحسب اطلاعنا، وهذا زاد في رغبتنا في عدم إهمال جهود هذين الناقدين في هذا الجانب ،ولاسيما وأن جهودهما أضافت ثراءً نقدياً لساحة النقد السيرذاتي واختيارهما لنصوص أكدت إمكانية هذا التلاقي السيرذاتي–القصصي ، والقيمة الفنية والجمالية لهذا التلاقي .

الدراسات التطبيقية

ننتقل إلى القراءة التطبيقية للناقدين ، لمعاينة كيف تحسسا الملامح السيرذاتية في النصوص القصصية ، وما الدلالات التي استندا إليها في اثبات الحضور السيرذاتي للذات الساردة ، وأي المناهج التي أُعتمِدت في الاستدلال على ذلك الحضور.

([٣٧٨]) القصة السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن:٨٦

ونبدأ بدراسة للدكتور محمد صابر عبيد حيث يُحاول فيها تقديم نموذج واضح لهذا التداخل من خلال قراءته لقصة (لحظة واحدة من فضلك) للقاص عبد الستار ناصر، فيصرح بعد سبره لأغوار النص ، وتحليله لبنيته ، أن القاص جعل من ((حياته بمختلف اتجاهاتها وصورها وتشكيلاتها وفضاءاتها وتجاربها ورؤاها مشروع دائم للقص ، فسيرته هي قصته ، وقصته هي سيرته ، وهو يتمتع بحرية كافية ذات مرونة عالية وشفافية انسيابية مدهشة لتحويل كل شيء في حياته إلى سرد قصصي ، فحياته شهادة ، وشهادته سيرة ، وسيرته قصة ، وقصته حياة))[٣٧٩] .

ومن حق القارئ هنا أن يتساءل عن صحة هذا الاستنتاج لأن القراءة النقدية عادة ما تتطلب الحصول على إشارة محددة تصلح ميثاقاً بينها وبين الكاتب ، تُبرز على نحوٍ ما حضوراً سيرذاتياً معيناً في المتن القصصي، فما الميثاق الذي مسكه عبيد في قراءته لنص عبد الستار ناصر؟ وهل هو ميثاق معلن أو مخفي؟

وهنا يُقدم الناقد أدلته الدامغة والمُقنعة للقارئ بإثباته للمرجعيات السيرذاتية المتوفرة في النص التي ((تُحيل على السيرذاتي الواقعي المحض أكثر من إحالتها على السردي القصصي))[٣٨٠] .

وتتمثل تلك المرجعيات بالآتي:

-الإحالة على الشخصيات بمسمياتها ذوات المرجعية الواقعية المعروفة في مجتمع القاص وفي دائرة أصدقائه .

- الأمكنة الواقعية التي حدثت فيها أحداث حياة الكاتب.

- التواريخ ذات المرجعية الواقعية.

- الأحداث بصورها وتشكيلاتها وفضاءاتها وتفصيلاتها كما حدثت في حياة الكاتب.

فضلاً عن التزامه ترتيباً زمنياً تصاعدياً وخطاً سردياً يسير من الماضي باتجاه الحاضر عبر تقنية الاسترجاع ، ووظف ضمير المتكلم(الأنا) في السرد ، لتأكيد ذاته في ثنايا قصته.

ومؤكد أن تعمل تلك المرجعيات على دعم الحس السيرذاتي بوصفها موجهات قرائية تُكثف الدلالة حول سير ذاتية القصة ، ومن ثمَّ يتحقق جانب من الميثاق وهو (ميثاق

([٣٧٩]) المغامرة الجمالية للنص الادبي-دراسة موسوعية-:٢٨٨

([٣٨٠]) المغامرة الجمالية للنص الادبي-دراسة موسوعية- : ٢٩٢

ضمني) ، على الرغم من أن الكاتب يُعلن عن تجنيس نصه على إنه قصة ، وهذا يُتيح له استعمال الخيال في نصه بحرية تامة ، و يُظهر الناقد للقارئ الإشارات السيرذاتية على شكل ألبوم صور تتوزع تلك الصور في أرجاء قصته مُشكلة لوحات قابلة للتحليل والتأويل ، وهو يُقلب في ذاكرته لاسترجاع تلك التجارب بفضاءاتها وتشكيلاتها في رؤية تتمحور حول الذات الساردة ، وتصلُح أن تكون ميثاقاً بين القارئ والكاتب، دامجاً في ذلك بين الواقعي بالمتخيل داخل حاضنة القصصي[٣٨١] .

أما ملاحظة الناقد حول انتقاء القاص لأجزاء من سيرته[٣٨٢] ، فهي سمة مشتركة بين المبدعين الذين يستثمرون تجاربهم الذاتية في تغذية نصوصهم الإبداعية بحسب ما أسلفنا سابقاً، ذلك أن القاص أو الروائي أو الشاعر غير مُلزم باستحضار كل سيرته الذاتية في عمله الابداعي ، فهو بالنهاية عمل تخييلي ، وهو اختيار واع للمفردات السيرية في حدود ما ينهض بالنص ويعمل على إضاءة أجوائه وصبغها بصبغة الواقعية، وفي الوقت نفسه يَخدم المنطقة السيرذاتية التي لا يجرأ الكاتب على البوح بها في نص سيرذاتي صريح.

ومن الملاحظ أن الناقد في قراءته السابقة لا يتقيد بالمنهج ولا يفرضه على شخصيته النقدية ، إذ إن رؤيته للنص هي الأساس في الإجراء النقدي الذي أعتمده، وأنفتح على النص بحسب معطياته وتمثلاته واستجابته لحساسيته النقدية ساعياً إلى إنجاز قراءة نوعية يتحدى فيها النص ويسعى إلى اختراقه متوغلا في طبقاته وثناياه ، فقدم رؤية قرائية ناضجة وخصبة حققت فائدة جمالية وفنية للمتلقي.

ويظهر هذا التداخل في فضاء القصص القصيرة ، على أن تُكتب في مجموعة قصصية كاملة أو أكثر ((تحكي قصّة هذه السيرة بمراحل تتوزّع على القصص وحسب المراحل الزمنية التي يجدها الراوي مناسبة وصالحة فنياً للعمل القصصي))[٣٨٣] .

يَتكشف لنا هذا التداخل في قراءة أُخرى للناقد عبيد في قصة ((طريق دار العجائب)) للقاصة رشيدة الشارني من مجموعتها ((صهيل الأسئلة))[٣٨٤] . يقرأها الناقد قراءة سيميائية يصف فيها الفعل العلامي والإشاراتي وأثره في تصور حساسية الشكل، و حيوية التعبير

([٣٨١]) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–: ٢٨٨–٢٩٣

([٣٨٢]) ينظر، م . ن : ٢٩٠

([٣٨٣]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٩ ،وينظر، المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٧١٢

([٣٨٤]) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٣٠٥

والعلاقة الجدلية بين النص وبين المجالات الأخرى[٣٨٥] ، وهو ما دفع الناقد إلى التعاطي مع آليات هذا المنهج في قراءته للقصة ، بالقدر الذي تُتيحهُ هذه الآليات من قوى قرائية بوسعها الإجابة عن أسئلة هذه التجربة الإشكالية. وهي قراءة تفحص هذا التداخل (السيري/ القصصي) وترصد تحولاته ، حيث تتوافر الوثائق والبيانات والأسانيد والقرائن والمرجعيات التي تمنحه الثقة في رؤيته النقدية والفكرية.

يخبرنا الناقد أن الكاتبة استطاعت أن تستثمر أكثر من أداة لتسخيرها في خدمة المنطقة السيرذاتية ، وأهمها (عتبة العنوان) بوصفه موجهاً قرائياً ،وذهاب الراوي إلى التركيز على الشخصية المركزية (الأنثوية) المتمثلة بشخص الكاتبة و توظيف الضمير السردي الأنثوي الذي يخضع لتحوّلات في موقع الراوي ، في تصوير عنف الصراع وإصرار الشخصية الأنثوية على توكيد صورتها الإنسانية المدافعة عن حقها ومصيرها بتحميل المساحة المحدودة للغة طاقة حياة لا محدودة عبر مقاربة السيرذاتي (الواقعي) بالسردي (المتخيّل) [٣٨٦]، ويمثل السرد عن السلطة الذكورية رؤية الكاتبة حول دور تلك السلطة في تهميش الدور الأنثوي بكل ما اعتراه من ضروب القمع والاضطهاد وخنق الإرادات.

وقد تمكن الناقد من رصد التواريخ والأمكنة والشخصيات المكثفة مع دلالاتها الذاكراتية المتصلة بسيرذاتية القاصة[٣٨٧] ، وهذا بدوره يُضاعف تعزيز سيرذاتية القص.

إنّ قراءة الناقد لنص رشيدة الشارني لا تقوم على المقارنة والمقايسة بين حياة المؤلف ونصه التخييلي فحسب ، وإنما هي قراءة تشتغل على فك رموز النص واستنطاق دلالاته ، وتلك القراءة هي قراءة نموذجية قائمة على فهم قوانين اللعبة السردية ، وهو ما تحدث عنه

([٣٨٥]) ينظر، السيميائية: مفاهيم، اتجاهات، أبعاد ، ابراهيم صدفة، ضمن كتاب: السيمياء والنص الادبي:٨٦
([٣٨٦]) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٣٠٥
([٣٨٧]) ينظر، م . ن –:٣٠٧–٣٠٩

امبرتو إيكو بأن يكون القارئ واعياً بطبيعة التلميحات والتصريحات التي يوجهها الكاتب له والتي تشكل طبيعة العقد القرائي[٣٨٨].

ويستند الدكتور خليل شكري في اختياره لمجموعتي كمال عبد الرحمن القصصية بتحديد عدد من القصص لقراءتها قراءة سيرذاتية إلى الميثاق الصريح الذي عقده القاص بينه وبين القارئ؛ إذ يقول في عتبة الإهداء التي يفتتح بها مجموعتيه (الحاسة التاسعة) و (المغني الصامت) مصرحا فيها أن سيرته مبثوثة في قصصه : ((إليك جزءاً من حياتي مبثوثة في ثنايا قصصي))[٣٨٩] .

ويحلل الناقد قصة (ما أتاني من حديث عبد جدو) تحليلاً في بنية النص والتقاط ما هو مخفي بين تخوم تلك البنية، محاولاً تحسس المنطقة السيرذاتية فيها المتمثلة بأهم مرتكزات السيرة الذاتية ، فالسرد الاسترجاعي ، وتوظيف ضمير الأنا الذي يُشير إلى الذات الساردة وهي نفسها ذات المؤلف والأدلة على تطابقها مع الشخصية المركزية في النص ، فضلاً عن توظيف صيغة الماضي ابتداءً من العنوان الذي عدّه الناقد عتبة مهمة في تأكيد ((سيرنة القصة))[٣٩٠] بحسب ما يسميها محمد صابر عبيد ، إذ بدأ بكلمة(ما أتاني) في إشارة إلى أن الراوي يريد أن يقص أحداثاً في زمن انقضى، ثم تصريح الكاتب باسم والده (عبد جدو)[٣٩١] ، فضلاً عن ذكر القاص لأماكن وشخصيات واقعية وطقوس دينية وتراثية موثقة ترتبط بواقع وطبيعة حياة القص[٣٩٢]، وهو ما يمكن أن يعتمده عقداً أو ميثاقاً وموجّهاً سيرذاتياً، وهو ما ساعد الناقد على التحقق من صحة كل ما صَرح به القاص في نصهِ ، ومعاينة المنطقة الواقعة بين السيرذاتي والقصصي أي بين الواقع والخيال.

وقد قامت هذه القراءة على معايير نقديّة صلبة قادرة على أن تتبين فلسفة القص عند كمال عبد الرحمن التي تجمع كل الأدوات والتقانات والقيم والذكريات والرؤى في فضاء سردي واحد يجمع بين القصصي والسيرذاتي.

([٣٨٨]) ينظر ست جولات في الغابة القصصية ،امبرتو ايكو ، ترجمة: د.محمد بن منصور أبا حسين ، جامعة الملك سعود ،الرياض ،١٩٩٨: ١١

([٣٨٩]) القصة السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن: ٨٧

([٣٩٠]) المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٢٨٨

([٣٩١]) ينظر، القصة السيرذاتية في قصص كمال عبد الرحمن:٨٧

([٣٩٢]) ينظر، م . ن : ٩٣

يتضح لنا أن الناقدين في قراءتهما لهذا التداخل في النماذج النصية التي اختاراها للتطبيق فإنهما لم يُحاولا إسقاط العالم الخارجي لهؤلاء القصاصين قسراً على أعمالهم القصصية ، وإنما استندا إلى أدلة تثبت للقارئ هذا الحضور السيرذاتي الجلي في تلك النصوص كما وضحنا سابقاً ، وتكشُف عن التطور الحاصل في جنس السيرة الذاتية وانفتاحها على الأساليب الابداعية عبر تلك النصوص التي عَمِدَ أصحابها إلى تجسيد ذواتهم فيها مستعيدين الماضي ليعيشوه مجدداً في قصصهم .

وخليق بنا أن نشير إلى أن هذا التداخل والتضافر ناتج عن الرغبة في الابتعاد عن شبح السيرة الذاتية وهو ما أطلق عليه حاتم الصكر صيغ هروبية[٣٩٣] ، لمن تنقصهم جرأة الاعتراف الضمني أو الصريح في نص سيرذاتي ، فضلاً عن أن السيرة الذاتية مصدر خصب وثري يستقي منه الكُتّاب في كتاباتهم الإبداعية، مما يَمنح النصوص الجديدة حيوية وإشراقاً ناتجة عن الاندماج بين فنين إبداعيين، وتظهر جمالية السرد وحساسيته الفنية في التنويع وتطعيم القصصي بالسيرذاتي ثم الإطاحة بالفاصل بين النوعين ليصبح فضاءً إبداعيا واحداً لهُ خصوصيتهُ وفنيتهُ.

المبحث الثالث
تداخل السيرة الذاتية مع الشعر

على الرغم من النظرة القاصرة للشعر في أن يكون وسيلة لكتابة سيرة الحياة لشخص ما، بوصفه يعتمد الإشارات والرموز والإلماحات في ايصال أفكار الشاعر ، إلا أنه أراد في لحظة ما ((إن يثبت أنه قادر على أن يلج الميادين التي كانت للنثر أو لعل الشعراء –أو ناظمي الشعر المؤرخين –أرادوا للشعر أن يكون سبيلا متأنقا لكتابة التأريخ فلجأوا إلى تدوين بعض السير عن طريق الكلام المنظوم))[٣٩٤] .

وفي الأدب العربي القديم كان المتصوفة ينظمون القصائد التي تصور لنا سلوكهم وكثيراً من تجاربهم الشخصية ، وهي (تراجم ذاتية) كما وصفها شوقي ضيف يصفون فيها أنفسهم ويعرضون سيرهم شعرا كما يعرضونها نثرا أشبه ما يكون بالشعر لغرض الإيهام

([٣٩٣]) ينظر، البوح والترميز القهري: ٢٥ .
([٣٩٤]) التراجم والسير: ٣٧ .

والغموض ، فيه تطلع حالم إلى أشعة الذات العليّة، وهذا ما يجعل قراءة هذه السير محببة إلى النفس ، وفيها تجارب تأخذ بالألباب[٣٩٥].

ولا شك في أن قابلية الشعر ليكون حاملاً لمقاربات سيرذاتية غالباً ما تكون قوية وعملية، بالرغم من المفارقة السرد شعرية الحاصلة بين فنين مختلفين هما الشعر والسيرة الذاتية[٣٩٦].

وقد ((لا تتوقف أشكال السيرة الذاتية عند حدود أنواع معينة تتمتع بقدرٍ عالٍ من الصفاء النوعي والأجناسي، بل تتنوع بقدر تنوع الكتّاب والأدباء والمؤلّفين في التعبير عن ذواتهم وتجاربهم ومناطق متعددة وكثيفة من حياتهم، على النحو الذي يسمح لنا بإدخاله في الفضاء العام للنص السيرذاتي وحساسيته المغامرة)) [٣٩٧] . فللكاتب أن يختار ما يراهُ مناسباً للتعبير عن سيرة حياته ، فالشعر يوفر فضاء من الحرية المنتزعة عبر القصيدة ذات الأعراف المستقرة والمستقلة وتستعين في الوقت نفسه بتمظهرات السيرة الذاتية فنياً[٣٩٨] .

إنّ انفتاح الأجناس الأدبية على بعضها وتماهيها ساهم في ظهور هذا النوع المهجن الناتج من تداخل جنسين أدبيين السيرة الذاتية والشعر ، يستعير أحدهما من الآخر آلياته وميزاته ، وهذا بدوره شجع الدارسين على تتبع هذا الانفتاح ، فراحت القراءات النقدية تتابع النصوص الإبداعية التي تزاوج بين الأجناس ، ملاحقة ما يظهر من كِسَر سيرية في القصائد.

وإنّ هذا التلاقي للسردي مع الشعري شكل ظاهرة جديدة يُعطي فيها السرد طاقته للقصيدة ، ويأخذ منها شعريتها ، إيقاعاً[٣٩٩] ، فغدا ((النص الشعري بخصائصه الشعرية المعروفة قادراً على احتواء الكثير من مقومات النص السردي ، وغدا السرد أيضاً –قادرا على التماهي والتداخل مع الشعر ، مشكلاً بذلك فضاءً أدبياً مشتركا يسعى إلى الاكتمال بالآخر، ويزداد غنى وفاعلية به))[٤٠٠] .

([٣٩٥]) ينظر، الترجمة الشخصية:٨٦ ، وأدب السيرة الذاتية:٥٥

([٣٩٦]) ينظر، مقولة لمحمد صابر عبيد تحت عنوان(ما قبل المقدمة). القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب ،خليل شكري هياس، عالم الكتب الحديث، إربد، ودار جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط ١ ، ٢٠١٠ :٥

([٣٩٧]) المغامرة الجمالية للنص الادبي–دراسة موسوعية–:٦٤٥

([٣٩٨])يُنظر : السيرة الذاتية والتجربة الشعرية، : حاتم محمد الصكر، www.hatemalsagr.net.

([٣٩٩]) ينظر، البوح والترميز القهري : ١١٤ .

([٤٠٠]) القصيدة السيرذاتية بين سردنة الشعر وشعرنة السرد مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، خليل شكري هياس ، المجلد، ١٥ ،العدد (٤)، ٢٠٠٨ : ١١٤

وأول ما يطالعنا في مراجعتنا للقراءات النقدية التي تناولت هذا التداخل الاجناسي هو:

إشكالية المصطلح والمفهوم، فهناك من يطلق على هذا النوع مصطلح (السيرة الشعرية) و(قصيدة السيرة)[٤٠١] ، وهناك من يصطلح عليه (القصيدة السيرذاتية)[٤٠٢] .

إذ يتنبه الناقد خليل شكري هياس وهو من النقاد المتخصصين والمهتمين بدراسة هذا النوع السيري تنظيراً وتطبيقا ، إلى ضرورة التفريق بين المصطلحات القريبة من هذا النوع حتى لا نقع بإشكالية الخلط وهذا الخلط يُؤثِر بحسب رأي الناقد حاتم الصكر((في منظور التلقي وأفق التقبل أيضاً ؛ إذ سيُغير القارئ موقعه، بناءً على ذلك، ليلائم رؤية القصيدة ... ولغتها وعناصرها البنائية))[٤٠٣] ، ولا شك في أن تحديد مفاهيم المصطلحات النقدية يرجع إلى أهمية تقييد كل فن وعلم بمفاهيمه ومصطلحاته ليتسنى لمتلقيه تفهمه ومعرفة مضامينه ، وتلك المصطلحات النقدية بمثابة قيود محددة للأفكار، لكي لا تكون العملية النقدية للنصوص الأدبية عملية متناقضة ومضطربة ، وحدوث التداخل واللَّبس للتوصيفات والمفاهيم والدلالات ، مما يؤثر سلبا على العملية النقدية والنص الأدبي فـ((المصطلحات هي مفاتيح العلوم وقد قيل أن فهم المصطلحات نصف العلم ، لأن المصطلح هو لفظ يعبر عن مفهوم))[٤٠٤] .

ويتحفظ خليل شكري على المصطلحات التي استخدمها حاتم الصكر ، ويرى أن الناقد وقع في لبس قرائي حينما عنون دراسته لديوان محمود درويش (لمإذا تركت الحصان وحيدا) بـ(قصيدة السيرة)[٤٠٥] ، إذ يقول الصكر جامعاً بين المصطلحين(قصيدة السيرة) و(السيرة الشعرية): ((لكننا سنقترح هنا، قصيدة السيرة، أي تلك النصوص الشعرية المتجهة إلى الماضي الشخصي، لاستثماره في إنتاج سيرة شعرية، يسودها السرد))[٤٠٦] ؛ لأن مصطلح

---

(٤٠١) ينظر، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة، حاتم الصكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٩: ١٤٠

(٤٠٢) ينظر ، السيرة الذاتية الشعرية : قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية:١٨ ، وتمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٨ ، والقصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١٥

(٤٠٣) مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:٣٨

(٤٠٤) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، علي القاسمي ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ٢٠٠٨: ٢٨٧

(٤٠٥) يُنظر : القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٢٢

(٤٠٦) مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة: ١٤٨

(قصيدة السيرة) يندرج تحتها نمطان آخران هما : (قصيدة السيرة الذاتية) و (قصيدة السيرة الغيرية).

أما مصطلح (السيرة الشعرية) فهو أيضاً مصطلح غير دقيق من وجهة نظر خليل شكري ، لأنه يُرجح المصطلح الذي أقترحه محمد صابر عبيد لهذا النوع وهو (القصيدة السيرذاتية)[٤٠٧] ، ويفرق بين المصطلحين (السيرة الشعرية) و(القصيدة السيرذاتية) استناداً إلى الفروق التي وضعها عبيد بين المصطلحين في تعريفه لهما في معجم مصطلحات السيرة[٤٠٨] .

ويُعلِّل خليل شكري أن اللّبس هنا يتأتى من **مفردة** سيرة **التي غدت اليوم جنساً أدبياً مستقلاً يندرج تحته أكثر من أربعين نوعاً سيرياً – بحسب المعجم الاصطلاحي للسيرة الذي تناوله الدكتور محمد صابر عبيد وكل نوع من هذه الأنواع ممكن أن يتلاقح مع الشعر، ليُكَوِّن نوعاً جديداً، فيتشكل عندنا مثلاً (قصيدة السيرة الذاتية)، و (قصيدة السيرة الغيرية) و(قصيدة التجربة الذاتية)، و(قصيدة التجربة الغيرية)**؛ لذا كان الأدق أن يعنون دراسته بـ(قصيدة السيرة الذاتية)[٤٠٩].

أما اعتراض الناقد على مصطلحي (القصيدة المطولة) و(القصيدة الطويلة) اللذين ذكرهما الصكر في كتابه[٤١٠] فهما مصطلحان لم يَقصد بهما الصكر القصيدة التي يَكتب فيها الشاعر سيرته ، وإنما قصد بهما القصيدة التي تدخل في السرد الشعري، وقد قارب الصكر فيها بقصيدة الشاعر بدر شاكر السياب (حفار القبور)[٤١١]، وبخصوص تنبيه القارئ على الفرق بين المصطلحين اللذين استخدمهما الصكر بمعنى واحد ، فهو أمرٌ يُحسب للناقد ؛ إذ يرى أن الصكر لا يفرق بين القصيدة المطولة والقصيدة الطويلة. وثمة فروق واضحة بين القصيدتين[٤١٢] ، ونرى أن مصطلح (قصيدة السيرة الذاتية) أو مصطلح (القصيدة

---

(٤٠٧) ينظر تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٨ .

(٤٠٨) ينظر، م . ن : ١٣٦–١٣٨ .

(٤٠٩) ينظر ، تمظهرات التشكيل السيرذاتي :١٣٨–١٤٥

(٤١٠) ينظر، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:١٨٢

(٤١١) ينظر، م . ن : ١٨٦–١٩٣

(٤١٢) القصيدة الطويلة يكون فيها الخط الدرامي متصاعداً وبناؤها على تجربة كبيرة وغنية ومتعددة الجوانب والاشكالات ينظر، الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية، عز الدين اسماعيل ،دار العودة ودار الثقافة، بيروت ، ط١، ١٩٦٦ : ٢٤٠ ، و مملكة الغجر، علي جعفر العلاق، دار الرشيد للنشر، بغداد ،ط١ ،١٩٨١ :١١٩–١٢٠ ، والقصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٢٢

السيرذاتية) هما الأنسب لهذا التهجين الإجناسي كون أن القصيدة من الممكن أن تستوعب جوانب كثيرة من سيرة الحياة ولاسيما إذا كانت طويلة ؛ لذلك يقترح محمد صابر عبيد أن ((تتمركز السيرة الذاتية في قصيدة واحدة يُشترط أن تكون طويلة بحيث تعطي صورة واضحة تعكس طبيعة الترتيب التصاعدي على مستويات السرد أو الحدث أو الفضاء، أو في مجموعة قصائد تشكّل مجموعة شعرية واحدة، أو في أكثر من ذلك))[٤١٣] .

أما **المفهوم** فهو أيضاً لم يستقر بعد ، فهناك **صعوبة في إيجاد مفهوم جامع مانع لهذا النوع الأدبي، نظراً لما يثيره من إشكاليات تتعلق بطبيعة التهجين بين الشعر الذي هو في الأساس عمل تخييلي ، والسيرة الذاتية التي تعتمد الحقيقة في نقل الوقائع السيرذاتية بوصفها مادة للسرد**[٤١٤] .

ويُعتبر الناقد حاتم الصكر من النقاد و المتخصصين النوعيين القلائل في الاشتغال النقدي والأكاديمي الناضج في هذا المجال ، فقد اقترح تعريفاً لقصيدة السيرة الذاتية بأنّها : ((**تقديم رواية الحياة منظومة شعراً بناءً على تشغيل الذاكرة بأقصى طاقتها**))[٤١٥] ، ونرى أن هذا التعريف على الرغم من اتسامه بسمة الإيجاز ، إلا أنه أستطاع تمييز النوع عن باقي الأنواع السيرية ، بأن سيرة الحياة تكتب شعراً لا نثراً ، ثم استعانة هذا الشعر بمرجع مهم وهو (الذاكرة) التي تغذيه من خزينها المسترجع من الماضي ، وتعمل على إعادة تنظيمه بما يتلائم مع الفضاء الشعري الذي يقارب بين فنين أحدهما سردي والآخر شعري .

وهنا نجد المخالفة لتعريف فيليب لوجون الذي عرف السيرة الذاتية بأنّها ((حكي نثري استعادي))[٤١٦] ، في حين حاتم الصكر يتحرر من تلك الشروط الصارمة التي وضعها لوجون والتي تجعل من النثر الوسيلة الوحيدة لكتابة سيرة الحياة ، حيث وجد الصكر في الشعر الحديث فضاءً رحبا للحديث عن تجارب الحياة الشخصية، فتكيّف متن القصيدة لاستضافة آليات القص وإجراءاته ، واقتراب لغة الشعر من الواقع ومفرداته وموضوعاته ،

أما القصيدة المطولة فيطغى عليها السرد غير المكثف، وتهتم بالتفاصيل اليومية حد الإفراط، والتعليقات الساذجة وطغيان الانفعالية والخطابية. ومن ثم فإن الإنشاء يطغى على الكتابة في هذا النمط . ينظر، شاعرية التاريخ والامكنة ،حوارات مع الشاعر عز الدين المناصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ،٢٠٠٠: ١٠٧ ، والقصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٢٢.

(٤١٣) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٨

(٤١٤) ينظر، والقصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١٤

(٤١٥) مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:: ١٤٠

(٤١٦) يُنظر ، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي:٥١

وهبتها وجوداً شعرياً جديداً داخل النص، وهيأت نزعة أسلوبية تتحد في البنية الفنية للقصيدة ، وتكتمل بها أدواتها ، بحيث تتصهر في تقنيات القصيدة ، ولا تنعزل في مكوناتها الأخرى[٤١٧].

أما محمد صابر عبيد ، فقد أقترح مصطلحاً خاصاً بهذا النوع وهو (القصيدة السيرذاتية) ، عرفهُ بأنَّهُ ((قول شعري ذو نزعة سردية يسجّل فيه الشاعر شكلاً من أشكال سيرته الذاتية، تظهر فيه الذات الشعرية الساردة بضميرها الأول متمركزة حول محورها الأنوي، ومعبّرة عن حوادثها وحكاياها عبر أمكنة وأزمنة وتسميات لها حضورها الواقعي خارج ميدان المتخيّل الشعري، وقد يتقنّع الضمير الأول بضمائر أخرى حسب المتطلّبات والشروط التي تحكم كل قصيدة سيرذاتية. ويشترط في اعتماد سيرذاتية القصيدة حول اعترافات ما مدوّن بإشارة أو قول أو تعبير، يؤكد فيه الشاعر وعلى نحو ما المرجعيات الزمنية أو المكانية أو الشخصانية للحوادث والحكايا التي تتضمنها القصيدة، وتؤكد صلاحية الميثاق المعقود بين الشاعر – السارد والمتلقي على هذه الأسس))[٤١٨] .

أمّا ما يتعلق بحجم القصيدة وقدرتها على استيعاب سيرة ذاتية لشخص ما فإن محمد صابر عبيد يُنبه الناقد على قضية لم يتطرق إليها النقاد قَبلهُ في تعريفه لقصيدة السيرة الذاتية ، وهي قضية مساحة الفضاء الشعري الذي يستوعب سيرة الحياة ، ونوعه ، فقولنا بأنها قصيدة السيرة الذاتية أو القصيدة السيرذاتية ، لا يعني أن الكاتب يلتزم بأن يسرد سيرة حياته بقصيدة واحدة ، فإذا كانت قصيدة واحدة يُشترط أن تكون طويلة حتى تستوعب تفاصيل الحياة ، وإلا من الممكن أن يكتبها الشاعر في مجموعة قصائد تشكل مجموعة شعرية واحدة، ويحق للشاعر أن يكتب سيرته في أي نوع شعري يختاره ، فلا يتقيد بنوع شعري معين ،كأن تكون قصيدة عمودية –قصيدة حرّة –قصيدة نثر فكل الأنواع الشعرية صالحة في حال توافرت فيها الشروط السيرذاتية من تطابق وميثاق وصدق وحقائق[٤١٩] ، وهو ما يتيح للكاتب الحرية في استخدام هذا النوع بأكثر من شكل .

إنّ تفصيل القول في هذا التعريف يوضح إدراك الناقد لأهمية هذا التداخل بين السردي والشعري ، والذي يلزم الشاعر فيه بأن ينهج نهجاً جديداً على المستويين التعبيري والفني

([٤١٧]) يُنظر ، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:٧

([٤١٨]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٨

([٤١٩]) ينظر، م.ن:١٣٨

لتلك المنطقة السيرذاتية ، مع حفاظه على شعرية النوع الأدبي الجديد ، و خصوصيته التي تميزه عن بقية الأنواع ، ثم يجب إثبات سيرذاتية الشعر من خلال التوثيق بالمرجعيات والإشارة إلى واقعية مرتكزاتها ، وعدم اعتماد الضمير الأنوي حداً فاصلاً وحيداً للتمييز بين هذا النوع وغيره من الأنواع ذات العائلة الإجناسية الواحدة .

ويجتهد الناقد خليل شكري هياس في وضع تعريف للقصيدة السيرذاتية يفيد من تعريفي فيليب لوجون وحاتم الصكر ، ولكنه يعد أكثر استيفاءً وتفصيلاً إذ يقول: ((**إن قصيدة السيرة الذاتية ما هي إلا سرد استرجاعي لحياة منظومة شعراً، يروي فيها شخص حقيقي جوانباً سيرية عن حياته ووجوده الخاص، مركزا حديثه على الحياة الفردية، وعلى تكوين شخصيته بالخصوص مستنداً في كل ذلك إلى آليات المنظومة الذاكراتية**))[٤٢٠] .

يتضح من هذا التعريف أن القصيدة جسد يتوسع ليستوعب عناصر القص المختص بسرد سيرة حياة شخص حقيقي عن حياته ووجوده الخاص ، ونوع السرد بأنه سرد استرجاعي أي يمثل الرجوع إلى الماضي ، فضلاً عن أن التعريف لا يغفل **مسألة التطابق المفترض بين (أنا المؤلف، وأنا السارد/الشاعر، وأنا الشخصية المركزية)**، وهي مسألة مهمة في أي نص سيرذاتي أكدها لوجون[٤٢١] ، فالشخص الذي يكون موضوع النظم في القصيدة ، هو شخص حقيقي له وجوده الواقعي ، ويتطابق مع من يقوم بعملية نظم القصيدة أو الشاعر .

مواقف الدارسين من كتابة السيرة الذاتية شعراً :

ويبدو أن بعض الدارسين لم يتقبل فكرة أن تُكتب السيرة الذاتية شعراً ، لأنها جنس سردي نثري بامتياز ، وأنكروا توافر نصوص إبداعية في هذا المجال أو أن أحداً من الشعراء من كتب سيرته في قصيدته ، وأرجعوا السبب في ذلك إلى طبيعة النص الشعري الذي لا يقبل بسرد تفاصيل الحياة ،في حين يكون كاتب السيرة الذاتية ملزماً بنقل تلك التفاصيل كما هي في الواقع ، أو كما يجب أن تكون.

يرى محمد الباردي بأن لا وجود للسيرة التي كتبت شعراً في الأدب العربي ، والشعر لا يحبّذ سرد تفاصيل الحياة ، ((وهو كذلك جنس سرديّ نثريّ، فلم يبلغ إلى علمنا إلى حدّ الآن من كتب سيرته الذّاتيّة شعراً ، والشّعراء أنفسهم يكتبون سيرهم الذاتيّة نثراً (مثال: فدوى

([٤٢٠]) القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١٦

([٤٢١]) ينظر السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي: ٢٢

طوقان) ، ثمّ أنّ الشّعر بحكم طبيعته في العصر الحديث قد لا يحبّذ سرد تفاصيل الحياة الخاصّة باعتباره جنساً أدبيّاً استقطابيّاً. ثمّ إنّ السّير الذّاتيّة الشعريّة في الأدب العالمي هي محدودة جدّا بالمقارنة مع السير الذّاتيّة النثريّة ونعتقد أنّ مدوّنة السيرة الذاتيّة العربيّة لا تخرج عن هذه القاعدة العامّة))[٤٢٢] .

وبعد الكلام الذي ساقه الباردي في هذا الصدد ، فإنّنا نسوغ لأنفسنا أن نتساءل ، كيف للشعر أن يكون فضاءً مناسبا لنقل سيرة حياة واقعية وهو يقوم أساساً على الخيال؟ وكيف يستوعب تفاصيل الحياة وهو يقوم على الايجاز و التلميح؟ وكيف لمقام الشعر أن يسمح للشاعر بسرد تاريخه شعراً و ينسج ما شاء من الصور الشعرية المنحوتة بالخيال، إذا كانت السير الذاتية النثرية نفسها لا يمكن الجزم بصفائها وبراءتها من التخييل ، والتمويه ، والمبالغة؟ و تبدو تلك القضية مرتبطة بالصدق والصراحة المفترض توفرهما في النص السيرذاتي .

وهنا يجيبنا الناقد خليل شكري على تلك الأسئلة التي أثارت إشكالية نقدية أبقت الدارسين منقسمين في آرائهم بين من يتحفظ على وجود سيرة ذاتية كتبت شعراً ، ومن يقرُّ بوجود الظاهرة ، ويقدم الأدلة عليها ؛ إذ يرى الناقد أن (القصيدة السيرذاتية) يمكن أن **تحتفظ بالجوهر، وتبتعد عن المطابقة الحرفية المباشرة بين الوقائع التاريخية المتصلة بسيرة المؤلف الذاتية ، والوقائع الفنية المتصلة بسيرة الشخصية المركزية ما أن تدخل في طور الصياغة الفنية عبر مشغل التخييل ، ويتماهى فيها الواقع بالخيال إلى الحدِّ الذي قد لا يمكننا التمييز بينهما** ، ومن هنا يغدو الصدق والحقيقة أمرين افتراضيين لا مجال للتثبت منهما في أي نص سيرذاتي شعري يتوخى صاحبه أن يؤدي نصه غرضه الجمالي، في كونَهُ نوعاً أدبياً مهجناً من الشعر القائم أساساً على الخيال ،والسيرة الذاتية التي تستمد مادتها من الواقع[٤٢٣] .

([٤٢٢]) عندما تتكلم الذات١٨٤

([٤٢٣]) ينظر ، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٥٣-٥٤.

وقد يبدو كلام الناقد لأول وهلة هنا تهاوناً مع قضية الصدق والحقيقة في السيرة الذاتية لصالح الشعر القائم على التخييل لتحقيق غرضه الفني كأي نص شعري لا يَلزم ناظمه بقول الحقائق، غير إننا لو تأملنا الحالة سنجد أن الشعر هو مجرد انعكاس لتجارب الشاعر كما تعكس المرايا الأشياء التي تكون أمامها ، وهذه ((المرايا لاتُرينا عبر سطوحها كل ما نُريد أن نراه ، وهذا هو الخلل الجمالي في المحاكاة))[٤٢٤] ، ثم إن السيرة الذاتية سواء أكانت نثرية أم شعرية تَشترك في أنها تُمثل خلاصة التجارب الذاتية وما يَتصِل بها من رؤى وأفكار وقيم أسهمت في تشكيلها ، يُعاد انتاجها وصياغتها فنياً من قِبل المؤلف ، مراعياً شروط الصياغة لكل نص بما يرتقي به الى درجة الابداع.

ونأخذ هنا بنظر الاعتبار عمل الذاكرة ، واسترجاع تفاصيل الحياة **فعملية الاسترجاع لا تحفل بالتفاصيل أمانة للذاكرة، بل تقتبس منها لتضيء مناطق من الشعر**[٤٢٥]؛ لذا يكون السرد مكثفاً على اعتبار أن القصيدة تقوم على الإيحاء، والإيماء، وتكثيف الصور، ولا تستطيع أن تجاري السرود النثرية في الإطالة والإسهاب[٤٢٦] ، واسترجاع الماضي يكون وفق المساحة التي يسمح بها النص الشعري الذي تتحرك فيه الذاكرة التي حتماً تكون أضيق من مساحتها في النص النثري[٤٢٧].

أما في النثر فان كاتب السيرة الذاتية يتمتع بحرية أكبر في رسم التفاصيل والمشاهد بوصف سردي حر، وهذا ما لمسه من درس نصوص سيرذاتية كُتبت نثراً، وأخرى كُتبت شعراً[٤٢٨] .

ونرى أن من غير المُمكن أن نُجزم أو ندعي بانعدام العلاقة بين السرد والشعر ، أو أن نقول أن السرد ينتمي لمنطقة النثر فقط، وقد أكد الناقد محمد صابر عبيد حداثة اللغة ومرونتها في التعبير عن التفاعل بين الفنون السردية والشعرية ، إذ يقول : ((تعُد المنطقة السردية بما تنطوي عليه من خصوبة وثراء وتنوع وتعدد أحد أهم المصادر التي اعتمدتها

---

(٤٢٤) كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر، حاتم الصكر، دار الشروق للنشر ، ط١ ، ١٩٩٤: ١٧

(٤٢٥) ينظر ، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة: ١٦٧

(٤٢٦) ينظر، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٢٧

(٤٢٧) ينظر ، الذاكرة الساردة وحساسية التشكيل الشعري قراءة في قصيدة (المصائر) لمحمد بركو ، د.خليل شكري هياس، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد (١٨) العدد(٤) ، حزيران ، ٢٠١١ :٣

(٤٢٨) ينظر، مرايا نرسيس:١٤١-١٤٢ ، و القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٢٧ ، و تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٨ ،و المغامرة الجمالية للنص السيرذاتي-دراسة موسوعية-: ٣٠٨، و السيرة الذاتية الشعرية والنثرية ، رسالة ماجستير، راوية سمير عاشور ،جامعة الشرق الاوسط، بإشراق د .جمانة السالم،٢٠١٤ : ٢١

لغة القصيدة الجديدة ، لرفد إمكاناتها في التعبير والتشكيل وصولا إلى منطق كشف شعري آخر يؤكد حداثة اللغة وقابليتها ومرونتها في التفاعل مع جدة الحال الشعرية وحساسيتها))[٤٢٩] . ويتضح ذلك في توظيف مصطلحات السرد في الشعر مثلا (الراوي) و (السارد)[٤٣٠].

الضمير :

بعض النقاد من يرى أنّه لا يُشترط استعمال ضمير المتكلم في النص السيرذاتي المكتوب شعراً ، وإنما الكاتب يكون حرّاً في استعمال الضمائر ، وقد يتقنّع الضمير الأول بضمائر أُخرى حسب المتطلّبات والشروط التي تحكم كل قصيدة سيرذاتية ، وهناك من النُقاد من يرى أن الأنا التي تشير إلى الذات تنشطر في قصيدة السيرة الذاتية إلى ذاتين، **ذات ورقية مكانها في الشعر، وذات واقعية تحاول الذات الشاعرة إثباتها في الشعر، لتغدو في النهاية (أنا) الشعر مطابقة على نحو ما لـ (أنا) المعرفية للشاعر**[٤٣١] .

أمّا الناقد حاتم الصكر فيُفضل استعمال ضمير المتكلم في هذا النوع لإحالته إلى الأنا الشاعرة ، لأن ((هيمنة ضمير المتكلم في سرد السيرة الذاتية، وعائدية الأحداث وأفعال السرد إلى المؤلف، تجعل إمكان الشعر فيه وارداً بشكل قوي، لأن (الأنا) الشعرية تجد قناعها في (الأنا) السيرية، وعلى مَقربة من كاتبها نفسه، فيتطابق التعبير بأنا الشاعر وأنا الكائن السيري بشكل تام))[٤٣٢] .

فالتشكيل النصي السيرذاتي يَنهض على بنية الخطاب الذاتي (الأنوي) بوصفه ميثاقاً ، يتحسسه المتلقي على انه نص مجنس في فن السيرة الذاتية ، إذ يتنكب الراوي السيرذاتي بضميره السردي الأول مهمة رواية الأحداث السيرذاتية نحو أسلوب معين ،ويختار الطريقة التي يراها مناسبة له ولتجربته لصوغ النص السيرذاتي على وفق رؤية معينة ومنهج معين وتشكيل معين[٤٣٣].

([٤٢٩]) رؤيا الحداثة الشعرية ، محمد صابر عبيد، منشورات أمانة عمان ، عمان ، ٢٠٠٦ :٢٤١.

([٤٣٠]) ينظر، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:١٤٧ ، و تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٣٨، والقصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١٦٥ ، و التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة:٧١

([٤٣١]) يُنظر : أقنعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ ، ١٩٩١ :٦٢

([٤٣٢]) مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:١٤٢

([٤٣٣]) يُنظر : تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٣٨

ونؤيد من ذهب من الدارسين إلى عدم التزام الشاعر باستعمال ضمير المتكلم (الأنا) في القصيدة السيرذاتية ؛ لأن ذلك يفرض قيوداً على كاتب السيرة الذاتية الذي أراد التحرر من القولبة في كتابة السيرة الذاتية وفق شكلٍ معين والتحرر من ضغوطات كثيرة تفرضها الكتابة السيرذاتية ، فأتاح الفرصة لنفسه بكتابة سيرة حياته شعراً مفعماً بالذات قادراً على نقل الفكرة وتجسيد الموضوع ، تمتزج فيه عمق التجارب الذاتية مه موهبة شعرية خلاقة ، فيتشكل عالم القصيدة انطلاقاً من ذات الشاعر من دون هيمنة ضمير المتكلم أو جعلهُ شرطاً ضرورياً للتطابق بين أنا الشاعر وأنا الكائن السيري في النص .

وإذا كان لا يُشترط استعمال ضمير المتكلم في السيرة الذاتية النثرية ، فلا داعي لاشتراطه في السيرة الذاتية التي تُكتب شعراً .

الميثاق:

إن قضية تحديد الميثاق السيرذاتي في النص الشعري يختلف عنه في النص النثري الذي يمكن التوصل إليه عن طريق العتبات النصية أو النص الملحق ، أو التصريح به من خلال تجنيسه بكلمة(سيرة ذاتية) على الغلاف الخارجي للنص لذلك يضع الدكتور محمد صابر عبيد شروطاً للقول بتحقق الجانب السيري في الشعر يُلزم بها الشاعر؛ إذ يقول : ((ويُشترط في اعتماد سيرذاتية القصيدة حول اعترافات ما مدوّن بإشارة أو قول أو تعبير، يؤكد فيه الشاعر وعلى نحو ما المرجعيات الزمنية أو المكانية أو الشخصانية للحوادث والحكايا التي تتضمنها القصيدة، وتُؤكد صلاحية الميثاق المعقود بين الشاعر – السارد والمتلقي على هذه الأُسس))[٤٣٤]، وفي دراستهِ لقصيدة الشاعر محمد مردان(مردانيا) يتمكن من تعيين الميثاق السيرذاتي فيها بشكلٍ واضحٍ ؛ إذ يقول : ((يعمد الشاعر/الراوي السيرذاتي في هذه القصيدة إلى ضخّ جسدها بأبرز عناصر التشكيل السيرذاتي المتاحة))[٤٣٥] .

وأهم تلك العناصر أو الإشارات التي اعتمدها الناقد في توكيد الميثاق في قصيدة مردان هي:

([٤٣٤]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٨

([٤٣٥]) التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة:٧١

١- المكان وتَتمثل أهميتهُ بأنه ((يحتلّ قيمة سيرذاتية بالغة العمق والقوّة في كيان الراوي))[٤٣٦].

٢- الموروث الشعبي والحكائي الكامن في ذاكرة الراوي والمؤثر فيه.

٣-الزمن المشدّود إلى مرحلة الطفولة انشداداً يتردد إيقاعه في كل حدث مستذكر ، ومراحل زمنية أُخرى تُشكّل أهمية في سيرة الحياة الداخلة في مفاصل القصيدة .

٤- الرؤية والحلم اللذان هما أجزاء مهمة من حياة الشاعر/الراوي[٤٣٧].

إن تحقق تلك العناصر في جسد القصيدة يُعلن عن تحقق الميثاق السيرذاتي فيها ، فقد عَمَد الشاعر/الراوي إلى تأكيد سيرذاتية قصيدته من خلال ضخ مرجعيات تاريخية وواقعية لها الأثر البالغ في حياته بتشغيل آليات الذاكرة واسترجاع الماضي ، وقد استخرج الناقد الإشارات السيرذاتية التي وظفها الشاعر في قصيدته ، وأكد على قدرته في تشييد نص شعري يَحكي سيرة حياة في مستوى تعبيري وفني تبرز فيه جمالية التزاوج بين فني السيرة الذاتية والشعر[٤٣٨].

ويُشير الناقد حاتم الصكر في إشارة سريعة إلى نوعين من الميثاق ، النوع الأول صريح يرتبط بالسير الذاتية الصريحة، أما النوع الثاني فضمني يرتبط بالسير الذاتية غير الصريحة من مثل السير الذاتية المهربة في عباءات القصائد[٤٣٩]، وهو ما يحتاج من الناقد إلى جهد مضاعف لفحصه وتعيينه.

ويقترح خليل شكري أنه ممكن اكتشاف هذا الميثاق معتمداً في ذلك على المرتكزات التي يُحددها لوجون في توثيق سيرذاتية القصيدة ؛ إذ يُخصص الناقد الباب الأول من كتابه (القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب) في قراءة الموجهات التي تعمل على تعزيز الميثاق السيرذاتي ، موزعة على فصلين يتناول الأول منها ما يتعلق بـ(الموجهات القرائية التعالقية) التي تبحث ما بين الداخل نصي والخارج نصي[٤٤٠] ، التي أكد لوجون على أنها تُساعد على تحديد هوية النص إلى جانب التطابق والميثاق، فضلاً عن كونها

([٤٣٦]) م.ن:٧١

([٤٣٧]) ينظر، م.ن:٧١

([٤٣٨]) ينظر، التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة :٧١ -٨٧ .

([٤٣٩]) يُنظر : مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:١٥٠.

([٤٤٠]) ينظر، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب: ٣٠-١٠٤ .

وسيلة لمعرفة السيرة الذاتية الصحيحة الصادقة من السيرة الذاتية الكاذبة [٤٤١]، والثاني : يتحدث فيه عن العتبات القرائية تحت عنوان ((مفاتيح القصيدة السيرذاتية ودلالة العتبات))[٤٤٢]، والتي تعُد واحدة من الأساليب التي يستعين بها المبدعون، لما تحملهُ من شحنات دلالية تمكن القارئ وتساعدهُ في ولوج عالم النص.

إن التعالق النصي المشتغل بين النص وما قبل النص ، يُلفت انتباه القارئ حول العلاقة بين الضمير السيرذاتي (داخل النص) واسم العلم (المؤلف) الموجود على الغلاف الخارجي (خارج النص) ، أو قد يُصرح الشاعر باسمه في قصيدته فيتطابق هذا الاسم مع اسم المؤلف المثبت على الغلاف الخارجي ؛ فتحقق التعالق بينهما يعني تحقق الميثاق السيرذاتي ، ومن ثمَّ تحقق التطابق بين (أنا) المؤلف و(أنا) السارد ، و(أنا) الكائن السيري في النص[٤٤٣].

وقد بين الناقد وجهة نظره من خلال الاستقراء الفاحص لقصائد شعراء ومنهم الشاعر محمود درويش في ديوانه (الجدارية) ، الذي جسد فيه تجربته الشخصية ؛ إذ يُصرح الشاعر باسمه الحقيقي (محمود) في داخل النص فيتعالق مع اسمه الحقيقي على غلاف الديوان / خارج النص ، وهو مايُشكل ميثاقاً صريحاً ، فضلاً عن توظيفه لضمير المتكلم (الأنا) في القصيدة ، و إشارات أُخرى تتظافر في دعم سيرية النص[٤٤٤] .

ويُشكل التعالق النصي الإحالي أهمية كبيرة في تحديد سيرذاتية النص ؛ إذ يعمل المؤلف على ربط نصه الراهن بنصوصه الأخرى مما يُشكل علاقة تناص أو تفاعل تدعم الحس السيرذاتي في الشعر ، وهذا يتطلب من القارئ قراءة مسبقة للنصوص السابقة للمؤلف ، ويتطلب سعة ثقافة وشمولية حيث يعمد الباحث الى دراسة يستقصي فيها النتاج الإبداعي للمؤلف على تنوعه (الروائي ، القصصي ، الشعري ، النقدي ، الحواري)[٤٤٥] ، وقد مثل الناقد لهذا التعاقد النصي الضمني بقصيدة (المدار المغلق) لجبرا ابراهيم جبرا[٤٤٦] ، وقصيدة

---

(٤٤١) ينظر: أدب السيرة الذاتية في فرنسا : المفاهيم والتصورات :٢٩-٣١ ، وينظر، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٥٧.

(٤٤٢) القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١٠٦

(٤٤٣)ينظر، م.ن: ٣٠-٥٥

(٤٤٤)ينظر، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب: ٤١-٤٢

(٤٤٥)ينظر، م.ن :٥٦-١٠٤

(٤٤٦)ينظر، م.ن :٦٤

(لماذا تركت الحصان وحيداً) لمحمود درويش [٤٤٧] .

أما العتبات النصية التي تشمل (العنوان ، اسم المؤلف ، لوحة الغلاف ، الإهداء ، المقدمة ، الاستهلال) وكل مايُحيط بالنص ، فيمكن أستثمارها بوصفها موجهات للقراءة لتأكيد الجانب السيري [٤٤٨] ، فهي أنظمة إشارية تحيط بالمتن ولاتقل أهمية عنه [٤٤٩] تُعزز وجود الميثاق ، وتحدد النوع الأدبي ، وتوجيه القارئ بأن النص الموجه إليه ينتمي إلى نوع أدبي خاص هو السيرة الذاتية ، ومثل لها بقصيدة (الايقونات ، والكونشيرتو) لمحمد القيسي [٤٥٠]، وقصيدة (بسم الأم والابن) لابراهيم نصر الله [٤٥١] و(المدار المغلق) لجبرا ابراهيم جبرا[٤٥٢] .

تتضح لنا في تلك القراءة النقدية قدرة الباحث على تقصي المرجعيات والتعالقات والإحالات الحاملة للمقاربات السيرذاتية داخل فضاء الشعر ، التي تُؤكد بشكل صريح وضمني أن سير هؤلاء الشعراء مبثوثة في قصائدهم على نحوٍ لايقبل الشك ، فضلاً عن قراءته لمرتكزات توثق البعد السيرذاتي وتعزز الميثاق تتمثل بالمكان والزمان وشبكة التسميات التي استوعبتها أفضية هذه القصائد التي مزجت بين الواقع السيري والمتخيل الشعري ؛ إذ إن قراءته الواعية ، ورؤيته المنهجية والنقدية الدقيقة والمعمقة مكنتهُ من البحث في تقانات الشعر عن الفضاء السيرذاتي الأمر الذي ضاعف من الطاقة الدلالية لهذا الشعر ، والوقوف عند الخصائص المشتركة بين السرد والشعر في القيام بمهمة البوح والاعتراف .

التطابق

إن القراءة النقدية لآراء الدارسين في هذا المجال، تتكشف عنها مسائل ثلاث، أولها: أنهم في تناولهم لهذه الركيزة السيرذاتية المهمة، يكشف عن إدراكهم ووعيهم بضرورة تحققها في النص الشعري لتحقق سيرذاتيته ، ووعيهم بطريقة تحرك الأنوات الثلاث في النص السيرذاتي عند كتابته شعراً، (أنا) المؤلف الناظم للشعر، و (أنا) السارد ، و(أنا)

---

(٤٤٧)ينظر، م.ن :٧٠-٧٥

(٤٤٨)ينظر، م.ن : ١٠٦-١٨١

(٤٤٩)ينظر، مدخل الى عتبات النص : ١٦، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١٢٢.

(٤٥٠)ينظر، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١١٨-١٢٤

(٤٥١)ينظر، م.ن :١٢٤-١٢٦

(٤٥٢)ينظر، م.ن :١١٠-١١٤

الشخصية المركزية ، والسارد يكشف عن ملامح للشخصية الرئيسة ونفسيتها وتطلعاتها ، التي تتشكل بحسب وعي السارد في الحاضر، وسيرته في الماضي [٤٥٣]، وهناك**(أنا) رابعة** يضيفها حاتم الصكر وهي: **(أنا) الشاعر** ، وهو يَفصل بين أنا المؤلف الحقيقي و ((أنا الشاعر الذي يُرتب خطاب الشعر ويَظهر فيه ، تبعاً لاشتراطاته التي تتنازع مع خطاب السيرة القائم على السرد، وتحاول المحافظة على شعرية القصيدة من جهة ، واستثمار سردية السيرة من جهة أُخرى))[٤٥٤]، ويبدو أن الناقد قصدَ هنا أن (أنا) المؤلف وقت الكتابة السيرية ، لكن أنا الشاعر تشترك مع (أنا) السارد بالاشتغال داخل النص الشعري بهيئة راو مشارك أو مسهم في البناء الحدثي والفني ، وهذا الاستنتاج وجدناه في قراءته لنص الشاعرة نازك الملائكة بعنوان (أنا) في كتابه (كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر)[٤٥٥].

ويُخفف الصكر من الفروق التي قد يجدها غيره كبيرة بين كتابة السيرة الذاتية في نص نثري وكتابتها في نص شعري ، فهناك نقاط للتلاقي تكمن في الأنا الشاعرة **موضوعاً للسرد ومركز بؤري جوهري في النص الإبداعي** ، وهذه الأنا تجعل القصيدة تدخل في كتابة للذات ، واللجوء إلى الذاكرة في استرجاع الوقائع السيرذاتية بمرجعياتها الزمنية أو المكانية أو الشخصانية [٤٥٦] والتطابق المرتبط بوجود الميثاق السيرذاتي الشرط المهم توافره في كل نص سيرذاتي الذي يجب فحصه ومعاينته وتأويله للإقرار بسيرية القصيدة[٤٥٧]، مع مراعاة أن القصيدة السيرذاتية هي شعرٌ قبل كل شيء ، **ومعنى ذلك أنها تتوافر على لغة خاصة قائمة على الاختزال والتكثيف، وعلاقات تركيبية ودلالية وإيقاعية كذلك**[٤٥٨]

وهناك جملة قضايا حاول الصكر بيان دورها في منطقة تلاقي الشعر مع السيرة وأهمها : تشغيل الذاكرة بأقصى طاقاتها التي((**تعني انسياب حركة الزمن من الماضي إلى الحاضر الذي سيتوغل مع المستقبل عبر جدلية التطور وديناميكية التفاعل على صعيد الحياة والأدب**))[٤٥٩] وهي مصدرٌ مهمٌ في تمويل السيرة الذاتية على الرغم من نسيانها

([٤٥٣]) يُنظر : نظرية السرد من وجهة النظر إلى التبئير:٦٧.

([٤٥٤]) مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة: ١٤٦

(٤٥٥)ينظر، كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر: ٢٤٧-٢٦٣.

([٤٥٦]) يُنظر ، كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر: ١٤٦

([٤٥٧]) يُنظر ، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:١٤٣-١٦٢،١٤٤

([٤٥٨]) يُنظر : م . ن : ١٤٩

([٤٥٩]) في الذاكرة الشعرية: قيس كاظم الجنابي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٨ :١٦-١٧ .

وإعادة ترتيبها للأحداث المسترجعة[٤٦٠]؛ لأن ((التطابق المفترض بين الوقائع وعرضها غير ممكن، لأسباب تتعلق بآلية عمل الذاكرة ، وما يشوبها- وعياً أو لا وعياً- من حذف أو نسيان، أو إضافات أو تعديلات، لبعد الزمن مثلاً، أو لأسباب تتعلق بالشخصية ووضعها الحاضر. وهذا يؤكد انتساب السيرة للحاضر لا للماضي، فالحاضر يشكل وعي كاتبها، ويفرض عليه أعرافاً لا تستطيع تجاوزها، تتدخل في صياغته، وقبل ذلك في انتقاء نقاط العرض ومرتكزات الحياة التي عاشها، فالصدق الخالص أمر مستحيل))[٤٦١] .

ويرى الدكتور محمد صابر عبيد بأنه لايوجد تطابق تام ، لأن وجودهُ يعني تغييب الشعر ، فالشعر ليس عملاً ثانوياً أو طارئاً ، كما أنه ليس مصادفة ، بل هو مصير حاسم في الحياة ؛ إذ إن الشاعر يتطلع إلى العالم والأشياء بعين مزحومة بضوء الشعر ، وهو يسعى إلى فلسفة الحالة الشعرية ومنطقتها بالصورة التي لاتُسئ ولا تنتقص من سحرها وغموضها[٤٦٢]

ويستعين الدكتور خليل شكري هياس بمخطط فيليب لوجون لتوضيح عملية التطابق الذي يجعل العلاقة تأخذ طابع التشابه وليس طابع التطابق التام ، بالاعتماد على إشارات تخلق هذه المشابهة وتؤسس لها[٤٦٣].

فالالتحام بين الشعر والسيرة الذاتية يجعل من الشعر حياة ، ومن الحياة شعراً ، ومؤكداً أن هذا الالتحام يتمخض عن فلسفة خاصة تجعلنا نقرأ السيرة من داخل هذه المعادلة ، وننظر لها من هذا المنظور ؛ لأن قراءتنا لها خارج هذه المعادلة فيها ظلم كبير للشاعر وشعره[٤٦٤].

وكان للأفكار والرؤى النقدية التي طرحها النقاد والدارسون في إطار دراساتهم التطبيقية على متون شعرية سيرذاتية ، الأثر في الكشف عن قدرة الشعراء في جعل سيرهم ترتدي ثوباً عصرياً غاية في الروعة والأناقة ، كالشاعر محمود درويش والشاعر نزار قباني ، ومحمد القيسي ، وعن جماليات هذا الفن بوصفه فناً جديداً مهجّناً من فني السيرة الذاتية والشعر ، مما أتاح مناخاً صالحاً للقراءة جعلها تخرج بنتائج ممتازة، أكدت قضية التداخل بين السيرة

---

(٤٦٠) ينظر، التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة: ٣٩.

(٤٦١) مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة: ١٤٤

(٤٦٢)ينظر،تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٧.

(٤٦٣)ينظر،السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي:٥٥، و القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٥٤

(٤٦٤)ينظر،تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٨

الذاتية والشعر، ومنها دراسة الناقد حاتم الصكر لديوان (لمإذا تركت الحصان وحيداً) للشاعر محمود درويش في الباب الثاني من كتابه مرايا نرسيس للحديث عن قصائد السرد الذاتي ، ومنها قصيدة السيرة ، والتي بحث الناقد فيها علاقة الشاعر أو الكائن السيري بجملة قضايا تتعلق بهذا النوع الأدبي أهمها ، تنازع الذاكرة والمخيلة والسردي والشعري و(الأنا) بأنواعها والزمن المستعاد وزمن الكتابة(٤٦٥) ، حيث وجد الصكر في الشعر الحديث مجالاً مناسباً أكثر من غيره للحديث عن اختلاط الحدود الأدبية بين الشعر والسرد، وهذا الاختلاط تفسرهُ احتياجات واقعة في نظم الكلام الشعري نظماً قد يلجأ إلى استلهام حكاية أو أسطورة أو سيرة ذاتية أو غيرية، بوصفها وسائل في ربط أسباب القول الشعري، مثل التوسع في الوصف أو تربيط علاقات مكانية أو زمانية بأحداث أو شخوص في قصيدة(٤٦٦).

وقبل أن نُصدر حكمنا على الرؤى والأفكار النقدية التي خرج بها الناقد من دراسته لقصيدة (لماذا تركت الحصان وحيداً) علينا أن نتتبع العلامات والأبعاد التي استند اليها الناقد في ضم هذه القصيدة إلى النوع الجديد المهجن ، واعتبارها مستوفية لشروطه ، إذ يعتقد أن الشاعر استطاع أن يجعل من شعره وسيلة للتعبير عن الذات ومايحيط بها من قلق وتوتر تجاه المجتمع من خلال مزج غنائية الشعر بالسرد ، فعلى الرغم من حفاظ الشاعر على شعرية القصيدة وإيقاعها ، الا أنه نجح في تسخيرها لصالح سرد أجزاء مهمة من حياته وتوظيف اليومي والواقعي في رسم الصور التي تحفل بالتجارب الذاتية للشاعر ، فضلاً عن لجوئه إلى التسميات في ذكر المكان والزمان ، واعتماد اسلوب الحوار الذي يُوضح للقارئ التداعي الصراعي داخل الذات ومحاورتها ، ويُقرب الشعر من الأسلوب القصصي المعتمد في السيرة الذاتية من دون أن يُفقد غنائيته وخصوصيته(٤٦٧) .

وتَعُد مسألة اللجوء إلى الذاكرة في استحضار الماضي الذي يَعُد سمة أساسية في فن السيرة الذاتية ؛ فإن درويش استعملها في الربط بين الماضي والحاضر زمنيين متقاطعين ، والأنا والآخر ، أي خصوصية الذات ومكانتها ضمن الجماعة التي تندرج فيها ؛ فالذات غير منغلقة على نفسها ، لذلك فهو يُعبر عن تجربته الشخصية في صورة هموم عامة ،

---

(٤٦٥) ينظر، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة: ١٥٢، والقصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب: ١٤٥

(٤٦٦) قصيدة السرد الحديثة كما قرأها حاتم الصكر، شربل داغر، جريدة الحياة ، بيروت ، العدد١٣٣٧٠، ١٩٩٩/١٠/١٦ .

(٤٦٧) ينظر ، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة:٥٢-٥٣.

ويتضح ذلك في حديثه عن موضوعات الطفولة والمدن والمنفى ، وفلسطين ، والاحتلال ، وعلاقة الانسان بالطبيعة ، وهذه الموضوعات جعلت الشاعر يبرع في استحضار أصوات متعددة في موازنة بين الخاص والعام ، وال(أنا) والـ(نحن) ، وهي وسيلة تمويه يستعملها الشاعر في التنويع بين الضمائر ، وعدم اعتماد ضمير المتكلم لوحده في سرد الوقائع السيرذاتية ، وهذا الاسلوب نجدهُ في السيرة الذاتية المكتوبة نثراً[468]والذاكرة هنا تنتقي من الماضي لتُضئ مناطق الشعر ، ولاتحفل بالتفاصيل[469].

وعلى الرغم من سرد الشاعر لوقائع مهمة من سيرته في قصيدته إلا أن الناقد يُعرب عن قضية مفادها أن موضوع الصدق في سرد هذه الوقائع هو ليست صدقاً خالصاً ، ومن ثمَّ فإن التطابق المفترض بين الوقائع لن يكون تطابقاً حرفياً لأسباب تتعلق بعمل الذاكرة وما يشوبها من نسيان وإضافات وتعديلات[٤٧٠] .

ويمكننا القول إنَّ الناقد كان صائباً في اختياره لديوان محمود درويش (لماذا تركت الحصان وحيداً) الذي يمثل الشعر المتداخل بالسيرة لما تَضمنهُ من مرتكزات سيرذاتية وأساسية في كل نص سيرذاتي ، والكشف عن أسرار الذات.

وتعد دراسة الدكتور خليل شكري هياس في كتابه (القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب) من الدراسات المتخصصة في هذا المجال ، وهو يرى أن القصيدة السيرذاتية قائمة على دعامتين رئيستين:

الأولى: أنها قصيدة وهذا يعني أنها تستعين بكل ما يستعين به النص الشعري في تنوعاته المختلفة، ومن ثم لا فرق بينهما في طرائق الكتابة ويقع الاختلاف في نوعية الميثاق الذي يعقده الشاعر مع القارئ.

الثانية: أنها سيرة ذاتية وهذا يعني أنها قصيدة سرد بامتياز، تعتمد سيرة حياة الشاعر مادةً للسرد، وتستند على مرتكزات خاصة، تأتي في مقدمتها الذاكرة، التي تمثل المنجم الثرّ الذي يسترجع الماضي ويقوم الشاعر بإعادة صياغة الأحداث بإطارها الزمكاني، وما يتعلق بها من تصورات ورؤى[٤٧١].

---

(٤٦٨)ينظر، م.ن: ١٥٧

(٤٦٩)ينظر، م.ن:١٥٨ .

(٤٧٠)ينظر، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة: ١٤٤

(٤٧١) يُنظر ، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:١٢-١٤

وتناول فيها نماذج شعرية أثبتت اندراجها ضمن هذا النوع لشعراء معروفين ، وهم جبرا ابراهيم جبرا ، ومحمود درويش، وابراهيم نصر الله ، ومحمد القيسي ، وفضلاً عمّا ناقشه الناقد من قضايا عدّة تتعلق بالتطابق ، والضمائر ، والتعالق النصي ، وهو ماذكرناه في موضع سابق من هذا المبحث[٤٧٢] ، فقد بحث في كل ما له صلة بفضاء القصيدة السيرذاتية من زمن ومكان ورؤيا ، فالمكان الواقعي الذي نبحث عنه في القصيدة السيرذاتية يتشكل من المعيش في الواقع بوصفه حقيقة ذات أبعاد هندسية، والمكان بوصفه تجربة فنية، يتشكل عبر اللغة ، وتعمل على تمظهر عناصره وتشكلها[٤٧٣] .

ويكون الانحراف عن الترتيب الزمني الخطي على أشده في النص السيرذاتي الشعري، فالشاعر يتلاعب في الزمن على وفق مبدأ الانتقاء ، حيث يكون للذاكرة دورٌ مهمٌ في هذا التلاعب، لقيامها على منطق التداعي، الخاضع لرؤية آنية تعيد ترتيب الماضي على وفق رؤية الشاعر في زمن كتابة القصيدة ، تحاول إيجاد علاقة بين الماضي وحاضر الكتابة، تتسم تلك العلاقة بالتقريب بينهما إلى حد التعايش، وأحيانا بالانقطاع ليهيمن زمن الكتابة– على زمن الماضي[٤٧٤] .

وتشكيل الشخصية داخل النص أيضاً تخضع لرؤية الشاعر واللغة المكتوبة بحسية عالية، يتبارى فيها النثر بكل جدارة مع الشعر، ويتناوب الشعر مع النثر على تقديم الحالة الموصوفة التي تبدأ من لحظة انفصال الشاعر عن الشخص الذي كانت تمثله، حيث يموت الشخص ويبقى الشاعر؛ إذ تتعالى ذاته الفردية لتصبح تعبيراً عن الذات الإنسانية في صراعها مع أسئلة الحياة والموت، والوجود والعدم[٤٧٥] .

وقد خرج الناقد برؤية نقدية من قراءته لتلك النصوص تُراعي عملية التهجين الحاصلة بين جنسين أدبيين ؛ إذ تتبع طبيعة اشتغال العناصر البنائية في الشعر وانسجامها مع السيرة من خلال اللغة التي تنهض بأعباء تشكيل النص ابتداءً بالتسمية وانتهاءً بشحنه بالقيمة الدلالية والرمزية وهي تخضع لرؤية المؤلف في أثناء استرجاعها ؛ فاللغة الشعرية تُضفي قيمة ودلالة ورمزية ترتفع بالسرد وعناصر إلى طراز تعبيري شديد الشعرية تتلاقح فيه

---

(٤٧٢)ينظر البحث : ١٣٠–١٣٧.

(٤٧٣) ينظر، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٢٨٥ .

(٤٧٤). ينظر، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب: ٤٠١ .

(٤٧٥)ينظر : م.ن: ٤٠٤.

الأنساق السردية مع لغة التعبير الشعري لخلق خصوصية بنائية تنسجم مع النص المهجن[٤٧٦].

ويمكن القول إنَّ هذه الدراسة تَعُد تأصيلاً جديداً للنصوص التي اختارها للدراسة ، وتجديداً لفاعليتها الأدبية والتاريخية.

ولم يكن هذا الانفتاح ترفاً، أو زينة، أو رغبة في التغيير فحسب ؛ إذ يرى البعض أن انفتاح الشعر على السيرة الذاتية والفنون الأدبية الأخرى جاء تلبية لحاجات شعرية وتموجات نفسية ضاغطة، ورغبة في توزيع الحركة الإيقاعية للقصيدة ، أو التخفيف من تدفقها الغنائي في مسعىً من الشعراء إلى تفعيل حركة الشعر [٤٧٧] .

وعمل هذا الانفتاح على إتلاف معلومات معينة، وتسليط إضاءة غير اعتيادية على معلومات أخرى، بما يتوافق مع الغايات المخطط لها من كتابة السيرة[٤٧٨]، فالأحداث تخضع لوجهة نظر الكاتب وطريقة التعبير أكثر من خضوعها للمسار التاريخي والواقعي للحياة[٤٧٩].

وقد أثبتت القراءات النقدية[٤٨٠].

في النصوص المنتمية إلى قصيدة السيرة الذاتية جملة من القضايا تقع في مقدمتها .

–إنّ الحدود بين الأجناس لم تعُد الآن بنفس الصرامة التي كانت قائمة في حقبة سابقة، بل أصبح الأمر يصل إلى درجة سقوط هذه الحدود وتداخل الأجناس الأدبية .

– إن من **أولى هذه الفروق بين قصيدة السيرة الذاتية والسيرة الذاتية النثرية هو التوسع في سرد الأحداث ؛ إذ إنّ النص الشعري لا يستطيع أن يُجاري النص النثري في سرد الأحداث من حيث التفصيل على الرغم من أن السيرة الذاتية بشكل عام تعتمد الإنتقاء في**

---

(٤٧٦) يُنظر : القصيدة السيرذاتية بين سردنة الشعر وشعرنة السرد مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، خليل شكري هياس ، المجلد، ١٥ ،العدد (٤)، ٢٠٠٨ :١٢٩

(٤٧٧) يُنظر ، الدلالة المرئية : قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، علي جعفر العلاق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٢ :١٦٠–١٦٢

(٤٧٨) السيرة الذاتية الشعرية: قراءة فن التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية :١٤

(٤٧٩) يُنظر :موسوعة السرد العربي:٤١٣/٢ .

(٤٨٠) كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر، حاتم الصكر، دار الشروق للنشر ، ط١ ، ١٩٩٤: ١٧، مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة: ١٤٦ ، التشكيل السيرذاتي التجربة والكتابة :٧٠–٧١، ينظر ، القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب:٥٣–٥٤ ، تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٨

سرد الأحداث ، إلّا أنها تكثف طاقتها في التلميح والإشارة وانتقاء الأحداث في حال كتابتها شعراً.

– إن كتابة السيرة الذاتية شعراً يعُد مغامرة فنية لما يتطلبه الشعر من القُدرة على التلميح والإيماء والإشارة والترميز؛ إذ يقوم فيها الشاعر بصياغة وجدانه وفهمه العام للمحيط والحياة ليرتفع بذائقته الجمالية وهو يسرد الوقائع السيرية بأسلوب شعري خالص متجنباً الوقوع في تقريرية السرد ، و أن البحث النقدي في هذا الميدان يتطلب وعياً وخبرة نقدية و انفتاح الرؤية النقدية على تطوّر الأنواع السيرية وتداخلها.

– لأن القصائد في هذا النوع تتمحور حول الذات فإنها تبتعد عن التشتت والاستغراق في موضوعات متعددة يمكن أن تقع فيها السيرة الذاتية النثرية.

لذا فإن تلك المنطقة السيرية تحتاج إلى جهدٍ نقدي قادر على إدراك المفاهيم في منظوراتها الإجرائية في هذا الميدان .

ويمكن القول إنَّ الجهود النقدية الحثيثة التي عُنيت بدراسة قصيدة السيرة الذاتية اقتصرت على ثلاثة نُقاد وهم الناقد حاتم الصكر في كتابيه **(مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة)** و(كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر) ، ومحمد صابر عبيد في كتبه(التشكيل السيرذاتي التجربة والكتابة) ، و(تمظهرات التشكيل السيرذاتي) و(المغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–)، وخليل شكري هياس في كتابه (القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب) ، وبحثين[٤٨١] ، فقد أجتهد هؤلاء النقاد في صياغة المصطلح والتعريف لهذا النوع فضلاً عن قراءة النصوص بأسلوب نقدي مرهف يدرك الانعطافات المتحققة في مجال التفريق بين الأنواع وما تتطلبه من الناقد من وعي وبصيرة وانفتاح على الأدوات والإجراءات النقدية الملائمة.

ويبدو لنا أن موقف النُقاد العرب ظلّ حرجاً في تناول هذا النوع تأثراً بالفكر النقدي الغربي الذي تجاهل الحدّ الشعري في هوية أدب السيرة الذاتية، وتعامل معه بحذر شديد لاسيما الناقدين الفرنسيين جورج ماي وفيليب لوجون ، فقد تقيد جُلّ الدارسين العرب بتعريف فيليب لوجون للسيرة الذاتية الذي حدّد نوعها بأنها ((حكي نثري))[٤٨٢] .

---

(٤٨١)يُنظر : القصيدة السيرذاتية بين سردنة الشعر وشعرنة السرد ، و الذاكرة الساردة وحساسية التشكيل الشعري قراءة في قصيدة (المصائر) لمحمد بركو

(٤٨٢) السيرة الذاتية ، الميثاق والتاريخ الأدبي : ٢١ .

ولا نجد مانعاً يحول دون كتابة السيرة الذاتية شعراً ، و لاسيما إذا كان المؤلف/ الشاعر مُلتزماً بقواعد النوع الذي حدّدها النُقاد ، وأهمها المرتكزات السيرذاتية المتمثلة بالميثاق السيرذاتي ، والتطابق بين الأنوات الثلاثة ، وتوظيف الضمائر بقصدية ، وما يتعلق بذلك من صدق وحقيقة ، وتوثيقات تَدعم الحس السيرذاتي في القصيدة .

المبحث الرابع
التجارب الذاتية

أولاً : التجربة الشعرية

كشف بعض الدارسين عن نوع من أنواع الكتابة عن الذات يختص بنقل تجربة الشاعر الإبداعية في علاقته مع الشعر ، ومراحل نشوء وتطور هذه التجربة، وما يصاحب ذلك من أحداث وتغيرات في نفسية الشاعر، وتأثير على باقي جوانب حياته .

إن كتابة الشاعر لتجربته الشعرية هي رغبة توجه الشاعر في الإعلان عن تجربة تعبر عن شخصيته وتكشف عن روافدها واحلامها، أكثر مما هي هواية ، إذ فيها يتمثل الإحساس المتزايد بالوعي الذاتي(٤٨٣).

ويرى هشام محمد عبد الله أن الشاعر الذي يقوم بمهمة كتابة تجربته الشعرية هو يمارس النقد عليها في الوقت ذاته ؛ إذ إنه يقف متوسطاً بين وجوده شاعراً ، ووجوده ناقداً بحدود لفت أنظارنا إلى شرعية هذه الممارسة ، وتقيدها بحدود المنجز الإبداعي له(٤٨٤).

إن تسجيل الشاعر لتجاربه الشعرية في سيرته الذاتية الشعرية هي إعلام عن مكونات هذه الذات وما انجزته في مسيرتها الشعرية ، فالذات هنا تتحدث عن مسيرتها مع التأريخ

---

(٤٨٣) ينظر، دراسات في كتب التراجم والسير :٤٧

(٤٨٤) ينظر ، التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة ،د. هشام محمد عبد الله، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان –الاردن،ط١، ٢٠١٣-٢٠١٤ :٩٥

ومع التجارب والمكونات التي أسّست النص الشعري، [٤٨٥]، وهناك من يرى ((إن تصدي الشعراء لمهمة النقد خارج مسوداتهم التي هي نقدهم الأول والأصيل يأتي عادة متزامنا مع بروز ظاهرتين : الأولى التشكيك بجدوى الشعر حيث يزحف عليه ما يهدد وجوده ، والثانية : حين يتردى النقد المحترف في الأطر المدرسية ، ويسقط في كسل يحول دون مغامرته ومواكبته للجديد))[٤٨٦] .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن كل شاعر بإمكانه أن يسطر ما يشاء وهو يكتب تجربته الشعرية على شكل سيرة ذاتية ، وم ثمَّ فإننا ننظر إلى السيرة الذاتية الشعرية بوصفها جنساً أدبيا مستقلاً، بصرف النظر عن إمكانية الإفادة منها في الكشف عن جوانب معينة في النص الشعري[٤٨٧] .

إن أول ما يتبادر إلى الذهن هو البحث عن المفهوم الذي وضعه الدارسون لهذا النوع من الكتابة الإبداعية ، ومن الضروري هنا الإشارة إلى الجهد المميز للناقد محمد صابر عبيد في تأسيس هذا النوع السيري ، وتفرده في هذا الباب ، وفتحه الطريق أمام الدارسين في دراسة مناطق سيرية جديدة خصبة فقد عبّر عنها الناقد خليل شكري قائلاً: ((وأحسب أن الناقد استطاع أن يؤسس لهذا النوع السيري تأسيساً تأصيلياً تعرض من خلاله للمفهوم والمرتكزات والآليات على نحو استطاع معه إرساء استيراتيجية قراءة نوعية ومستوفيه لهذا النوع الأدبي المهم))[٤٨٨] ؛ لذلك فهو من السابقين في التنظير لهُ ، فقد وضع لهُ تعريفاً واضحاً بعدما أصطلح عليه (السيرة الذاتية الشعرية) المشتقة من فني السيرة الذاتية والشعر ، التي تُعنى بسرد الشاعر لسيرته الشعرية لا سيرة حياته ، أي أنها تختص بنقل تفاصيل التجربة الشعرية للشاعر، وأنّها تُكتب نثراً لا شعراً ؛ إذ يقول: ((سرد نثري يتولّى فيه الشاعر تدوين سيرته الشعرية فقط –تاريخاً ومكاناً وحادثة – لا يخرج فيها إلى تناول جوانب أخرى غير شعرية من سيرته إلا على النحو الذي له صلة ما بدعم قضيته الشعرية في السيرة))[٤٨٩].

([٤٨٥])يُنظر : م . ن :١٧

([٤٨٦]) أبواب ومرايا ، مقالات في حداثة الشعر ، خيري منصور ، دار الشؤون الثقافية العامة ،بغداد ،ط١ ،١٩٧٨: ٢٤

([٤٨٧]) يُنظر : السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في فن التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية :٦١-٦٢.

([٤٨٨]) طائر الفينيق ، محمد صابر عبيد الشاعر الناقد، إعداد وتقديم ومشاركة : د. خليل شكري هياس، دار تموز، دمشق ٢٠١٢ :٢٣

([٤٨٩]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٦

ومن شروط كتابة السيرة الذاتية الشعرية التي أقرّها عبيد هي وصول الشعر إلى مرحلة ناضجة متطورة وغنية، ((فالإبداع الاصيل يقتضي شخصية ذاتية متميزة ، وتجربة داخلية غنية وشفافة))[٤٩٠] ؛ إذ ترتقي إلى درجة تسجيلها في سيرة ذاتية تليق بصاحبها إذ يقول: ((وتكتب هذه السيرة عادة في مرحلة يتوجب أن تكون ناضجة من مراحل التطور الحيوي والشعري للشاعر، بحيث يتاح له المجال السيري للحديث عن محطّات غنيّة وخصبة في تجربته الشعرية، يعطي فيه صورة عن تاريخه الشعري وجغرافيته الشعرية وموقعه في خارطة العصر الشعرية))[٤٩١] .

ويُلزم الناقد كُتّاب السيرة الذاتية الشعرية بالعناية بالخصائص الأسلوبية والموضوعاتية، التي تقف في مقدمتها ، درجة التصوير والإبداع بما يحقق جمالية السيرة وخصوصيتها ، وإعلاء شأن التجربة ، يقول : ((وغالباً ما يأخذ الشاعر في سرده السيرذاتي الشعري حريته في تدوين ما يصلح لإعلاء شأن تجربته والدفاع عن أنموذجه، وفي اختيار التقانات الأسلوبية الخاصّة لاستخدام لغة سرد عالية الدقّة والتعبير في مستوى تدليلها، وفي انكشافها على جماليات تعبيرية لا تكتفي بتدوين التجربة الشعرية وتسجيل مناطق كونها الشعري، بل تخرج إلى إنجاز نصّ إبداعي خلاّق مزدوج الأهميّة بالنسبة للشاعر والمتلقي))[٤٩٢].

ويقوم ذلك النوع من الكتابة السيرية في مفهوم هشام محمد عبد الله ((على نص يكتبه مبدع يتحدث فيه عن حياته وعن تجربته مع النص الشعري ، ذلك ان التجربة ركن مهم من أركان النص الشعري نفسه ، كما أنّه لا يمكن فصل الذات الشاعرة عن ذاتها التي عاشت حياة دخل الشعر في مكوناتها ، واثر فيها ، كما اثرت هي فيه ، وعلاقة التجربة الحياتية بالأدب عموما علاقة اساسية إذ لا يمكن تصور أدب دون تجربة أيّاً كانت نوعيتها))[٤٩٣].

ولاشك في أن هذا التعريف المركّز والمكثّف والعميق يكشف عن ضرورة ارتباط الخاص بالعام في حياة الشاعر ونقصد بالخاص التجربة الابداعية للشاعر وما أنتجه من النصوص الشعرية ، أمّا العام فنقصد به تجارب الشاعر الشخصية، فالشاعر جزء من مجتمعه ، وهذا المجتمع له تأثيرهُ الكبير على ما يُوظفه الشاعر في نصوصه الشعرية من موضوعات ، لأن

([٤٩٠]) في الأدب الفلسفي ، د.محمد شفيق شيا ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط١، ١٩٨٠ : ٥٠

([٤٩١]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي:١٣٦

([٤٩٢]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي :١٣٦

([٤٩٣]) التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة :١٣

الشعر ومنذ القدم حامل لهموم المجتمع ومشاكله ، ومعبر عن رفض الشاعر ومعارضته لقضايا مصيرية تُعرب عن نفسيته وتطلعاته وهمومه ، وما يحمله من الأفكار والتوجهات ، وهنا يُنبه الدكتور محمد صابر عبيد على قضية مهمة وهي ((استغلال الشعراء للعبة الكامنة في بؤرة هذه الإشكالية، والتحرّك القناعي بالعام للتعبير عن الخاص أو العكس، مما قد يصعب الفصل بينهما أحياناً، أو قد يتداخل الخاص بالعام ويصبحا شيئاً واحداً عند بعض الشعراء الذين يترسّمون هدفاً خاصاً للعمل الشعري، ولا يفرّقون بين ما هو خاص وما هو عام في تجربتهم))[٤٩٤] .

ويمكن القول : إن سيرة الشاعر الشعرية تفتح باب الحديث عن إشكالية الخاص والعام ، إذ أن تلك الاشكالية توضّح العلاقة المتينة بين الأنا والتجربة ، فلا يتمكن الشاعر من الحديث عن شهرته في مجال الشعر ، ونجاحاته أو اخفاقاته ، والعوامل المؤثرة فيها أو الآثار الترتبة عليها بمعزل عن الذات وما يحيط بها.

هكذا يتبين لنا أن الاختلاف في المصطلحين عند الناقدين محمد صابر عبيد وهشام محمد عبد الله لا يعني الاختلاف في المفهوم ، فالمصطلحان (التجربة الشعرية) ، و(السيرة الذاتية الشعرية) بالنهاية كلاهما يُعنى بقراءة الشاعر/الناقد لذاته الشعرية وقراءة الخطاب الشعري الخاص ، وتفكيكه وكشف ظروف نشأته ، من خلال الشعور بالتجربة وأعمال الذاكرة الواعية لهذه التجربة فتعمل بإضاءة جوانبها ، ولكننا نقترح التعديل على المصطلح الذي اقترحه هشام محمد عبد الله بإضافة لفظة (الذاتية) عليه ليصبح (التجربة الذاتية الشعرية)) ؛ لأن مصطلح((التجربة)) يضم في داخله نوعين هما : (التجربة الذاتية) ، و(التجربة الغيرية).

وتختلف المسألة عند حاتم الصكر ، فهو يرفض استحداث نوع سيري يُعنى فيه الشاعر بنقل تجربته الشعرية ، وإطلاق مصطلح (السيرة الذاتية الشعرية) عليه ؛ لأنه يضيف نوعاً من البلبلة الاصطلاحية في نقد السيرة الذاتية إضافة إلى ما شهده النقد السيرذاتي الحديث من تكاثر مصطلحي ناتج عن كثرة التفرعات التي منيت بها السيرة الذاتية ، فهي تُكتبْ نثراً أو شعراً ، وقد تُكتب متداخلة مع الرواية يعمد الكاتب فيها إلى التمويه والتخفي ، وقد تكتب في قالب قصصي فتتداخل مع جنس القصة ، وقد تتداخل مع نص مسرحي وهكذا ، ومثل

([٤٩٤]) المغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–:٦٠٠

هذه الظاهرة تحدث بحسب رأي الصكر فوضى وترهل في الاستخدام النقدي لتلك المصطلحات[٤٩٥]، ويزيد في إشكالية الخلط بين المفاهيم ؛ لذا فهو يقول: ((ولا أجدُ السيرة الذاتية تستفيد كثيراً من دراسة ما قدم الشعراء تحت عناوين مثل تجربتي الشعرية أو حياتي في الشعر، كما أن النصوص الشعرية لا تغتني بتلك الشهادات كثيراً، فضلاً عن كونها تابعة لها ومتأخرة عنها ، وليست بالصدق والموضوعية والحيادية التي تتطلبها السيّر والشهادات والمذكرات وسواها من تنويعات الكتابة السيرذاتية المعروفة))[٤٩٦] .

والحقيقة أننا لا نجد من مبرر لرفض الصكر لهذا الاستحداث ، فإنَّ تداخل السيرة الذاتية مع غيرها من الفنون الأدبية اقتضى التحديث المصطلحي لتسمية الأنواع الجديدة الناتجة عن هذا التداخل ، وقد علّل ذلك الدكتور يوسف وغليسي بأن من الصعب الظفر بمعادل موضوعي مواز لمفهوم معرفي مستحدث ، وذلك أنّه من غير المنطقي أن نُطالب التراث بأجوبة متقدمة عن أسئلة العصر[٤٩٧] .

ثمَّ لا داعي للرفض إذا كان هذا النوع من الكتابات له وجود فعلي في المدونة الإبداعية للشعراء ، وقد أقام الدارسون الدليل في دراساتهم التطبيقية على نصوص انتمت للتجربة الشعرية، وكانت الاستشهادات واضحة في تلك النصوص[٤٩٨] ثم إن الدارسين للسيرة الذاتية اعترفوا بأنها جنس غير مستقر ، وفيه من المرونة ما يجعله يكتب بأساليب مختلفة ، مما يتيح للمبدع حرية في التصرف بصياغتها أو تهجينها مع غيرها وجعلها تتماهى إلى الحد الذي يصعب على القارئ أحيانا التمييز بين أنواعها.

والغريب أن الصكر يُثبت وجود هذا النوع من الكتابة الابداعية في كتابه (البوح والترميز القهري السيرة الذاتية التجنيس والمحددات) ؛ إذ أفرد موضوعا تحت عنوان (نماذج من السيرة الثقافية) يتحدث فيه عن ما يكتبه المبدع عن تجاربه الأدبية والثقافية ، ومنها ما كتبه الشعراء في المؤثرات التي كونت تجاربهم الشعرية ، وأثر العوامل والتيارات الفكرية التي تفاعلوا معها على تشكيل تلك التجارب ، وما شهدوه من الأحداث التي انعكست سلباً أو

---

(٤٩٥) ينظر، البوح والترميز القهري: ١٢٠

(٤٩٦) م . ن :١٢١

(٤٩٧) ينظر :إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ،يوسف وغليسي ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٨ :٤٥١

(٤٩٨) ينظر السيرة الذاتية الشعرية قراءة في فن التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية: ٥٣ ، والتجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة:١٩٨ –٢٨٣ ، والمغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–: ٦٠٣–٦١٢ .

إيجاباً في شعرهم[٤٩٩]، ومن ذلك قراءته في سيرة الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري بعنوان (سيرة الجواهري: أزح عن صدرك الزبدا) يتحدث فيها الشاعر عن شخصيات ذاع صيتها في الشعر العربي القديم ، يقتدي بهم ويعتبرهم نماذجه العليا ، وهم المتنبي والمعري ، ثم أن ما يُقدمهُ الشاعر للقارئ من البوح والاعتراف في سرد سيرته يعد تعضيداً لما ذُكر في النصوص[٥٠٠] ثم يسرد فيها الشاعر جزئيات من حياته ، ومجتمعه وما يحف بهذا المجتمع من ظروف اجتماعية وسياسية يرفضها الشاعر وتتناقض مع أفكاره ، وقد أكد الصكر أن هذا الرفض والتناقض كان له تأثيره البالغ على تجربة الشاعر الشعرية كونه يعد أحد المشغّلات والبواعث للكتابات الإبداعية ، والشعرية منها على وجه الخصوص[٥٠١].

ويرى الناقد محمد صابر عبيد أن هاتين الذاتين المتداخلتين وهما (الذات الإنسانية) و(الذات الشعرية) إذا حللناهما منفصلتين انفصالاً رمزياً عن بعضهما ، فإنَّ هذا التحليل يُحقق تبريراً أو سبباً لكتابة الشاعر سيرته الذاتية الشعرية في نوع مستقل عن كتابة سيرة ذاتية صرف ، فإذا تحدث الشاعر عن تجربته الشعرية وتغنى بأمجاد الذات الشاعرة ومناقبها وشهرتها ، فإن هذا الحديث يُفَسر بوصفه غروراً وتبجّحاً بمدح الذات ، ومبالغة في الأنا ونرجسية ، وهذا يدخل في باب الصدق والكذب، فتصبح السيرة الذاتية نصاً مشكوكاً في صحتها ومصداقيتها[٥٠٢].

فالذات الإنسانية تقوم على تشكيل إنساني وطبيعي يتحرّك في فضاء الواقع ، في حين تنطوي الذات الشعرية على فضاء حلمي وتخييلي يتحرك في فضاء الخيال ؛ لذلك فإن كتابة (السيرة الذاتية الشعرية) يخرج من بؤرة الحديث عن الذاتي والشخصي ليدخل في فضاء الشعري والثقافي والفكري ، لأنها تنشغل بالحديث عن الذات الشاعرة لا الإنسانية الطبيعية، وهي تتحدث عن تجربة شعرية منشورة ومعروفة ، ويمكن قراءتها وفحص قيمتها الجمالية والشعرية، وهذا بدوره يخفف من خوف الشاعر[٥٠٣] الذي يُتهم بقلة ((الصدق والموضوعية والحيادية التي تتطلبها السير والشهادات والمذكرات وسواها من تنويعات الكتابة السيرذاتية

---

(٤٩٩) ينظر، البوح والترميز القهري :١٠٨

(٥٠٠) ينظر : البوح والترميز القهري: ١٠٩

(٥٠١) ينظر، م.ن: ١٠٨

(٥٠٢) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–:٦٠٠

(٥٠٣) م . ن : ٦٠٠ .

المعروفة))[٥٠٤].

وهذا في رأينا لا يتعارض مع ما تَشترطهُ كتابة (التجربة الذاتية الشعرية) من الدقة والانضباط والوعي التام في صياغة النص ؛ إذ إن الحديث عن كتابة تخييلية وهي (الشعر) لا يعني عدم مطابقة المادة المستحضرة للواقع ، ولكن الشاعر لا يستحضر من تلك المادة إلا بالقدر الذي يخدم فيه تجربته الشعرية الموضوع الأساس الذي يقوم عليه نصه.

ولما كانت الذات التي يتحدث عنها كاتب السيرة الذاتية هي ذاتها الشاعرة ، فإنَّ نسبة ارتباط الأحداث الشخصية (الحياتية) بهذه الذات في التجربة الشعرية أقل من ارتباطها بالسيرة الذاتية ، ولهذا فان عملية التذكر للأحداث في التجربة الشعرية ((لا تقوم باستعادة الماضي على أنه أثر قادم من متحف الذاكرة ، إنما هي تؤلف نسخة جديدة من هذا الأثر تنقله من نشاطه المتحفي إلى نشاط حيوي خلاق فالسيرة الذاتية في هذا النص الكتابي جاءت انموذجاً جديداً لحياة مفعمة بحركة الذات مع الوجود ، كما أن أسلوبها وصيغة كتابتها هو الآخر جاء معبراً عن تفرد الكاتب في صناعة الكتابة))[٥٠٥]

أما موضوع الصدق والصراحة ، فإنَّ التجربة الذاتية الشعرية من حيث موضوعها وطبيعة تشكل نصها الكتابي ، نأت بنفسها عن الالتزام بموضوع السيرة الذاتية في تناولها جزئيات الحياة الشخصية لمؤلفيها ، ولهذا فإنَّ نصوص التجربة الشعرية هي سيرة شاعر أولاً وأخيراً ، إننا في دراستنا للتجربة الشعرية لا نبحث عن الحقيقة الغائبة بقدر ما نكشف عنها بوصفها حاضرة في النص ولها معالم تساعدنا على الاقتراب أكثر من الذات المبدعة ، فإذا ما حدث تجاوز للحقيقة وتغيب لها فإنّه لاعتبارات شكلية ومضمونية ، أما السيرة فيفترض فيها قدر من التوثيق وكشف للحقائق من دون تزييف[٥٠٦]، ومع ذلك فإنَّ هناك اعتبارات لا تسمح بتصور درجة صدق كاملة لما جرى[٥٠٧]، فكاتب السيرة تحكمه أعراف المجموعة التي ينتمي إليها لأن ((مُناخ الحرية والممارسة الديموقراطية في مجتمعاتنا العربية، لا يسمحان لكتّابنا بأن يطوروا هذا الشكل الأدبي إلى المستويات التي وصل إليها غيرنا في الآداب العالمية ، إذ يستمد هذا الشكل قيمته وأهميته في تقديمه لمستويات عالية من الصدق فيما يتصل بحياة

([٥٠٤]) يُنظر : البوح والترميز القهري: ١٢١

([٥٠٥]) السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية:١٧

([٥٠٦])يُنظر : التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة ٥٣

([٥٠٧]) يُنظر : مرايا رنسيس الانماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة :١٤٥

الكاتب الخاصة والعامة، وخبراته الشخصية في مختلف المجالات، مهما اصطدم هذا الصدق بما هو سائد في المجتمع من قيم أو نظم أو تيارات))[٥٠٨] .

أما أسلوب الكاتب فيكون وليد ذلك القدر من الحرية الذي توفره اللغة والمواضعات الادبية ، وطريقة انتفاع المتكلم بهذه الحرية[٥٠٩]، فـ((الكتابة من هذا النوع تفترض جملة من الخصائص الأسلوبية والموضوعاتية، تقف في مقدمتها ، درجة التصوير والإبداع، ونوعية الملاحظة ومجالاتها العديدة، والحقيقة النفسية التي تمثل الأرضية التي تقع داخلها الأحداث))[٥١٠] .

وفيما يخص الضمير فإن الدارس لهذا النوع السيرذاتي يرى إمكانية تنوع، الضمير مع وجود القرائن التي تثبت التطابق[٥١١].

ويختلف الميثاق في السيرة الشعرية عنه في السيرة الذاتية ، فالشاعر لا يطلع القارئ على ما يتعلق بتجاربه الحياتية إلا ما ارتبط منها بسيرته الشعرية ، وما يعدُّ توثيقاً لكلامه فـ((المبدع في تجربته الشعرية لا يعقد معنا ميثاقاً جازماً ومغلظاً ، لأنّه منذ البداية قد حدد غايته من عمله ، فهي لا تتناول التعريف بحقيقة هذا الانسان وخصوصياته الحياتية – الا بقدر علاقتها بذاته المبدعة وتأثير الابداع عليه–بل تريد ان تطلعه على وجه آخر وصورة أخرى لهذا الانسان وهي صورة الفنان))[٥١٢] .

وحاول الدارسون متابعة التطورات الحاصلة في جسد القصيدة العربية الحديثة ومطابقتها مع ما يدونونه في تجاربهم الشعرية من خلال استعراض القيم الفنية والجمالية في فني السيرة والشعر ، وانشغلوا بالوقوف عند المشاكل الشعرية التي تعترض الشاعر ، وأهم المصادر التي يستلهم منها الشاعر ثقافته، ومتابعة مراحل تطور شخصيته الشعرية واسباب ذلك التطور أو ربطه بالمواقف بوصفها العامل الهام في صياغة شكل الشخصية الشعرية ، وما يستحضر الشاعر من خزين الذاكرة المتحفزة من التجربة والمعرفة وألم المعاناة ، وما نمى بداخله من الامنيات والتطلعات.

([٥٠٨]) البئر الأولى – فصول من سيرة ذاتية، أبو المعاطي أبو النجا، مجلة العربي ،الكويت، العدد،٣٥٢ لسنة ١٩٨٨: ٣٦

([٥٠٩]) يُنظر : النقد والأدب :٧٨

([٥١٠]) السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية:٧٩

([٥١١]) ينظر، م.ن : ١١٠ ، و التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة:١٥ ، و المغامرة الجمالية للنص الأدبي–دراسة موسوعية–:٦٠٠

([٥١٢]) التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة:٦٠

ويمكن ملاحظة الجزء النقدي التطبيقي الذي تركز على فك رموز النصوص وعوالمها الداخلية ، وتحليلها واستنطاق القيم التي تضمنتها؛ إذ ينهض كتابه (السيرة الذاتية الشعرية) للناقد محمد صابر عبيد على قراءة نقدية في التجربة السيرية/ الشعرية لشعراء الحداثة العربية فيكشف عن أبعاد التجربة الذاتية للشعراء ، وقد انطوى عنوان الكتاب على ((مفارقة ذكية ، تكمن في ربط الثنائية النثر / والشعر في سطر واحد ، فالسيرة على وفق مفهومنا التقليدي فن نثري ، ولكن ان ترتبط السيرة بالشعر ، وتصبح السيرة شعرية ، هنا بالذات تكمن المفارقة))[٥١٣] .

وقد تابع فيه التطورات الحاصلة في جسد القصيدة العربية الحديثة في نهاية الأربعينيات مجموعة لا بأس بها من السير التي يتولّى فيها الشعراء تدوين سيرتهم الشعرية فقط –تاريخاً ومكاناً وحادثة لشعراء كبار متمثلاً بنماذج أربعة لشعراء الحداثة العربية وهم كل من : صلاح عبد الصبور في كتابه (تجربتي مع الشعر)، والشاعر عبد الوهاب البياتي في كتابه (تجربتي الشعرية) ، ونزار قباني في (قصتي مع الشعر) ، وحميد سعيد في (الكشف عن اسرار القصيدة).

واستطاع الناقد بأسلوب نقدي مرهف أن يدرك قيمة النصوص ، وما تتطلبه من الناقد من وعي وبصيرة وانفتاح على الأدوات والإجراءات النقدية الملائمة ، فضلا عن أنه رأى فيها نصوصاً تستحق المتابعة والدراسة ، فعُني بدراستها وسلط الضوء على مظاهرها وتجليات السيرة الذاتية الشعرية فيها.

ويعُدّ الناقد متمرساً يمتلك أدواته النقدية والكتابية واللغوية في الكشف عن أسرار وخفايا النصوص ، ونذكر في هذا الصدد قراءته لسيرة نزار قباني (قصتي مع الشعر) ، حيث استطاع الناقد أن يكشف عن عنصر التفرد في هذا النوع من الكتابة عند نزار قباني، فهو في سيرته الشعرية ينحو فيها منحى خاصّاً مختلفاً عن الآخرين من شعراء الحداثة ممن كتبوا سيرهم الشعرية؛ إذ يستحضر قضية المتلقي دائما، فخصوصية الخطاب الشعري تتحدد بخصوصية القراءة ، وذلك لا يتأتى إلّا بإدراك حقلها الثقافي والاجتماعي والنفسي، ومرجعيتها التاريخية ، لا عن طريق الانعكاس والتشابه بين الواقع والمتخيل حيث يتعذر

([٥١٣]) فاعلية العنوان ومنطق المنهج نقديا د. محمد صابر عبيد نموذجا ،من كتاب النافذة والريح، إضاءات في تجربة محمد صابر عبيد الابداعية، تموز ، دمشق ،ط١، ٢٠١٢ : ١٠٨. وينظر، عتبات الكتابة بحث في مدونة محمد صابر عبيد النقدية، سوسن البياتي،من اصدارات قصر الثقافة والفنون في صلاح الدين،ط١، ٢٠١٢: ٣٣

الوقوف على الحقيقة ، بل بنمط قرائي يكشف عن الأمور الخفية للظاهر .

ورصد اللغة الفنية العالية للشاعر وطبيعة البنية اللغوية عنده التي تمتاز بالرصانة والوضوح والدقة ، فضلا عن قدرتها في وصف التجربة الشعرية وتقديمها بطريقة تختلف عن الشعراء الآخرين الذين كتبوا سيرهم الشعرية ؛ فقد تمكن من جعلها ترتدي ثوباً عصرياً غاية الروعة والأناقة(٥١٤) .

أما قراءته لسيرة الشاعر صلاح عبد الصبور "حياتي في الشعر" فقد عبّر عنها الناقد بأنها: ((وعي أصيل قائمة على وعي بهذه التجربة بكل تفاصيلها وخلفياتها مما يوحي بإدراك كامل للأساس الفلسفي الذي تنهض عليه التجربة))(٥١٥)، ولاحظ الناقد أن الشاعر يُدرك المفاهيم التي تُلخص فلسفته في الكون والأشياء والحياة، ومقدار وعي الإنسان بالكون ، وباللغة البشرية، وبالحضارة وبالفن ، وبالتراث والكشف عن الوعي الداخلي للشاعر وطبيعة الشخصية الشعرية ، وأنّ المرتكزات الفلسفية جعلت نصه أكثر توحداً وتماسكاً. وكان أسلوبه علمياً يستند إلى رؤيته الفلسفية والفكرية في شعره(٥١٦).

وفي قراءته لسيرة البياتي (تجربتي الشعرية) يُركز على قضية فائقة الأهمية في سيرة البياتي الشعرية وهي قضية البطل الأسطوري – التاريخي ، فكان للجانب الحضاري والتاريخي ومزجه بالشعر والحياة الأثر الأكبر في تطور الشخصية الشعرية لديه ، فضلاً عمّا يتمتع به الشاعر من الثقافة العالية ، والجمال الفني والأسلوبي.

أما بنية الشاعر اللغوية فكانت بنية خاصة به في فلسفتها وشعريتها في التعبير، بعيداً عن الغموض(٥١٧) .

ويقف الناقد عند السلبيات التي يمكن أن تُسَجل في سيرة الشعراء الشعرية ومن ذلك تعقيبه على ملاحظات أبداها الشاعر حميد سعيد في سيرته الشعرية (الكشف عن أسرار القصيدة) ، بأنها مازالت بحاجة إلى تعميق النظرة القائمة على اكتشاف نظرية تؤسس قوانين عامة، مدعمة برؤى علمية يمكن أن يقاس عليها(٥١٨).

---

(٥١٤). ينظر، السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية:٦٣

(٥١٥) شعرية القصيدة العربية الحديثة، محمد صابر عبيد، منشورات رؤى بغداد، ٢٠٠٠ : : ٣٥

(٥١٦) يُنظر : السيرة الذاتية الشعرية : قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية : ٩٢ .

(٥١٧) ينظر، م . ن : ٦٣.

(٥١٨) ينظر، م . ن :٩٥ .

فجاءت هذه الدراسة وافية وشاملة ودقيقة في قراءة النصوص مستوعبة الأفكار والرؤى، ومستوفية المستويات التحليلية كافة.

وقد التزم الناقد المناهج النصية التي تفيد من النص ومقارباته من خلال اعتماده على مرجعيات نقدية كرس وجودها في مجال قراءة هذه السير الذاتية الشعرية ، وتحليلها ، وعلى ركائز مهمة تتحقق من خلالها ملامح طريقته النقدية تقوم على مبدأ محاولة جعل النص هو محور القراءة الأساس ، كاشفاً عن الطاقة التعبيرية والحمولة الفكرية للنص ، و ما يؤهله لأن يكون محلاً للقراءة الناقدة بما يتواءم مع طبيعة الرؤية والفكرة التي يروم الناقد إلى إيصالها ، وأن هذا الوعي في النص هو الذي يكشف عن طبيعة العمل النقدي في قراءة نصٍ ما من خلال الكشف عن وعي الناقد بأبعاد ذلك النص وتقاليده [٥١٩].

ويتمثل الجهد النقدي الآخر في منطقة السيرة الذاتية الشعرية بجهود الدكتور هشام محمد عبد الله ، وقد تكرست جهوده بإصدار كتابه (التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة) ، فقد سعت هذه الدراسة إلى قراءة التجارب الشعرية التي دونها أبرز أعلام الحداثة الشعرية العربية و مارسوا من خلالها تطبيق جوانب من سيرة حياتهم الخاصة ، ابتداءً من الحديث عن البدايات الأولى لتأسيس الوعي الجمالي والمؤثرات التي أسهمت في تشكيل خطابهم الشعري وانتهاءً بالقصيدة ومراحل تشكلها من خلال عملية الاستعادة من الذاكرة في قراءة الذات الشعرية وقراءة الخطاب الشعري الخاص وتفكيكه وكشف ظروف نشأته ، وهذا العمل النقدي هو مقاربة للسيرة الذاتية ، وبحث في تحليل ظاهرة "الشعراء النقاد" معاً [٥٢٠]، وقد درس الناقد السير الذاتية الشعرية لأربعة من شعراء الحداثة وهم : عبد الوهاب البياتي ، ونزار قباني ، وصلاح عبد الصبور ، وأدونيس .

وتتضمن الدراسة ركني التجربة الشعرية هما ، السيرة الذاتية للشاعر ، والفكر النقدي الذي افرزه تفاعله مع الشعر وتأسيسه لنقد يدعم هذا الشعر ؛ لذا قامت الدراسة في فصولها الثلاثة على تناول موضوعين أساسيين في سيرة الشاعر الشعرية: الأوّل هو تجليات السيرة

([٥١٩]) مفهوم الوعي النصي في النقد الادبي ، دراسات ومراجعات نقدية ، حسن البنا عز الدين :٢ ، وينظر ، التأويل واشكالية المنهج قراءة في المشغل النقدي للناقد محمد صابر عبيد ، د.فاتن عبد الجبار جواد من كتاب النافذة والريح اضاءات في تجربة محمد صابر عبيد الابداعية ،اعداد وتقديم د.محمد صالح شيد الحافظ ،ط١ ،٢٠١٢، تموز للطباعة والنشر دمشق :١٧٠

([٥٢٠]) التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة :٩-١٠.

الذاتية من حيث المكونات المؤسسة للنص والذات السيرية ، والثاني: هو التصور النقدي الذي تقدمه هذه التجربة ، وما يتفرع عنهما من قضايا مهمة يقع في مقدمتها ضبط حدود المصطلح ، والكشف عن دوافع كتابة التجربة الشعرية لدى الشعراء ، ومكونات النص السيري والذات السيرية التي توزعت ما بين مكونات اجتماعية ومكونات ثقافية، وتناول ممارسة الشاعر للنقد وعلاقة هذه الممارسة بالشاعر من جهة ، وبالناقد من جهة أخرى ، ودخول الناقد في عمق الفكر النقدي ، حيث تصور هؤلاء الشعراء للقصيدة الجديدة التي كانوا يؤسسون وجودها من خلال نصوصهم الإبداعية وفكرهم النقدي ، ودوافع التجديد والخروج على القصيدة القديمة، وتأسيس القصيدة الحديثة، والكشف عن خطوطها العريضة من حيث الماهية ، والوظيفة ، والتشكيل.

ويمكن التركيز على القضايا الأساسية التي تناولها الناقد في كتابه لأهميتها وهي:

أ- (المكونات السيرية) وهي المكونات التي أسست وعي كُتّابها التي يقترب بعضها من الذات الشخصية وهي المكونات الاجتماعية والاسرية ، وبعضها يقترب من الذات المبدعة وهي المكونات الثقافية وقد لاحظ تأثير تلك المكونات على تجربة كل شاعر ، بالرجوع إلى سيرهم الشخصية والشعرية معا. فمثلا يجد الناقد ان المكونات الثقافية بما فيها الافادة من الانموذج الشعري العربي القديم كانت حاضرة في تجربة البياتي الشعرية ، فقد تأثر بالشاعر الجاهلي طرفة بن العبد وابو نؤاس والمعري والمتنبي والشريف الرضي.

أمّا تأثير العلاقات الاجتماعية التي تحيط بالمبدع لاسيما الجو الاسري الذي له الأثر الأكبر في تكوين شخصيته ، فيستشهد فيه الناقد بسيرة الشاعر نزار قباني ، وما أحدثه الوضع الأُسري الذي عاشه الشاعر مع أفراد عائلته المليء بالحب والعاطفة ومن ثم تبرير سمة الحب البارزة في شعره[٥٢١].

ب- ومن الأمور التي التفت إليها الناقد في كتابه (الفضاء الثقافي في التجربة الشعرية) الذي تعرض فيه للواقع الثقافي وارتباطه بالذات السيرية ، وتأثير البيئة المحيطة بالمبدع التي تساهم في تكوين الشخصية ؛ إذ إن الذات هي مركز الوجود عند الفنان ، ومنها ينطلق ، ويبحث عن صداها وماهيتها في نفسه والاخرين ، ولا يتسنى لهذه الذات الانفصال بخبرتها عمّا حولها مهما أُوتيت من تجارب ومؤهلات العبقرية والفرادة ، إذ إن استكمال وجودها إنما

([٥٢١]) ينظر، التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة :٧٤، ٧٥

يتم بالمقارنة مع هذا الواقع المحيط[٥٢٢].

ج- تقويم كل تجربة شعرية يتناولها بكتابه بالوقوف على اسباب تميزها ونجاحها ، فهو يرى أن أسباباً عدة جعلت من نص نزار انموذجاً للسيرة الذاتية الشعرية ، أهمها: إفادته من النصوص التي سبقته في مجال السيرة الذاتية الشعرية ، وقدرته الكتابية واسترساله في الحديث عن جزئيات الأحداث التي لا تقل أهمية عن الكليات ، رغبته في الاقتراب من القارئ[٥٢٣].

د- الخطاب النقدي للشاعر/الناقد وعرض مظاهر هذه الممارسة النقدية ومدى معرفة الشعراء لعالم النقد وفيه يرى ان قيمة النقد الذي يمارسه الشاعر مازالت محدودة فلم تدخل عالم النقد الأكاديمي ، فالشاعر في عرف النقاد مازال شاعراً ، أما النقد فيقوم بالكشف عما خفي في النص ولم يفطن اليه الشاعر نفسه[٥٢٤] .

ولا يمكن تعميم هذا الحكم على جميع الشعراء النقاد ، وانما ينطبق على العينة المدروسة من الشعراء و التي كانت في فترة زمنية لم يظهر فيها مفهوم الشاعر الناقد بشكل واضح، وهو هنا يستثني منهم الشاعر ادونيس الذي عرف بكتابته للنقد والتنظير له ؛((إذ إنها غاية أساسية عنده ، لا يُجاريها حتى قول الشعر))[٥٢٥] .

ونُؤيد ما ذهب إليه دكتور هشام محمد من ان اعتراض النقاد -قديما- على ممارسة الشاعر للنقد تقوم في أساسها على انه يجهل القواعد التي ينبغي أن يقوم الشعر عليها ، وأن الشاعر الحديث قد تجاوز هذا النقص ويرد على من يقول بعدم إحاطة الشاعر بوسائل وطرائق المعرفة التي تؤصل في فهم النص من نظريات ومبادئ نقدية ، بأنّ ((الشاعر الحديث يمثل استثناء في هذه الاساليب ، فهو قد تجاوز هذه الأسباب ، أو لنقل بعضها ، فالثقافة التي تؤسس للناقد مواقفه ، هي ذاتها مشاعة لدى الشعراء ، وبإمكان كل شاعر الاطلاع عليها والإفادة منها -إلا أنّها لا تظهر إلا من خلال ممارسة وكتابة النقد - مما يعني ذوبان الحاجز الذي يقف دون ممارسة الشاعر للنقد ، وجعل نقده معرفة يمكن الاعتماد عليها))[٥٢٦] .

---

(٥٢٢) يُنظر : التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة :١٠٩

(٥٢٣) ينظر، م.ن : ٧٠

(٥٢٤) ينظر، م . ن :١٩٧-١٩٨

(٥٢٥) م . ن :١٩٩- ٢٠٠

(٥٢٦) التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة:١٩٩

ولكننا نستدرك على كلام الناقد بقضية مهمة ، فالشاعر لا يتمكن دائما من مغادرة فضاء تحليل تجربته الشخصية وكشف أبعادها ، ونقده في أغلبه انطباعي وذوقي على نصه ، وهذا مؤكد فيما يتعلق بتجربته هو، وما يمتلكه من قدرة نقدية تكون ذات قيمة أكبر فيما لو مارسها على نص غيره، لا على نصه الشخصي.

هكذا فإنَّ الناقد قدم لنا دراسة وافية حول هذا النوع السيري ، ومكملة لما قدمهُ الدكتور محمد صابر عبيد في كتابه (السيرة الذاتية الشعرية) فكانا جادين في الكشف عن مكامن الإبداع في هذا النوع الأدبي–السيري والغوص في أعماقه، وإن كانا قد انفردا في دراستهما لتلك المنطقة السيرية، فلم نجد من النقاد والباحثين من اجتهد في البحث والدراسة فيها ، ونحسب أنهما استطاعا ولوج عتبة النقد في هذا النوع الحديث من أوسع أبوابه، والدراستان اللتان قدماها تشهد لهما بالتميز والإجادة.

وهناك من الباحثين من أشار إشارة سريعة إلى هذا النوع مع ما درسهُ من أنواع أخرى للسيرة الذاتية في بحثه ومن هؤلاء الباحثين الباحثة شايب الرأس زبيدة التي درست تجربة نزار قباني الشعرية معتمدة دراسة الدكتور محمد صابر عبيد في هذا المجال، موجزة أهم ما جاء به الشاعر من الآراء التي كشف بها عن موهبته الشعرية وآرائه الثقافية ومفاهيمه حول الإبداع ؛ إذ ترى أنه نجح في قدرته على التماهي مع ذاته والإخلاص لتجربته بجرأة ووضوح في نقده لشعره، وتعبر شهادته العميقة في كتابه السير ذاتي" قصتي مع الشعر " عن وعي كبير بضرورة هذا التزاوج الصادق بين التجربة وقولها شعريا عبر صيغ تعبير شعرية دائمة التطور والابتكار[٥٢٧] ، وقامت الباحثة بتسجيل سلبيات الشاعر ومنها نرجسيته في نقد تجربته الشعرية؛ إذ دخلت الباحثة في صدام مع الشاعر الذي كان رافضاً لدور النقاد في إبداء آرائهم وانتقاداتهم لسيرته الشعرية ؛ إذ أنه متيقن بأنه لا يمكن لأي أحد أن يفهم نصه الشعري كما يفهمه هو ، فترد عليه الباحثة قائلة: ((لو إننا سلمنا بما يقوله "نزار قباني" هنا وبهذه الحديّة ؛ إذن لكان بإمكاننا الاستغناء تماماً عن النقد والنقاد والاكتفاء بالسير الذاتية الشعرية التي يكتبها الشعراء، والاطمئنان التام إلى ما يقررونه بشأن شعرهم، بعيداً عن التشكك في حجم الادعاء مقارنة بمستوى الإنجاز عند كل شاعر))[٥٢٨].

([٥٢٧]) ينظر، يُنظر : السيرة الذاتية في شعر نزار قباني، شايب الرأس زبيدة، رسالة ماجستير،جامعة المسلة،كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،٢٠١١-٢٠١٢: ٢٩

([٥٢٨]) السيرة الذاتية في شعر نزار قباني: ٢٨

وهنا يمكننا أن نُضيف على ماذكرتهُ الباحثة في تأويلها لكلام الشاعر نزار قباني ، أن الشاعر كان يقصد بأن درجة الفهم تختلف بين منتج النص و قارئه ، فقارئ النص يتحول إلى منتج ثاني له ، وهنا حتماً سيقدم قراءة مغايرة لتلك التي يقدمها الشاعر الذي يتحول إلى ناقد لنصه ، وستختلف الرؤى والقضايا التي يتم تناولها وتحليلها بينهما ، وتختلف القدرة النقدية التي يمارسها المنتج على تجربته الشخصية عن قدرة القارئ التي يمارسها على نص غيره فيما يخص الكشف عن أبعاد هذه التجربة أسرار نبوغها.

ولكن هذه العناية بأرض السيرة الذاتية الشعرية الخصبة بوصفها نوعاً سيرياً جديداً، ما زالت في بداية المشوار، وما زال الطريق أمامها طويلاً، وشائكاً، وبه حاجة جهود كبيرة من الدارسين، لتغور في أعماقها بروحية مفعمة بمتعة البحث والمتابعة، وعلى نحو يقف على المواطن الجمالية في السيرة الذاتية الشعرية، ليزيد من طاقتها الدلالية، ويدعم شعريتها.

ثانياً: التجربة القصصية

يعمد القاص إلى كتابة تجربته القصصية في قالب قصصي أو حواري لاعتقاده بخصبها وأهميتها وإشكاليتها ويُعتبر الدكتور محمد صابر عبيد أول من نَظَرَ لهذا النوع الذي يرى إنه ينتمي لعائلة الأنواع السيرية التي ثبتها في معجم مصطلحات السيرة مصطلحاً وتعريفاً حيث اصطلح عليها بـ (السيرة الذاتية القصصية) وعرفها قائلاً أنها: ((سرد نثري سيرذاتي يعمد فيه القاص إلى تسجيل سيرة ذاتية خاصّة بتجربته القصصية، في مرحلة يعتقد أنه وصل فيها إلى درجة معقولة من النضج والشهرة. وتأخذ هذه السيرة أشكالاً متعددة بحسب رؤية القاص في انتخابه للأزمنة والأمكنة والأحداث التي أسهمت في تكريسه قاصاً، وفتحت له بوابة الفن القصصي. ويمكن أن تتناول السيرة الذاتية القصصية مرحلة قصصية معينة يعتقد القاص بأهميتها وجوهريتها في تجربته، أو يحيط بمجمل تجربته القصصية ابتداء من المرجعيات المؤسسة، مروراً بالإشكالات والقضايا والمواقف، وصولاً إلى إبراز مكانته في المشهد القصصي العام))[٥٢٩] .

كما أنه وضع قواعد وشروط هذا النوع من حيث الشكل واللغة والمضمون، فهو(سرد نثري) ولا يشترط لهذا السرد اسلوباً معيناً لكتابته ؛ إذ يقول: ((وللقاص حريّة اختيار الأسلوب

([٥٢٩]) تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٣٦

الحكائي المناسب لرؤية سيرته الذاتية القصصية))[٥٣٠] فقد يكون حواراً أدبياً مع طرف آخر محاور وقد يكون قصة ، ويؤكد على ضرورة العناية باللغة في كتابة هذا النوع ؛ إذ إن ((الاهتمام باللغة السيرذاتية القصصية والعناية بشعريتها بالقدر المعيّن المكافئ للنوع والموضوع وضروراته. من شأنه أن ينجح في إنجاز نص إبداعي لا يقلّ شأناً عن المنجز القصصي))[٥٣١] .

أما مضمونها فهو ما قرأناه في بداية هذا التعريف أن تختص بتجربة الكاتب القصصية بكل تفاصيلها وليس بسيرة حياته كلها[٥٣٢].

ويعرفها الدكتور خليل شكري قائلاً: ((إن السيرة الذاتية القصصية هي سرد استرجاعي نثري ، يُسلط الضوء على تجربة من تجارب القاص القصصية تاريخياً ومكاناً وحدثاً ، يسجلها القاص تسجيلاً سيرذاتياً، يسعى في ذلك إلى التركيز على تجربة جوهرية يعتقد القاص بأهميتها ،لينقلها نقلا حيا شديد التكثيف والتبئير))[٥٣٣]، وبذلك فهو يتفق مع محمد صابر في قراءته لهذا النوع (اصطلاحاً وتعريفاً).

ولا شك في أن هذه الإضاءات الاستذكارية الاسترجاعية بتشكيلاتها المتعددة والمتنوعة التي تنتظم في سياق واحد تدخل قطعاً في عمق الكتابة السيرذاتية، ((وهذا المفهوم المتداخل بين سيرذاتية التجربة القصصية ، وقصصية القالب النوعي الذي يحتوي هذه التجربة أوجد لنا نوعاً أدبياً مهجناً من جنس القص وجنس التجربة الذاتية))[٥٣٤] ، وأخذ هذا النوع من الكتابة من فن السيرة الذاتية كونه ينتمي إلى عائلة الأنواع السيرية ، وأهم آليات كتابته ومرتكزاتها متمثلة بالآتي[٥٣٥]:

-اتجاه السرد بالزمن الماضي(سرد استرجاعي).

-وجود التطابق بين انا الكاتب وانا السارد وانا الشخصية المركزية.

---

(٥٣٠) تمظهرات التشكيل السيرذاتي :١٣٧ .

(٥٣١) م.ن:١٣٧

(٥٣٢)ينظر، م . ن :١٣٦ .

(٥٣٣) التجربة القصصية الذاتية المخاض لهيثم بهنام بردى مثالا ،خليل شكري هياس،مجلة الاقلام ،العدد الثاني-السنة التاسعة والاربعون ،آب٢٠١٤ :١٣٦

(٥٣٤) م . ن : ١٣٦ .

(٥٣٥)يُنظر : م . ن : ١٣٦

-قيامه على الميثاق السيرذاتي الذي يقود إلى ان الكاتب هو صاحب التجربة القصصية المكتوب عنها.

ويأخذ من القصة التي هي وعاء لاحتواء تفاصيل التجربة ،المفارقة ، والحكائية ، وكسر أفق التوقع، والانزياح، وبنية الاستهلال والختام، ووحدة الموضوع، والتكثيف الذي لا يعد اقتصاداً لغوياً حسب ، بل بناءً متماسكاً يَسبك كل التقانات في لوحة تعبيرية يبقي على روح النص وتوهجه الخلاق[٥٣٦].

ولإثبات أحقية هذا النوع المقترح فإن الدكتور خليل شكري هياس يُقدم لنا قراءة نقدية تشتغل على وفق هذا المنظور، فقد وجد في قصة (المخاض) للقاص هيثم بهنام بردى انموذجاً لهذا النوع متتبعاً أبعاد التجربة القصصية فيها مبتدأً بدلالة العنونة (المخاض) التي تؤشر بداية الطريق في هذه التجربة التي تنفتح على حساسية وإدراك وطبيعة النشأة وفضاء التكوين الأول ، ومستوى تأثيره على شخصيته وسيرته ، على النحو الذي يكشف فيه عن التاريخ الشخصي لمنجزه القصصي بكل ما ينطوي عليه ذلك من تفاصيل وإجراءات ، ثم تتضح ملامح ذلك النص أكثر بولوج الناقد إلى دواخله ، فيُثبت للقارئ رؤية القاص السيرذاتية الخاصة بتجربته القصصية التي تتكشف بوضوح الميثاق السيرذاتي كأهم مرتكز من مرتكزات السيرة الذاتية ،متمثلا بذكر القاص لاسم أول قصة كتبها وهي قصة (تل الزعتر) التي تُمثل بداية شهرته ونجاحاته في التجربة القصصية ليتحقق التعالق النصي الإحالي بين نصين له نص سابق ونص لاحق ، ثم ذكره لأول مجلة نشر فيها قصته هي (مجلة الطليعة)، وتوجيه كاميرا السرد على تفاصيل اللقاء بين بردى ورئيس تحرير المجلة عندما سلمه قصته ،مما يطمئن القارئ بتطابق الشخصية مع الكاتب والسارد ،وذكره لعنوان قصة اخرى من قصصه المثبتة النسب للقاص بردى وهي قصة (التنور) ،ثم رجوع القاص بذاكرته إلى استحضار الواقع المعيش بأحداثه ولاسيما ذلك الواقع الذي لهُ تأثير مباشر على تجربته القصصية (مكاناً وزماناً وحدثاً وشخوصاً) فالمكان متمثلاً بمدينته (الموصل) ، وشخصية العبار وحوار المؤلف/القاص معه التي تُضيف نزعة نفسية تستبطن الذات وتظهر كل ما هو جميل في حياتها [٥٣٧].

([٥٣٦]) يُنظر : القصة القصيرة جدا ،مقاربة بكر، أحمد جاسم حسين، منشورات دار عكرمة للطباعة والنشر والتوزيع،دمشق،١٩٩٧ : ٣٩-٤٠ ، وينظر التجربة القصصية الذاتية المخاض لهيثم بهنام بردى مثالا: ١٤٢ .

([٥٣٧]) ينظر، التجربة القصصية الذاتية المخاض لهيثم بهنام بردى مثالا: ١٤٧-١٤٨

وتشتغل الذاكرة هنا لإضاءة المفاصل الحيوية المهمة في تأسيس تجربة القاص القصصية ، ورسم صورة الذات القاصة بحرفية عالية [٥٣٨]، فالسرد هو سرد استرجاعي ، وهي علامات للنص السيري، وبذلك يصبح تحديد الناقد لهذه المفاصل في القصة مؤكداً على سيرذاتية التجربة [٥٣٩].

ويمكننا القول بعد اطلاعنا على دراسة هذين الناقدين اللذين انفردا بقراءة هذا النوع والتنظير له ، وقراءتنا لمنتجهم النقدي في هذا الجانب إنَّ تلك التجارب مهمة للمبدع والقارئ على حدٍّ سواء، فهي تُعبّر عن رغبة سيرذاتية واضحة في الكشف عن جوانب مهمة وحافلة على هذا الصعيد من التجربة، وهي تدخل عملياً في صميم عمل الكتابة السيرذاتية، لما توافرت عليه من حسّ سيرذاتي في الكشف والتعبير والتصريح وتثبيت الحقائق التاريخية المرتبطة بالتجربة القصصية، من حيث النشأة الأولى والتكوين والتطور والتشكّل، وكل ما يحيط بها من فضاءات وقيم وحدود .

إن قيام الكاتب بكتابة كتاب سيري يخص تجربته القصصية حصراً، ويتوافر على درجة من القصدية في بنائها ، فإن ذلك يعني صياغة مكثّفة وواضحة لإشكالية النشأة والمكونات الثقافية التي صنعت تجربته، وشكّلت المعالم الأساسية التي جعلته جزءاً من الوسط الأدبي والثقافي.

ولا نتفق مع من اعتبر هذا التطور والانفتاح على مثل تلك الأنواع زيادة في البلبلة الإصطلاحية وتشويشاً في الفكر النقدي[٥٤٠] ؛ بل على العكس من ذلك تماماً ؛ لأن مثل هذه الدراسات تُخرجنا من القولبة التي اعتاد النُقاد والدارسون على التقولب فيها ، كما إنها تُتيح الفرصة للدارسين لدراسة تلك الأنواع الجديدة والتفتيش في النصوص التي تحكي عن تجارب القصاص ورؤاهم تجاه الواقع والأشياء وأسرار ابداعاتهم ، وبذلك لن تُهمل تلك المنجزات.

---

(٥٣٨)ينظر، م.ن:١٣٩

(٥٣٩)ينظر، م.ن:١٤٠

(٥٤٠) ينظر البوح والترميز القهري:٥١

#+

النقد السيرذاتي من التأسيس إلى الاستقرار

المبحث الأوّل : قراءة في الأعمال المبكرة

المبحث الثاني : قراءة في جهود ما بعد التأسيس

مدخل :

لا شك في أنّ الخطاب النقدي السيرذاتي أحوج ما يكون اليوم إلى مثل هذه المراجعة النقدية ، ونسعى لأن نبرز أهم مراحل التنظير لهذا الفن من التأسيس إلى مرحلة التطور والاستقرار الذي لحق به في أهم اتجاهاته ومضامينه في المبحثين من هذا الفصل بتقديم

نموذج من أهم الأعمال في المنظومة النقدية بكونها تمثل تاريخاً لتقبل الظاهرة السيرذاتية عبر أزمنة متلاحقة ساقت لنا ضروباً من القراءات تحليلاً وتأويلاً عكست مدى فاعلية هذا الفن ورصد تطوراته ، وهي تمثل مرحلة من مراحل التأسيس والتأصيل للنقد السيرذاتي وتكشف لنا عن تطوير المعايير الإبداعية في فن السيرة الذاتية ، فكلما ظهرت نصوص إبداعية جديدة في فن السيرة الذاتية اقتضى ذلك ظهور جهود نقدية قادرة على متابعتها ووصفها ، وهناك دراسات نقدية مطورة للنقد السيرذاتي [٥٤١] تصدت لمعالجة قضايا السيرة الذاتية معالجة ترقى بالتحليل إلى مستوى الشفافية النقدية التي تُعنى بضبط المفاهيم والاستعمالات الاصطلاحية وتدقيقها ، وهي معالجة تنطلق من خطط منهجية تسعى إلى مواكبة أبرز مناهج النقد الحديثة وتطبيقها على السيرة الذاتية من دون إغفال خصوصيات النصوص العربية والتجدد في أسلوبيتها ، وكثافة قضايا السيرة الذاتية العربية ويمكن القول إنّ تلك الدراسات أسهمت بشكل كبير في انتعاش النقد السيرذاتي ، واستقطابه لعناية الدارسين .

([٤١]م) تمثل الجهد النقدي في الفترة الممتدة بين (١٩٩٢-٢٠١٤) .

المبحث الأول
قراءة في الأعمال المبكرة

أوّلاً : كتاب (الترجمة الشخصية)[٥٤٢] للناقد شوقي ضيف

أقسام الكتاب:

قسم الناقد كتابه على خمسة فصول يسبقها مقدمة وتمهيد، يعتمد في عنونة هذه الفصول على المجال المعرفي للمترجم له في السير القديمة ،فالفصل الأول يحمل عنوان (تراجم فلسفية) ، والفصل الثاني يحمل عنوان (تراجم علمية وأدبية) ، والفصل الثالث (تراجم صوفية) ، والرابع (تراجم سياسية) ، أما الفصل الخامس فقد اتخذ الناقد عنوان الفصل من حداثة التراجم التي يعرض لها (التراجم الحديثة) ؛ إذ اعتمد المعيار التاريخي أو معيار الزمن في هذا الفصل ، ويبدو تقسيم الناقد لفصوله أوّل وهلة تقسيماً مضطرباً ، فمرة يقسمها على وفق معيار معرفي واجتماعي يوضح من خلاله مكانة كاتب السيرة ، ومرة يستند إلى معيار تاريخي كما في الفصل الخامس ، ولكنه سرعان ما يتضح أنه اعتمد معياراً تأريخياً قسم فيه السير إلى قديمة وحديثة ، فالفصول الأربعة الأولى تتضمن الحديث حول النصوص القديمة، والفصل الخامس يتضمن النصوص الحديثة ، وهذا المعيار التأريخي عندهُ قائم على الانتقاء ونجدهُ ميالاً إلى الوصف والاستعراض ، مُغيباً المنهج العلمي في استقراء النصوص وتحليلها.

أهداف الكتاب:

أما هدف الكتاب فيصرح به الناقد في متن كتابه فيقول : ((حاولت في هذا الكتيب أن أعرض صور الترجمة الشخصية عند العرب في عصورهم المختلفة من العصر العباسي إلى العصر الحديث))[٥٤٣] إلا إن الناقد لم يبذل جهداً نقدياً في قراءته للنصوص واكتفى بعرضها في تسلسل تاريخي يوضح فيه تطور السيرة .

التوصيف النقدي:

---

(٥٤٢) طبع كتاب الترجمة الشخصية أربع طبعات، ضمن سلسلة تعنى بالأنواع الأدبية كالمقامة والرحلات و النقد والقصة ، عن دار المعارف، القاهرة ،ط٤ ، ١٩٥٦

(٥٤٣) الترجمة الشخصية:٥

يتحدث الناقد شوقي ضيف عن نشأة السيرة الذاتية وتنبه إلى قضية خلو السير القديمة من المادة النفسية والاجتماعية بسبب اهمال كتابها لتفاصيل حياتهم من الطفولة وحتى الفترة التي كتبوا فيها سيرهم الذاتية لأنهم ((لم يفطنوا إلى ضرورة ذلك، ومن ثم كانت هذه التراجم فقيرة))[٥٤٤] فهي لا تخوض بنا في الحياة البشرية بكل مافيها من مساوئ وكمال وضعف وقوة تجنبا لمحذورات كثيرة كانت قارة في مجتمعاتهم[٥٤٥]؛ لذا كان التركيز على مكانتهم العلمية والاجتماعية والسياسية .

ويبدو أن الناقد لا يأبه بالمصطلحات والفروق بين الفنون التي تعنى بكتابة الذات ، ولم يُعرف بها، فنراهُ يذكرها على اعتبار أنّها جميعا تنضوي تحت مصطلح (الترجمة الشخصية) ، فيذكر في كلامه في فصل التراجم السياسية أن هؤلاء الكتاب ((قدموا لنا مذكرات ووثائق تأريخية خطيرة ، وإن كانوا قلما قدموا حياتهم الخاصة في شكل يوميات دقيقة))[٥٤٦] ، كما يقول في الفصل نفسه ((وهذه السيرة أو هذه المذكرات طريفة لأنّها ترينا كيف كان يعمل دعاة الفاطميين سراً))[٥٤٧] .

أما رأيه في أصول هذا الفن فيرى أنه فن غربي أخذه العرب عن الأمم الأجنبية ، و لاسيما اليونان((وهو فن مستحدث عندهم ، قلدوا فيه غيرهم من الامم الاجنبية ، التي قرأوا آثارها، وخاصة اليونان، فإنَّ بعض متفلسفتهم ترجم لنفسه وتحدث عن كتبه ، وحاكاهم متفلسفو العرب ، واتسعت المحاكاة ، فدخل فيها العلماء والمتصوفة ورجال السياسة))[٥٤٨].

ويبدو واضحاً تأثر الناقد بآراء المستشرقين[٥٤٩] في ما أبداه من آراء نقدية حول السير التي عرض لها وملاحظاته عن كتّابها في كتابه ، ولا سيما في قوله بأنّ العرب تأثروا بمن سبقهم من الأمم الأخرى في كتاباتهم عن الذات ، وإنّ كتاباتهم ليست من الترجمة الشخصية بمعناها التام ، وكان أكثر تأثراً بالمستشرق روزنتال في ذلك[٥٥٠] .

---

(٥٤٤) الترجمة الشخصية: ٥
(٥٤٥) يُنظر : م . ن : ٥
(٥٤٦) م.ن: ٦
(٥٤٧) م.ن:٨٨
(٥٤٨) م . ن : ٥
(٥٤٩)ينظر، المنتقى من دراسات المستشرقين: ١-٢١ ، وحضارة الاسلام: ٣٢٨-٣٧٢.
(٥٥٠) يُنظر : ، المنتقى من دراسات المستشرقين: ٧٧ ، والموت العبقرية : ١١٧-١١٩ ، والترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، المقدمة د .

أما أسلوبه في عرضه لتلك السير فمرة يكون عرضاً مختصراً ومرة أخرى يكون عرضاً مسهباً للمضامين ، وكان الأولى أن يشير إلى المصادر التي أثرت في نشأة السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم ، وقد جنح الناقد إلى ذكر الجزء الكبير من ملاحظاته النقدية حول النصوص وكُتّابها في مقدمة الكتاب ، ومن تلك الملاحظات أنّ كُتّاب السير الذاتية كانوا من العلماء والفلاسفة ، وأنهم عنوا بالتحدث عن حياتهم الفلسفية والعلمية وماخلفوا من المصنفات وقلما وقف شخص منهم على طفولته ونشأته والمؤثرات التي أثرت في حياته، لذلك هي تراجم فقيرة من حيث المادة النفسية والاجتماعية[٥٥١] وهذا ما فعله المتصوفه فقد ركزوا على حياتهم الدينية وتجاربهم وكأنهم يحاولون أن يجروا القارئ إليهم ، وتورعوا عن ذكر مساوئهم[٥٥٢] وكذلك الحال بالنسبة للتراجم السياسية فقد دونوا فيها الأحداث السياسية والعامة أكثر من تصويرهم للذات[٥٥٣].

ومن ثم ينتقل إلى التراجم الحديثة فيصفها بأنّها أكثر تطوراً نتيجة التأثر بالتراجم الغربية، فقد وصل كُتّابنا إلى حد التجرد والاعتراف الصريح دون أي تحرج ، ذاكراً اثنين من الكتاب العرب الذين هم من أشدّ المتأثرين بالغرب وأسلوبهم في كتابة السيرة الذاتية وهما طه حسين ، وأحمد أمين[٥٥٤] .

ولاحظنا أن الناقد لم يعتمد تصنيفاً معيناً للتراجم الحديثة كما فعل مع السير القديمة ، ونعتقد ان سبب ذلك يرجع إلى أن السير الحديثة تميل فيها الكتاب إلى سرد كل ما يتعلق بسيرة الحياة ولا يقتصر على تناول جانباً معيناً منها ، على الرغم من بروز بعض الجوانب ، كما في (حياتي) لأحمد أمين ؛ إذ يبرز الجانب السياسي ، لكنه صور بيئته وظروفه تصويراً دقيقاً .

ولم يرد في كتابه مفهوم دقيق أو تعريف يمكن أن نعدّهُ حدّاً للسيرة الذاتية إنّما أورده بشكل عابر ومختصر في معرض حديثه عن تراجم المتصوفه ؛ إذ يقول: ((وقد يذكرون بعض تجاربهم وقد تتحول بعض كتبهم إلى تجارب خالصة ، ولكنها جميعا ليست من

---

(٥٥١) يُنظر ، الترجمة الشخصية : ٥ .
(٥٥٢) يُنظر ، م . ن : ٥ .
(٥٥٣) يُنظر ، م . ن : ٦ .
(٥٥٤) يُنظر : م.ن : ٦ .

الترجمة الشخصية بمعناها التام : وهي الترجمة التي تُعنى بالشخص ووصف حياته وحقائقها بكل ماصادفه فيها من شرٍ وخيرٍ وبؤسٍ ونعيمٍ))[٥٥٥] .

ومن الملاحظ تعدد مصطلحات الكتابة عن الذات في كتاب (الترجمة الشخصية) وصعوبة تحديد المصطلح عند الناقد بين (ترجمة شخصية) أو (ترجمة ذاتية) و بين (سيرة ذاتية) ؛ إذ يقول: ((فهي أشبه بتراجم شخصية وإن لم تكتب في شكل سير ذاتية))[٥٥٦] ، ويقول في موضع اخر في معرض حديثه على سيرة الشعراني : ((والكتاب بذلك ترجمة شخصية وافية لسيرة الشعراني وسلوكه))[٥٥٧] .

وإذا كان الدارسون قد فرقوا بين لفظتي (السيرة) و(الترجمة) ، بأن الأولى تتسم بالطول والثانية تتسم بالإيجاز ، فإنّ شوقي ضيف لم يجعل من تلك القضية حدّاً فاصلاً بين اللفظين فيصف السيرة مرة بأنّها (قصيرة) ، ومرة (كاملة) ومرة (واسعة)[٥٥٨] .

و نراه يقدم تفسيرات لبعض الأحداث التي ترد في سيّر الكتّاب ، كقوله في سبب تقرب محمد علي كرد من الحكام العثمانيين بحسب ما ورد في سيرته (خطط الشام) : ((وطبيعي أن يقول ذلك وهو قد اشتغل في الرعاية العثمانية ... على أنّ هذه صراحة تُحمد له))[٥٥٩].
في حين أغفل قضايا مهمة أخرى مثل دوافع الكاتب في كتابة سيرته الذاتية ، وطبيعة اسلوبه ، ومدى توافر الصدق في سرده لأحداث سيرته.

ونلاحظ كفاية الناقد بكلمة (بين أيدينا) من دون الإشارة إلى معلومات حول المصدر أو المخطوطة التي أخذ منها أو تاريخ الطبع ومكانه ، وأسماء المحققين إن وجدوا ، ويهمل الإحالة على بحوث المستشرقين الذين أخذ عنهم ، على الرغم من وضوح تأثره بهم .

ويحسب له الجهد النقدي الذي قدمه في سرد عنوانات أهم المصادر اليونانية والغربية التي تأثر بها الكتّاب العرب وأخذوا عنها في كتابة سيرهم الذاتية في المبحث الأول من كتابه، شارحاً لطريقة كل منها وما تميزت به بشكل مقتضب ، وقدم مجموعة من المؤلفات التي تنتمي إلى حقل السيرة الذاتية ، ونوه عن دور السيرة الذاتية العربية في تحريك الفكر الإنساني.

---

(٥٥٥) الترجمة الشخصية : ٧٧ .
(٥٥٦) م . ن : ٣٤ .
(٥٥٧) م . ن: ٨٤ .
(٥٥٨) ينظر م . ن :١٠٥ .
(٥٥٩) م.ن :١١٢ .

ثانياً : كتاب (فن السيرة) للدكتور إحسان عباس[٥٦٠] :

الأهداف :

تتمثل أهداف المؤلف بالتقريب بين القارئ ونصوص السيرة الذاتية بعد إن رأى أنّ هناك فجوة بين القارئ وفن السيرة الذاتية ، بخلاف إقبالهم على قراءة الشعر والقصص والروايات ، إذ يقول : ((فإذا استطاعت هذه الفصول أن تحبب إلى القراء العودة إلى كتب السير والتراجم الذاتية والتوفر على قراءتها فقد ادت مهمتها))[٥٦١] والهدف الآخر توسيع دائرة الأدب بضم فن أدبي مهم هو (السيرة الذاتية) إلى الفنون الأدبية الأخرى لتنشيط الوسط الثقافي وتزويده بنصوص أدبية مهمة للقراءة تخدم ساحة النقد من جهة أخرى إذ يقول : ((فإنّما أحاول أن أنفذ إلى جانب تلك التجربة الحية ، أضع مفهوما أوسع لمهمة الأدب))[٥٦٢] .

المنهج:

أمّا منهج هذه الدراسة فيتضح في قوله: ((مزجت بين العرض التاريخي والتحليل غير المستقصي لبعض النماذج مقسماً نظرتي في السير بين الأدب العربي والأدب الغربي (الانجليزي على وجه الخصوص) لا طلباً للمقارنة وإنما من أجل نظرة شمولية وتنويع الأمثلة ، لتطعيم الدراسة))[٥٦٣] .

التوصيف النقدي:

وكان عمل الناقد منوعاً بين التصنيف والترجمة أو التعريف بكتّاب السير الذاتية مؤرخاً ومُصدراً أحكاماً نقدية ، وتميز كتابه بالتنوع وحسن التنظيم فقد الحق كتابه بقائمة مصادر ومراجع وقائمة أعلام ، وقد شمل كتابه القديم والجديد، وتناول سيراً غربية وعربية .

---

(٥٦٠) صدر الكتاب عن دار الشروق للنشر والتوزيع، ط١، عمان ، ١٩٥٦ ، تعتبر سنة ١٩٥٦ سنة أول عمل نقدي منظم ، بعد مقالات كتبها عبد الرحمن بدوي جمعت فيما بعد بكتابه (الموت و العبقرية)

(٥٦١) فن السيرة :٧

(٥٦٢) م.ن : ٥ .

(٥٦٣) فن السيرة : ٦ .

ولم يفصل الناقد السيرة العامة عن السيرة الذاتية في عناوين رئيسة في الكتاب وإنما تحدث عن السيرة الذاتية امتداداً لحديثه عن السيرة، وفي هذا الجانب يبدو لنا تأثر الناقد بالقراءات الاستشراقية ومجاراته للنقاد الغربيين ، ولاسيما أندري مورو في كتابه (أوجه السيرة) ، فقد ((درسوا السيرة الذاتية في إطار السيرة العامة لالتقائهما في منزع واحد وهو تناول الحياة الفردية))[٥٦٤] .

وقد اعتمدت تلك الدراسة مبدأ (الانتقاء) وهو ما تأكد في كلام الناقد ؛ إذ يقول: ((فلم أثقل على القارئ بتصنيف معاجم السير وكتب الطبقات واقتصرت على كتب وأمثله يسهل الحصول عليها))[٥٦٥] .

ما لاحظناه على عمل الناقد أنّه يستشهد بنصوص سيرذاتية غربية وعربية ، وعنوانات لسير غيرية غربية ، ثمّ يباشر في معالجته قضايا وإشكاليات النصوص سارداً آراءه من دون وضع عنوانات رئيسة يفصل فيها بين تلك القضايا ، وقد تكون تلك سمة مميزة لفكر النقاد العرب في حقبة الخمسينيات إذ ينقص فكرهم النقدي الوعي المنهجي المنظم .

وعُني الناقد برسم الحدود الاجناسية لفن السيرة وتمييزه عن السيرة العامة والسيرة الغيرية ، والتمييز بين الحديث عن النفس شفوياً وبين السيرة الذاتية المكتوبة ، ويمكن تحديد القضايا التي تحدث بها الناقد إحسان عباس في كتابه فن السيرة بالآتي:

- أن يكون كاتبها شخصا متميزا في ناحية من النواحي ، يقول إحسان عباس: ((إذا كانت السيرة عامة تتطلب ان يكون بطلها شخصاً ذا تميز في ناحية من النواحي ، فان هذا الشرط أساسي في السيرة الذاتية بخاصة ؛ إذ لابد لشمول الرغبة فيها ان يكون صاحبها ذا صلة دقيقة بإحداث كبرى أو ان يكون ممن لهم مشاركة في بعض تلك الأحداث أو أن يكون – كما قلت قبل قليل– ذا نظرة خاصة في الحياة ، وحقائق الكون تجعله سابقاً لأوانه ، متقدماً على أبناء عصره أو صاحب أخطاء جسيمة ، فإنّ الجواذب التي تجذب الناس إليه انسانية أوّلاً ، ظاهرة ساطعة ثانياً ، ولذلك يموت كثير من السير الذاتية لأنّها

---

(٥٦٤) الترجمة الذاتية في الادب العربي الحديث : المقدمة و .
(٥٦٥) فن السيرة : ٦ .

لا تستطيع أن تحيا في نفوس الناس ، لا من جانبها الإنساني ولا من جانبها الفني))[٥٦٦] ، والشرط الآخر قناعة كاتب السيرة الذاتية بأهمية تجربته الذي يؤدي إلى نضوج تلك التجربة في داخله ، وهو اكتمال التصور لأطراف هذه التجربة ، ورؤيتها عند التطلع إلى الماضي، على أساس نظرة ذاتية خاصة ، ولولا هذا الشرط لكان كل إنسان قادراً على ان يكتب سيرته الذاتية [٥٦٧] ،

- المسألة الأخرى التي يؤكد عليها احسان عباس هي الموضوعية في نظرة الإنسان إلى نفسه فيقول: ((أن يكون كاتب السيرة الذاتية موضوعياً أيضاً في نظرته لنفسه ، بمعنى أن يتجرد من التحيز لنفسه ويذكر موقعه من الناس والحوادث ، ولا ينساق وراء غرور النفس ، وتعلقها بذاتها وحبها لإعلاء شأنّها ، وتنقصها من الآخرين))[٥٦٨] ، وهذا ما جعله يوجه انتقاده لسير ذاتية غربية[٥٦٩]؛ إذ إن للسيرة الذاتية نكهة خاصة، لأن الكاتب يتحدث فيها عن نفسه ، فنحس بأن الكلفة قد رفعت بيننا وبينه ، ((وكاتب السيرة قريب إلى قلوبنا ؛ لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا وبينه، وأن يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته حديثا يلقى منا آذانا واعية، لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله، ويوقفنا من صاحبه موقف الأمين على أسراره وخباياه، وهذا شيء يبعث فينا الرضى))[٥٧٠] ، فالسيرة الذاتية تختلف عن السيرة العامة بقيامها على الجانب الذاتي ؛ إذ من الضروري البعد عن سيطرة العاطفة على ما يصدره من أحكام و ألا يسخر الأحكام والوقائع والأحداث لعاطفته، فإن ازدياد العاطفة ينحرف بالسيرة عن وضعها الطبيعي[٥٧١] .

- المرحلة العمرية لكاتب السيرة الذاتية: وكما هو معروف أن إحسان عباس لم يحدّد سنّاً لكتابة السيرة الذاتية ، لكنه يفضل ان تكتب السيرة الذاتية بمرحلة عمرية متأخرة وسبب ذلك حتى يصل إلى مرحلة متطورة من حياته وأكثر نضجاً ، والسبب الآخر حتى لا يحشد في سيرته كل تجاربه التي من الممكن أن يفيد منها لاحقاً في كتابات إبداعية أخرى ، وهذا ما

([٥٦٦]) فن السيرة : ٩٦
([٥٦٧]) ينظر، م.ن : ٩٧
([٥٦٨]) م . ن :١٠٢
([٥٦٩]) ينظر:م . ن : ٩٩
([٥٧٠]) فن السيرة : ٩٣-٩٤.
([٥٧١]) ينظر ، م.ن : ١٠٣-١٠٤ .

وقع لطه حسين في (الأيام) فالناقد يرى انه جمد تجاربه دفعة واحدة ، حتى اصبح عمله هذا أغنى كتبه وأحفلها واكثرها امتاعاً ، واقربها إلى العمل الفني ، فهو يحسن هذا النوع لأنه نقل كل واقعه فيه لذلك فهو يتجنب ان يعيد تلك التجارب إذا كتب مثلا قصة أو أي عمل فني آخر[٥٧٢] .

– التفريق بين السيرة الذاتية والكتابات القريبة منها: لقد اهتم الناقد بقضية التفريق بين السيرة الذاتية والأنواع المقاربة منها ففي التمييز بين السيرة الذاتية والسيرة الغيرية يذكر انقسام الدارسين في تلك القضية على قسمين ، فمنهم من يرى أن لا فرق بين السيرة الذاتية والسيرة عامة في الغاية والشكل والمضمون ، إلى أن أحداهما تُكتب بصيغة المتكلم والأخرى بصيغة الغائب ، وأمّا الفريق الآخر فيرى أنّ بينهما شركة كالتي بين كثير من الفنون الأدبية ، موضحاً رأيه في هذه المسألة ((ولكن القول باتفاقهما التام خاطئ أو بعيد عن الصواب ... ونجاح المترجم الذاتي يقاس بنسبة الذاتية فيما كتب ، أما نجاح من يكتب سيرة غيرية فيقاس بمقدار تجرده وغيريته))[٥٧٣]

وتحسباً من الخلط بين السيرة الذاتية والأنواع المقاربة لها ميّز الناقد بينها وبين تلك الأنواع كاليوميات والمذكرات والمغامرات ، و أكد على أن تشمل السيرة الذاتية على كل نواحي الحياة لكاتبها وأن لا تقتصر على جانب معين وإلا خرجت من السيرة الذاتية بمعناها الدقيق ، وهذا ما أكده في وصفه لنص الغزالي (المنقذ من الضلال) في الصنف الثالث (الصراع الروحي) بأنّه : ((ليس سيرة ذاتية بالمعنى الدقيق لأنّه لا يصور إلّا جانباً من أزمة روحية دون نظر إلى ما عداها))[٥٧٤].

– الصدق والصراحة : أما قضية الصدق والصراحة فإحسان عباس يرى أنّ الصدق الخالص أمر أشبه بالمستحيل ، وأنه صدق نسبي[٥٧٥] ، أما أسباب ذلك فيعود إلى أمور أهمها النسيان الطبيعي ، والنسيان المتعمد ، والاختيار ، والذاكرة التي تنسى و((تفلسف الاشياء الماضية ، وتنظر اليها من زاوية جديدة ، وتهدم وتبني حسبما يلائم تجدد الظروف

---

(٥٧٢) ينظر،م.ن: ١٠٠-١٠١.
(٥٧٣) م . ن : ١٠٣ -١٠٤
(٥٧٤) فن السيرة :١٢٦.
(٥٧٥) ينظر، م . ن : ١٠٥

وتغيرها ...؛ لأنّها في عملية كشف دائم))[٥٧٦] فضلاً عن عملية الاسترجاع التي تقوم بها الذاكرة فإنّها تقوم بتنظيم الاحداث بما يتلائم مع قناعات الشخصية وآرائها من خلال عملية الانتقاء والغربلة ، التي اعتبرها بعضهم أصعب جزء في مهنة كاتب السيرة[٥٧٧] .

– شروط نجاح السيرة الذاتية وبقائها: من القضايا المهمة التي عرض لها الناقد وهي قضية نجاح السيرة الذاتية ، إذ وضع شرطا لنجاحها وبقائها ، وهو وجود الصراع إذ بقاء السيرة الذاتية مرهون بحظ صاحبها من الصراع الخارجي وشدة الصراع الداخلي [٥٧٨] ، ويبدو لنا أنه لم يضف شيئا في هذا الجانب إذ أن شروطه مستمدة من النقد الغربي للسيرة وتتمثل بعمر كاتبها وتجربته وشهرته وما قدمه واضافه في حقله ، والتحقق من مبدأ الصدق والاعتراف.

– وقت كتابة السيرة الذاتية: إن كل سيرة ذاتية في حدِّ ذاتها هي تجربة ذاتية لكل شخص من الأشخاص فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج وأصبحت في نفس كاتبها نوعاً من القلق الفني ، وأصبحت تلح عليه للإفضاء بها للناس من دون أي حرج ، فإنه لابد أن يكتب سيرته الذاتية. وإن الإنسان الذي يعجز عن أن يرى مرتبته في الحياة بكل الوضوح وليست له نظرة عميقة ونظرة خاصة في تجربة حياته لايناسب له أن يكتب سيرته[٥٧٩].

– الغاية: يرى الناقد إحسان عباس أن الغاية الأولى التي تحققها السيرة الذاتية، هي الغاية المزدوجة التي يؤديها كل عمل فني صحيح ، فالغاية الأولى هي تخفيف العبء عن الكاتب بنقل تجاربه إلى الآخرين[٥٨٠] ،والغاية الأخرى احساس الكاتب بأنه صاحب رسالة ويجب إيصالها إلى الآخرين ، ولكن الآخرين لا يقدرونها ، حينها يصبح لديه دافع نفسي لاحقاق الحق واعلاء الصدق ،((وإذا كان يحس بعظم الرسالة التي وكلت إليه، والناس من حوله لا يقدرونها ولا يأبهون بها ،كان الكشف عن دخائل الامور المتصلة بحياته ، طريقه الطبيعي إلى إحقاق الحق وإعلاء الصدق ووراء كل سيرة هذا الدافع النفسي أو ذاك))[٥٨١].

---

(٥٧٦) فن السيرة : ١٠٥ .
(٥٧٧) ينظر: م . ن : ١٠٥ .
(٥٧٨) ينظر : م . ن : ٩٨ ، و غربة الراعي بين النظرية والتطبيق، سيرة احسان عباس الذاتية من خلال كتابه فن السيرة، خلود محمد عبد الله عدوان، دار الراية ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٠ ،عمان– الاردن:٩٧ .
(٥٧٩) ينظر: فن السيرة: ١٢٠–١٢٣.
(٥٨٠) يُنظر : م . ن : ٩٩
(٥٨١) م . ن : ١٠٠.

وليست كل قصة حياة –من وجهة نظر إحسان عباس– تستحق بأن تُكتب ، وإنّما هي قصة حياة جديرة بأن تُستعاد وتُقرأ ، وتمنحه الفرصة لإظهار مقدرته الفنية القصصية ، وتريحه نفسيا ، لاستنادها إلى الاعتراف ، وتريح ضميره إذا شعر بالإثم والذنوب ، ولعل تلك العوامل وما يكتنفها من غايات من أقوى البواعث على كتابة السيرة الذاتية[٥٨٢] ، ونجد ما يتوافق مع رأي إحسان عباس ؛ إذ يرى نورثروب فراي ((ما يوحي بمعظم السير الذاتية هو دافع خلاق أي قصصي ، لاختيار تلك الأحداث والتجارب من حياة الكاتب التي تشكل معاً نسقاً متكاملاً))[٥٨٣] .

وتحدث إحسان عباس عن أن السيرة الذاتية تأثرت بعدة عوامل ترتبط بدخائل أبطال السير ونفسياتهم يراها ضرورية أهمها فقد روح الثورة والاستسلام لمصائب الحياة ، كما عند ابن خلدون، ثم الاعتراف والتعري النفسي إلا أنّ ابن حزم الأندلسي كان أجرأ الكتاب في ذلك في كتابه (طوق الحمامة) ، والعمق النفسي[٥٨٤] الذي يتمشى مع العنصرين الأولين ، ويعتمد إلى حد كبير على التوافق بين الفرد ومجتمعه ، ونظرته إلى نفسه وإلى الناس ، وهو أعمق بكثير من الفخر الفردي القائم على تعداد المآثر في الذات،وملاحظة السيئات في الاخرين .

واعتمد في تصنيفه للسيرة الذاتية في الأدب العربي القديم مبدأ (بيان الغاية)[٥٨٥] إذ صنفها على أربعة أقسام مستشهداً بمقاطع نصية من تلك السير:

أوّلاً : الصنف الاخباري : ويضم الحكايات ذات العنصر الشخصي ،سواء أكانت تسجيل تجربة أو خبرا أو مشاهدة ، وضرب أمثلة حول هذا الصنف ثم قال : ((كل واحد من هؤلاء ، أن يعرف الناس أين نشأ وكيف تعلم ، كانت قابليته للعلم ، ومن شيوخه ، وما هي الكتب التي ألفها والبلاد التي زارها))[٥٨٦] .

---

(٥٨٢) ينظر : م . ن : ١٠٠ .
(٥٨٣) تشريح النقد ، نورثروب فراي ، ترجمة محمد عصفور، منشورات الجامعة الاردنية ،عمان،(د.ط) ،١٩٩١: ٦ .
(٥٨٤) ينظر ، فن السيرة : ١١٢ – ١١٤ .
(٥٨٥) ينظر : م . ن : ١١٤
(٥٨٦) م . ن : ١١٤ .

ثانياً : صنف يكتب للتفسير والتعليل والاعتذار والتبرير: يقول : ((وكل من هؤلاء تكتنفه ظروف مضطربة فيها مجال الأخذ و الرد و القيل و القال ، فكتبوا سيرهم ليصنفوا أنفسهم أمام التأريخ ، وليبرروا ما جرى لهم من زاوية ذاتية))[٥٨٧] .

ثالثاً: صنف يصور الصراع الروحي : وقد مثل له في سيرة ابن الهيثم ، وفي (النصائح) للمحاسبي ، و(المنقذ من الضلال) للغزالي[٥٨٨] .

رابعاً : صنف يقص قصة المغامرات في الحياة[٥٨٩] : وذكر هنا إحسان عباس كتاب (الاعتبار) لأسامة بن منقذ، كما ذكر سيرة ذاتية في العصر الحديث وهي لأحمد فارس الشدياق(الساق على الساق فيما هو الفارياق) إلّا أنّه انتقد هذا الكتاب ؛لأنّ الجوانب الخيالية والمشاهد المصنوعة فيه، تتفوّق بكثير على الأمور الواقعية ، كما أنّ الاستطراد في اللغة والنقد والسخرية والحوار المصنوع فيه ، كل هذه تخرجه عن أن يكون سيرة ذاتية بالمعنى الفني [٥٩٠].

ويرى الناقد أن شخصية الكاتب تظهر من خلال أسلوبه ، فأسلوبه اللغوي وطريقة تعبيره تدل على شخصيته ومستواه الفكري ، فالسيرة فن لا بمقدار صلتها بالخيال ، وإنّما لأنّها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، ويتمايز كتاب السير بالطريقة[٥٩١].

أما الشق التطبيقي فإنَّ إحسان عباس يقف عند سيرة(حياتي) لأحمد أمين وعمل مقارنة بين سيرته وسيرة (الأيام) لطه حسين ، و وقف عند سيرة (تاجوج) في الأدب السوداني ، وهي قصة شعبية ، وحاول تطبيق ما تحدث عنه من أدوات اجرائية لكتابة السيرة في الشق النظري من كتابه ، إذ تحدث عن الدوافع في كتابة السيرة الذاتية وتحدث عن قضية الصدق والصراحة ، وتحدث عن البناء الفني لتلك السير موضحاً مواضع الخلل فيها ، و يشير إلى المواطن التي تحقق فنية النص وجماليته فنراه يكشف عن الدافع والغاية وراء كتابة أحمد أمين لسيرته قائلاً: لا بد من الشعور بمكانة الذات عند كل رجل يترجم لنفسه ؛ لأنّ الترجمة

---

(٥٨٧) م . ن : ١١٨ .
(٥٨٨) ينظر ، م . ن : ١٢٦ .
(٥٨٩) ينظر ، فن السيرة : ١٣١ .
(٥٩٠) ينظر، م.ن : ٨٥ .
(٥٩١) ينظر: م . ن: ٨٤ .

الشخصية نوع من الاعتراف، والإنسان لا يعترف إلّا في حالة نفسية خاصة ، وهذا الاعتراف لايحصل إلّا عندما يكبر الدافع إليه... فإذا ترجم الاستاذ أحمد أمين لنفسه فمعنى ذلك أن تجربة الحياة كانت عميقة الأثر في نفسه وأنّها استحقت أن تكون دافعاً للترجمة[٥٩٢] .

وتنبه إلى قضية الصدق في نقل الواقع في (حياتي) ، وهو ما أطلق عليه (الواقعية الصريحة) ، وإن أحمد أمين يتجنب الوقوف عند الذات وقفات طويلة ، ويضغط العنصر الذاتي حتى لا يتضخم[٥٩٣]، وهو مالم يجده عند طه حسين في (الأيام) الذي يرى أن فيها حديثا يدور حول الذات وكلما تحول عنها قليلاً أو كثيراً ، عاد اليها في بسط وإسهاب[٥٩٤] .

وقد استطاع إحسان عباس بمؤلفه هذا أن يصبح مرجعاً أساسياً لكل من استهوته الكتابة في نقد السيرة الذاتية إلى يومنا هذا، فلم نطلع على كتاب نقدي أو بحث في ذلك المجال إلا ووجدناه يستعين بـ(فن السيرة)، وقد فتح إحسان عباس الباب واسعاً أمام الدراسات الخاصة بالسيرة الذاتية تأليفا وترجمة .

ثالثاً : كتاب (الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث)[٥٩٥] يحيى ابراهيم عبد الدايم :

الاهداف:

من أهداف الناقد تحديد مفهوم لمصطلح (الترجمة الذاتية) المستحدث ، وهذا يتطلب الرجوع إلى التراجم التي كتبها الغربيون ، وأكد على هدفه هذا في مقدمة الكتاب [٥٩٦] ، وكرَّرهُ في الخاتمة قائلاً: ((تناولت الدراسة في الأبواب السابقة ظاهرة الترجمة الذاتية في أدبنا العربي الحديث ، وقد استهدفت الدراسة منذ البداية أن تحدِّد مدلولاً تقف منه على المفهوم

---

[٥٩٢] ينظر : م . ن : ١٣٦- ١٣٧ .

[٥٩٣] ينظر ، فن السيرة : ١٣٧.

[٥٩٤] ينظر ، م . ن : ١٣٥ .

[٥٩٥] صدر هذا الكتاب بطبعتين ، الطبعة الأولى عن دار احياء التراث العربي ، بيروت ١٩٧٥ ، و الطبعة الثانية دار النهضة العربية للطباعة و النشر ، بيروت ، (د.ت) و هو في أصله اطروحة دكتوراه نوقشت بجامعة عين شمس بمصر سنة ١٩٧٤ . و للناقد إبراهيم عبد الدايم باع في هذا المجال فقد كانت رسالته للماجستير بعنوان (الترجمة الذاتية في الأدب العربي حتى القرن الثامن عشر) .

[٥٩٦] ينظر الترجمة الذاتية في الأدب العربي : المقدمة ر.

الدقيق لهذا المصطلح المستحدث ، يعيننا على دراسة ما لدينا من ترجمات ذاتية : دراسة نقدية تحليلية))[٥٩٧] .

اقسام الكتاب:

قسم كتابه على ثلاثة أبواب ، الباب الأول قسمهُ على ثلاثة فصول أفرد الفصل الأول لبيان مفهوم الترجمة الذاتية وتطورها في الأدب الغربي ، أمّا الثاني فقد خصصهُ لرصد حركة الترجمة الذاتية في التراث العربي وحوافزها ، وأقسامها ، وجعل الفصل الثالث مخصصاً لرصد المحاولات الأولى للترجمة الذاتية في العصر الحديث ، وخصص الباب الثاني للكشف عن معالم الترجمة الذاتية في الأدب الحديث وتحدث في فصوله عن فنية الترجمة الذاتية ، وأقسامها بحسب مجالات عمل كتّابها ، وما تميزت به الترجمة الذاتية الحديثة عن مثيلاتها في التراث العربي ، وتناولت فصول الباب نماذج من السير الذاتية وتأثير انعكاس الحياة السياسية والفكرية والاجتماعية عليها.

وأفاد الناقد من دراسة إحسان عباس في كتابه (فن السيرة) ، ويمكن ملاحظة ذلك في تشابه طروحاتهما النقدية ولاسيما فيما يتعلق بالحديث عن العناصر الاتية:

-**الصدق والصراحة** ، فإذا كان إحسان عباس يرى أن مسألة الصدق هي نسبية[٥٩٨] ، فإن عبد الدايم يرى أن الذاكرة ((لها قوة خلاقة تعمل دوماً على التغيير ، وهي سلطة متحيزة، فتختار – بوعي أو بدون وعي– وقائع وذكريات تريدها ، وتنتقي أطرافاً منها ، وتطرح أطرافاً أخرى قد تكون ذات أهمية في حياة الإنسان فتلقي عليها استاراً كثيفة ، وترسبها في زاوية قصيّة مهجورة من زوايا النسيان))[٥٩٩] .

-**أما تصوير الصراع وأثره في السيرة الذاتية** ، فواضح تتبع الناقد لرأي إحسان عباس الذي يرى ((أن حظ السيرة الذاتية من البقاء منوط بحظ صاحبها نفسه من عمق الصراع الداخلي

([٥٩٧]) م . ن : ٤٦٠ .
([٥٩٨]) ينظر : فن السيرة : ١٠٥ .
([٥٩٩]) الترجمة الذاتية في الأدب العربي: ١٣٧.

أو شدة الصراع الخارجي))[٦٠٠] ، وقد اقتفى أثره حين قال: ((وحظ الترجمة الذاتية من البقاء ، يرجع في الغالب إلى مدى ما تنقله لنا من إحساس كاتبها بالصراع))[٦٠١] .

– **ويرى عبد الدايم الكشف عن الغاية** ((أمر مستحب لأنّها هي التي تحدد أطراف موضوعه وتوجهه))[٦٠٢] ، وإذا رجعنا إلى فن السيرة عند احسان عباس نرى انه صنف السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم على أساس (بيان الغاية) على أربعة اصناف كما ذكرناه سابقاً في قراءتنا لكتاب فن السيرة [٦٠٣] .

– **التأكيد على أسلوب الكاتب وشخصيته من خلال أسلوبه** [٦٠٤] ، وهذا مانوه عنه احسان عباس وسبق عبد الدايم إليه ، إذ يرى أن السيرة فن لا بمقدار صلتها بالخيال ، وإنما لأنّها تقوم على خطة أو رسم أو بناء، ويتمايز كتاب السير بالطريقة[٦٠٥].

وهناك جوانب مهمة أشار اليها عبد الدايم ومنها:

- الكشف عن أثر الوراثة وأثر البيئة وتأثير تلك العوامل الموروثة والمكتسبة على شخصية كاتب السيرة، وقد صور الكُتّاب المحدثون هذين العاملين في نصوصهم[٦٠٦].

- تصوير مرحلة الطفولة التي يرى عبد الدايم أنّها من المراحل المهمة التي لها تأثير على تكوين الشخصية في مراحلها المتعاقبة[٦٠٧] ، واعتمد الناقد نظريات علم النفس في وصفها لأهمية تلك المرحلة على حياة الانسان ؛ إذ يقول: ((فإن لتلك المرحلة تأثيراً ما في تكوين الشخصية في مراحلها المتعاقبة ، إذا ما أخذنا بما يذهب إليه علم النفس حين يرى أن الطفولة تفسر كثيراً من مظاهر الاكتمال أو الاختلال في الإنسان))[٦٠٨].

- وتصوير فترات زمنية متفاوتة ، إذ تنبه الناقد إلى عدم التزام الكتاب في ترجماتهم الذاتية ، زمناً بعينه ، فيسجلون فيها فترات تتراوح بين الطول والقصر وفق الزمن الذي كتب كل منهم ترجمته الذاتية فيه .

وتتبع عبد الدايم تلك القضايا في تحليله للنصوص السيرذاتية التي اختارها في كتابه.

---

(٦٠٠) فن السيرة: ٩٨ .
(٦٠١) الترجمة الذاتية في الأدب العربي: ١٥٢.
(٦٠٢) الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث : ١١٦.
(٦٠٣) ينظر : فن السيرة : ١١٤ .
(٦٠٤) يُنظر ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:١١٢ .
(٦٠٥) ينظر : فن السيرة:٨٧-٨٨.
(٦٠٦) ينظر ، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث : ١٢٧.
(٦٠٧) ينظر، م.ن : ١٣٢ .
(٦٠٨) م.ن : ١٣٣

ولم يفته لفت الانظار إلى الكتابات النسائية عن الذات وان كانت إشارات مقتضبة وثانوية ، إذ أشار إلى عنوانات المذكرات وأسماء الكاتبات في الهامش، كذكريات فاطمة اليوسف[٦٠٩] ومذكرات نوال السعداويّ (مذكرات طبيبة) ومذكرات (فتاة عربية) لسميرة أبو غزالة[٦١٠].

وأراد عبد الدايم ان يكشف عن مدى حجم التقليد والتأثير بين الترجمة الذاتية الغربية والترجمة الذاتية العربية ، وبالرغم من وضوح الشبه بينهما وتأثر العرب بما قرأوه عن الغرب إلا أنه لم ينتقص من دور الترجمة الذاتية العربية بمقارنتها بالغربية ، بل رأى أنّها في بعض نصوصها تتفوق على نظيرتها الغربية في الصدق والتجرد[٦١١] .

ويفضل السيرة الذاتية الحديثة على السيرة الذاتية في التراث العربي من حيث الصراحة ولاسيما فيما يتعلق بعلاقاتهم بالمرأة ، إذ يقول: ((إن الصراحة التي أنتجها كُتّابنا المحدثون ، تختلف عن الصراحة التي نجدها عند كتّاب الترجمات الذاتية في التراث العربي من حيث أن المحدثين لايجدون حرجا في التصريح بالعيوب والمثالب المتعلقة بالمترجم لذاته ، أو المتعلقة بذويه ، على نحو ماكان يتحرج القدماء ، وليس في الترجمات الذاتية في التراث ، ماكان يتضمن التصريح بأثر الجنس ، على نحو ما نجد في الترجمات الذاتية الحديثة))[٦١٢].

وعُني الناقد بقراءة السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم وقام بتصنيفها بحسب الحوافز النفسية لمؤلفيها متأثرا (بنظام الحوافز) لدى عالم النفس كارل يونج (٦١٣).

وقسم عمله النقدي بين ما هو تأريخي وتصنيف وتحليل النصوص، وقسم أنواع السيرة على قوالب قالب روائي ، وقالب تفسيري تحليلي ، وقالب وسط بين التفسير والتحليل[٦١٤] ، وصنف السير الذاتية في الادب العربي الحديث على أربعة اصناف ، متخذا" من دوافع كتّابها أساسا" في هذا التصنيف ، وهي : الترجمة الذاتية في الإطار الفكري ، والترجمة الذاتية في الإطار السياسي ، والترجمة الذاتية الروائية ، والترجمة الذاتية المصورة للعالم

---

(٦٠٩) ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:١٠٩.
(٦١٠) ينظر، م.ن:١٥٢.
(٦١١) ينظر، م . ن : ١٠٤
(٦١٢) ينظر ، م . ن : ١٠٦
(٦١٣) م.ن : ١٤٠ .
(٦١٤) ينظر : م . ن : ٨٢ .

الخاص ، وعلى الرغم من عدم تقديم الناقد تفسيراً يُسوغ اعتماده هذا التصنيف ، غير إننا نرى أنه تصنيف يقترب من البعد المضموني للنصوص أكثر من اقترابه من البعد الشكلي الذي يحسم قضية التجنيس لها .

وعدّ ما بثهُ في كتابه هذا من شروط كتابة السيرة الذاتية قوانين صارمة لا يمكن الخروج عنها ؛ لذا نرى في تحليله لنماذج النصوص التي اختارها للطفي السيد وعبد العزيز فهمي ومحمد حسين هيكل يعد أي خروج على النموذج المثالي للسيرة الذاتية نقيصة تؤخذ على كاتب النص[٦١٥] .

ونراه في الصنف الرابع الذي عنونه بـ(الترجمة الذاتية المصورة للعالم الخاص)[٦١٦] يذكر نماذج من مذكرات ويوميات ورحلات وكأنه لا يميز بين السيرة الذاتية وتلك الأنواع القريبة منها ، بالرغم من ذكره لمواصفات بعض منها التي لا تنطبق على السيرة الذاتية منها قوله في مذكرات يحيى حقي (بالهامش) (خليها على الله) : ((وكانت ذكريات "حقي" تسير على طريقة السرد التذكري دون عناية كبيرة بالتسلسل الزمني))[٦١٧] ، وقد اشترط الناقد أن يراعى التسلسل الزمني في كتابة السيرة[٦١٨] .

واهتم بالمتلقي أيضاً وأهم ما يجعله قادراً على تذوق النصوص ، فلا يمكن نسيان أن كتابة السيرة الذاتية تعني تفاعلاً وانسجاماً بين الكاتب ومن يطلع على حياته بما فيها من أسرار وخصوصية ؛ لذا ركز على ما تحدثه السيرة الذاتية من إثارة المتعة والتشويق واثارة الاحساس الجمالي لدى المتلقي[٦١٩] .

ومما سبق يتبين لنا بجلاء غلبة أسلوب النقد القديم لدى الناقد من خلال اعتماد الأحكام الذوقية والمتسرعة أحيانا مثل حكمه على بعض الأعمال بأنها خرجت عن مسار فن السيرة الذاتية لأنها لم تلتزم القواعد الصارمة لكتابة السيرة الذاتية ... كما أصدر أحكاماً على نصوص دون تسويغها مثل كتاب(سبعون) لميخائيل نعيمة أوفى ترجمة ذاتية في أدبنا[٦٢٠] إلّا أنّه لا يمكن نكران أنّ هذا العمل النقدي الذي قدمه عبد الدايم يرقى إلى مكانة عمل

---

(٦١٥)ينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث : ٩٩.
(٦١٦)ينظر، م.ن : ١٠٢
(٦١٧) م.ن : ١٠٦ .
(٦١٨) ينظر : م . ن : ١٣ .
(٦١٩) ينظر : م . ن : ٣٩ – ٤٠ .
(٦٢٠) ينظر : م.ن : ٣٧٩ .

مرجعي تأسيسي في النقد السيري الحديث ، يؤشر ذلك بوضوح لاغبار عليه اعتماده في كل الأعمال النقدية المتأخرة عنه ، ويعد هذا الكتاب أوّل عمل أكاديمي في العالم العربي يفرد لدراسة السيرة الذاتية العربية .

المبحث الثاني
قراءة في جهود ما بعد التأسيس

أولاً: كتاب (سيرة الغائب .. سيرة الآتي" :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين) للناقد شكري المبخوت.

أهداف الكتاب :

يهدف الكاتب في هذا المؤلف إلى هتك الحجب عن كتاب الأيام لطه حسين ، وإسقاط بعض أقنعته[٦٢١]، لما حظي به هذا العمل الأدبي من اهتمام كبير من لدن القراء والنقاد ، فقد انشغل النّاس بالقضايا الاجتماعيّة والثّقافيّة التي طرحها الكاتب وتلك الصّورة الّتي رسمها لنفسه ، وقد أضحى كاتباً معروفاً ومفكّراً ، ولم ينشغلوا بالقضايا الفنيّة الّتي أثارها ، ولا في الأسلوب الذّي به كتب طه حسين أيّامه التي عاشها، لذلك فقد بقي نص الأيام به حاجة إلى دراسات تحلله وتكشف عن قيمته الأدبية والجمالية وتكشف عن أشكال اللبس

([٦٢١]) ينظر سيرة الغائب سيرة الاتي :٨ .

والغموض فيه، يقول الكاتب : ((على هذا وجدنا الأيام نصاً ملتبساً وأصواتاً متداخلة ، فأردنا أن نُصغي إليه وإليها عسانا نستخلص ألوان التردد فيه وأشكال اللّبس ، وضروب التناغم بين مختلف حركاته وأصواته))[٦٢٢].

المنهج

يمكن القول إنَّ الناقد اعتمد المنهج البنيوي واستفاد من نظرية القراءة والتلقي ، ليحاول إظهار قيمة النص للقارئ ؛ إذ يقول: ((وقد دعتنا قيمة النص في عيون قرائه من جهة ، وندرة الدراسات التي تناولته بالتحليل الداخلي من جهة أخرى إلى أن ندلي فيه برأي))[٦٢٣] ، إلا أن الناقد لم يوضح الآلية التي اعتمدها في توزيع المناهج النقدية في تحليله لنصوص طه حسين، وكان يجدر به أن يشير إلى ذلك في مقدمته للكتاب.

إن عناية الناقد بمنهج القراءة والتلقي[٦٢٤] ، يتضح من عنايته بالقارئ ، وهذه العناية جعلته يقسم القراء على أصناف القارئ ((المتقبل)) و((القارئ الواقعي))[٦٢٥] ، ويقسم القراءة على ((قراءة عادية)) و((قراءة يقظة))[٦٢٦]، إذ إن القراءة لنص (الأيام) هي ليست عملية إمتاع ، بل هي فعل في التأريخ، فـ((إن تقرأ-عند طه حسين- هو أن تفعل في التاريخ))[٦٢٧].

ويرى المبخوت أن طه حسين لم يُعنى على عادة كتّاب السير الذاتية بالتعبير عن حياته الشخصية فحسب ، بل كانت غايته تغيير ما بالنفوس والعقول والمجتمع ، وعبَّر عن نص (الأيام) بأنه نص مستبد عادل ؛ إذ يجبر قارئه على أن يكون مثل بطله ولكنه يدعوه إلى ذلك في رفق ولين[٦٢٨]. وعلى هذا تكون إشكالية الكتابة في (الأيام) مفضية إلى إشكالية القراءة ؛ لذلك يجب أن يكون قارئ الأيام قارئاً يقظاً متمكناً من كشف ملابسات النص الذي وصفه بأنه كان ((مخادعاً مخاتلاً ، محيراً مربكاً مادام الإنسان المنشود مختفياً لا يصنع التاريخ على مثال الفن))[٦٢٩] .

---

(٦٢٢) م . ن : ٤٧ .
(٦٢٣) م . ن : ٧ .
(٦٢٤) ينظر، سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ١٢١ ،١٤٠ .
(٦٢٥) م . ن: ١٤٢ .
(٦٢٦) م . ن : ٤٤ .
(٦٢٧) م . ن : ١٤٢ .
(٦٢٨) ينظر : م . ن : ١٤٢ .
(٦٢٩) م . ن : ١٤٣ .

وبرز تسخير الناقد لموضوعات النص ودلالاته لخدمة قراءته التأويلية[٦٣٠] وما بعدها، مثل : موضوع السياج[٦٣١]، والزمن[٦٣٢] ، والضمير[٦٣٣]، والحجاج والسخرية[٦٣٤] .

التوصيف النقدي:

تكلم الناقد بلمحة موجزة عن السيرة الذاتية بقسميها القديمة والحديثة[٦٣٥]، في القسم النظري من دراسته، وقد أقام تصنيف السيرة الذاتية في الأدب العربي القديم على ثلاثة أصناف هي: (السيرة الشهادة) و(السيرة التربوية) و(سير المغامرات)[٦٣٦]، ويبدو لنا أن الناقد أخذ تلك التقسيمات من إحسان عباس في كتابه (فن السيرة) ؛ إذ إن الصنف الأول الذي أدرجه بعنوان (السيرة الشهادة) يضم صنفين عند إحسان عباس هما: (الصنف الإخباري)[٦٣٧]، و(الصنف الذي يكتب للتفسير والتعليل والاعتذار والتبرير)[٦٣٨] ؛ إذ يرى المبخوت إن كتاب ذلك الصنف هم ممن وضعوا سيرهم ليسجلوا ما عايشوا من أحداث ومواقف سياسية وأنّها لا تخلو من نزعة خفية للدفاع عن النفس ، ومنهم ابن خلدون في كتابه((التّعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا))[٦٣٩].

أما الصنف الثاني الذي يقع بعنوان (السيرة التربوية)[٦٤٠]، فهي تعادل ما أطلق عليه إحسان عباس في الصنف الثالث من السير الذاتية القديمة بـ(صنف يصور الصراع الروحي)[٦٤١]، إذ يرى كلا الناقدين ، أن هذا الصنف يضم السير الذاتية التي كتبها أصحابها ليصوروا فيها تجارب روحية وفكرية ، وقصدوا إقناع الناس بما امنوا به من تجارب ومعتقدات، واستشهد كلاهما بالغزالي في سيرته (المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال) نموذجاً لذلك الصنف، أمّا الصنف الثالث في كتاب المبخوت وهو (سير

---

(٦٣٠) يُنظر : م . ن : ٩٨ .
(٦٣١) ينظر م .ن:١٥٧-١٦١ .
(٦٣٢) يُنظر : م . ن : ٧٣ .
(٦٣٣) يُنظر : م . ن : ١٠٠ .
(٦٣٤) يُنظر : م . ن : ١٢٠ .
(٦٣٥) ينظر : م . ن : ٢٤-٣٢ .
(٦٣٦) ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٢٥ .
(٦٣٧) ينظر : فن السيرة : ١٢٣ -١٢٤ .
(٦٣٨) ينظر : م . ن : ١٢٧ -١٢٨ .
(٦٣٩) ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٢٥ .
(٦٤٠) ينظر : م . ن : ٢٥ .
(٦٤١) ينظر : فن السيرة : ١٣٦ .

المغامرات)[٦٤٢]، فهو أيضاً يعادل ما عنونه عباس بـ ((صنف يقص قصة المغامرات في الحياة))[٦٤٣] وهو الصنف الرابع من تصنيفاته للسيرة الذاتية في الأدب العربي القديم ، وكلاهما استشهد بأسامة بن منقذ في (كتاب الاعتبار) بوصفه مثالاً لذلك الصنف الذي يكتبه أصحابه لوصف مغامرات ومشاهدات مثيرة[٦٤٤] .

ويرى أن الأدب العربي القديم عرف سيراً ذاتية ولكن ليس بمفهومها الاصطلاحي الحديث ، ولا بمفهومها الفني المعاصر ، وإنما كانت مشدودة إلى مبادئ ثقافية عامة تتصل برؤية العربي قديما لنفسه وللكون والآلهة[٦٤٥] .

أما السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، فإن شكري المبخوت يصفها بأنّها شكل روائي ؛ لذلك كانت أسباب نشأة الرواية في عمومها مفسرة لنشأة السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث إلا إن السيرة الذاتية تروي قصة حياة فردية[٦٤٦].

وهذا الكلام لاينطبق على السيرة الذاتية العربية بشكلٍ كلّي ، فبعض السير الحديثة جاءت بأسلوب مقالي ، ومنها ((حياتي)) لأحمد أمين ، و((أنا)) و((حياة قلم)) للعقاد ، و((شارع الأميرات)) لجبرا ابراهيم جبرا.

ونعتقد أن الناقد رجح الشكل الروائي لأن السيرة الذاتية هي أقرب الأنواع إلى الرواية فبالرغم من التباين النوعي بين الجنسين إلا أنّ كليهما ينهض على قالب قصصي.

وعدَّ جيل طه حسين ومن عاصره من الأدباء وهم العقاد والمازني وتوفيق الحكيم وأحمد أمين وسلامة موسى هو الجيل الذي بدأت معه كتابة السيرة الذاتية في خطواتها الأولى، وأصدروا كتاباتهم السيرذاتية ، نظراً لما عايشوه من ظروف طبقية وفكرية وسياسية تزامنت مع الحرب العالمية الأولى ، دفعت بالإنسان المثقف إلى إعادة التفكير في وجوده ومنزلته الإنسانية ، فضلاً عمّا عايشوه من رؤى حديثة مستقاة من الغرب وتأثرهم بالنزعة الليبرالية جعلهم يتصدون للموروث[٦٤٧].

---

(١٤٢)ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٢٥ .
(١٤٣) ينظر :فن السيرة : ١٣٨ .
(١٤٤) ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٢٥ .
(١٤٥)ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٢٦ .
(١٤٦) ينظر : م . ن : ٢٨ .
(١٤٧)ينظر : سيرة الغائب سيرة الآتي:٢٨، وينظر الكتابة والوجود:٢٤ .

ويبدو أن إبراهيم عبد الدايم سبق المبخوت في نظرته إلى (الأيام) بأنّها دعوة خفية إلى ضرورة الالتقاء بالثقافة الغربية من أجل تطوير البيئة التي عانى طه حسين من تخلفها وجهلها ، وهي دعوة إلى تغيير نظرة المجتمع المتزمتة ومسلماتها في القضايا الفكرية والأدبية ، لأن هذه النظرات والمسلمات والموروثات هي العقبات نفسها التي اعترضت سبيل نضجه الثقافي[٦٤٨].

وقد حاول جيل طه حسين الربط بين الذاتي والاجتماعي من أجل غرس رؤيتهم الحديثة في الفضاء الفكري والاجتماعي المصري وهذا يجعل تطور هذا الجنس المرتبط بهياكل المجتمع وأبنيته الذهنية مرتبطا بما يبلغه نظام القيم عند العرب من درجة في الإيمان بحرية الفرد وحقه في الاختلاف [٦٤٩] ؛ إذ إن ((السيرة الذاتية لا تمثل إشكالية فنية (شكل تعبير) فحسب بل تمثل بالخصوص إشكالية ثقافية اجتماعية بما يمكن أن تقاس به بعض فضاءات الحرية في المجتمع))[٦٥٠] . ويؤكد شكري المبخوت أن هناك أمراً دقيقاً وراء رفع الأيام عن سياقه التاريخي درجات ، فهو لم يكتب للرد على الخصوم وتسوية الحساب مع التاريخ[٦٥١] وإلا لتحولت (الأيام) إلى شهادة[٦٥٢]، وهو بذلك يخالف الفكرة الشائعة لدى جل من كتب عن (الأيام) من الدارسين.

ومن الملاحظ هنا أن الناقد عزف عن تصنيف السيرة الذاتية الحديثة ، كما فعل مع نظيرتها السيرة الذاتية القديمة ، على الرغم من أن دراسته تدور في نطاقها ، والنص المختار للدراسة والتحليل هو نص حديث ، وهو (الأيام) لطه حسين .

وتمكن من التنبه للطريقة المتميزة في السرد التي استعملها طه حسين في كتابه، إذ إن البحث في (الأيام) ((لا يعني البحث عن بلاغة النص بقدر ما يعني البحث فيما يقع وراء بلاغة النص))[٦٥٣] ، لذلك فهو يصف مكونات البناء الفني لنص الأيام بـ(اللعبة) فيقول : (اللعبة السردية)[٦٥٤] (لعبة الضمائر)[٦٥٥]، (لعبة الأزمنة)[٦٥٦]، ويستعين الناقد بمصطلحات

---

(٦٤٨) ينظر : الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث:٣٩١ ينظر عندما تتكلم الذات:٢٤ .
(٦٤٩) ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٣١ .
(٦٥٠) م . ن : ٣٢ .
(٦٥١) ينظر : م . ن : ١٠٥ .
(٦٥٢) ينظر : م . ن : ١٠٦ .
(٦٥٣) م . ن : ١٠٥ .
(٦٥٤) ينظر : م . ن : ١٠٤ .
(٦٥٥) ينظر : م . ن : ٧٦ ، ١٠٤ .
(٦٥٦) ينظر : م . ن : ٦٩ .

مستعارة من معارف وفنون أخرى مثل مصطلح (صناعة)[٦٥٧] و(سياسة)[٦٥٨] ويوظفها في لغته النقدية للحديث عن محطات غنية وخصبة في النص والكشف عن دلالاته العميقة والغامضة.

وفي لعبة الضمائر ، يرى المبخوت أن وراء استعمال ضمير الغائب مقاصد وخفايا دفينة يخفيها الكاتب لا تتوضح من القراءة الاولى للنص[٦٥٩]، وان استعمال هذا الضمير يؤسس إلى إغراء القارئ ودفعه إلى فهم مقصدية الكاتب[٦٦٠] .

ومع اختلاف نظرة الدارسين في دلالة ضمير الغائب في نص الأيام[٦٦١]، فإن المبخوت يرى بأن القول بالالتزام بضمير المتكلم في النص السيرذاتي بعدِّه الأقرب إلى الذات ، هي فرضية ساذجة بالرغم من فائدتها إجرائياً[٦٦٢]، لأنَّ طه حسين عندما يخفي ذاته خلف ضمير الغائب فإنه يوجه نصه للقارئ الذي يصل إلى الدلالة التي تقف خلف هذا الضمير، وليس إلى القارئ الذي يجنس النصوص استنادا إلى ضمير السرد فيها[٦٦٣] . وهناك من النقاد من يذهب إلى ما ذهب اليه المبخوت فيرى ان الابتعاد عن ضمير المتكلم في السرد السيري هو تحقيق للمصداقية ، وتقمص الشخص الذي كانت هيأة كاتب السيرة عليه قبل كتابتها[٦٦٤].

وقد أولى الناقد الروابط الزمنية[٦٦٥] في نص (الأيام) أهمية كبيرة لما تتركه من دلالات عميقة تضمنتها الأحداث بما يحقق انسجاماً مع البناء الفني المتكامل في النص، فالإشكالية الزمنية في كتاب الأيام تتمثل بالتنافر الزمني بين زمن الخطاب وزمن الخبر ، وقد فصل الناقد فيها بعنوان (لعبة الازمنة) ليبين ((الحضور القاهر للذاكرة وهي ذاكرة قادرة على اختراق الحواجز الزمنية في الفصل الواحد))[٦٦٦] ، ويُعلِّل الناقد ذلك التلاعب بالزمن

---

(٦٥٧) ينظر : م . ن : ٤٨ .

(٦٥٨) ينظر : م . ن : ١٠٥ .

(٦٥٩) ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٩٣ .

(٦٦٠) ينظر : م . ن : ٩٩ .

(٦٦١) ينظر، فن السيرة : ١٣٢، وينظر، الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث: ٤٢٤ ، وينظر، البوح والترميز القهري:١٨٩ .

(٦٦٢) ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ١٠٠ .

(٦٦٣) ينظر : م . ن : ١٠٠ -١٠٤ .

(٦٦٤)ينظر : البوح والترميز القهري:١٨٩ .

(٦٦٥) يقصد بالروابط: العلاقات التركيبية التي تنتظم في نطاقها المواقع الزمنية والمقاطع السردية تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٨٩.: ١٣٦

(٦٦٦) البوح والترميز القهري : ٧١ .

الحاصل في الفصول المتعاقبة ، أو داخل الفصل الواحد يرجع إلى الصبغة القصصية للنص كونه شكلاً روائياً وليس نصاً تاريخياً لا يتطلب الترتيب المنطقي للأحداث[٦٦٧].

ومن التقنيات التي رصدها الناقد في تحليله لنص الأيام فضلاً عن تقنية الاسترجاع الأساس الذي يقوم عليه السرد السيرذاتي ، هي تقنية الاستباق وهي تقنية ((لا تتضمن مجرد وظيفة الاخبار بل هي "فاتحة" قوامها إيحاء يشف عن دلالته في النص بعد ذكره))[٦٦٨]، وتقنية الحذف التي اسماها ((الأزمنة المضمرة))[٦٦٩] ، وهي مسكوت عنها في النص، وطه حسين لا يُحرف الزمن باستعمال التقنيات الزمنية حسب ، بل يعمل على جمع لحظات زمنية متباعدة لصلات غرضية بينها عمادها التماثل والتشابه ، وتلك اللحظات المتباعدة تجمعها فضاءات موحدة مثل البيت والمسجد ومجالس العلماء ، لذلك فهو يحدد الزمن بالأمكنة . ويسخر الناقد ذلك الخرق الزمني لخدمة قراءته التأويلية، فيستنتج أن ذلك يجعل القارئ يستخلص الدلالات الاساسية التي تضمنتها الاحداث ، فقد تناسى الراوي لبعض الذكريات وحذفها ليحقق انسجاما فنيا لم يكن ليحققه لو خضع لمنطق التعاقب الزمني ، وهذا يعني ان الماضي خضع للانتقاء تحت سلطة الذاكرة وسطوة الحاضر بما ينسجم مع فنية النص بما لا يسمح فيه بتتابع الأحداث وتراكم الوقائع[٦٧٠].

أما الشخصية وهي عنصر مهم في البناء الفني وعماد النص السيرذاتي وضرورة يقتضي تحليلها والتركيز عليها في إثبات تحقق التطابق ، فقد أولاها الناقد أهمية كبيرة تفصح عن وعيه لقراءة صورها المتنوعة والمتطورة واختلاف رؤاها وافكارها في نص سبك بهذا الدهاء والحيلة وهو نص (الأيام) ، فقد حدد الناقد الشخصية الرئيسة في النص في صورتين هما صورة (الصبي) وصورة (الكهل) ، وتلك الشخصية الرئيسة واقعة تحت تأثير ضغطين ضغط واقعيتها وضغط اندراجها ((في شكل روائي له خصائصه التخييلية))[٦٧١]، وهو هنا يجتهد في تحديد السمات الدلالية المستخلصة من الشخصية الكائنة في النص بثلاث علامات توضح مراحل تطورها وانتقالها في النص ، وتتمثل تلك العلامات بالآتي :

١- التكرار الذي يمثل حضورها الدائم في النص.

---

(٦٦٧) *ينظر ، سيرة الغائب الآتي..سيرة الآتي : ٧٣ .*
(٦٦٨) *م.ن: ٧٠-٧١ .*
(٦٦٩) *م . ن : ٧٢ .*
(٦٧٠) *ينظر : م . ن : ٧٤ .*
(٦٧١) *م . ن : ٧٧ .*

٢- التحول الذي يمثل تحول الشخصية من صبي يعاني الفقر والعمى إلى رجل عالم وحافظ للقرآن.

٣- المخالفة وتتمثل بمقابلة الشخصية مع الشخصيات الأخرى ، فهو أعمى قد يسخر منه الآخرون من حوله ، إلى رجل يصل مرحلة في العلم والمعرفة إلى درجة تجعله يسخر من علماء الازهر وشيوخ القرية[٦٧٢].

أما عن تجنيس الأيام واختلاف النقاد والدارسين في ذلك فإن شكري المبخوت يرى أن (الأيام) ((تروي قصّة حياة حقيقيّة في شكلّ روائيّ له خصائصه التخيّليّة))[٦٧٣]، وحتى يثبت سيرية النص المختلف عليه ، بحث في الكشف عن الميثاق السيرذاتي وركز بشكل أساس على مقصدية الكاتب[٦٧٤] إذ عنون به المبحث الخامس من الباب الرابع. ويرى مبخوت أن مقصدية طه حسين من وراء تأليفه للأيام هي ((الإيقاع بالمتقبل))[٦٧٥]، ويبدو أن المبخوت أراد بـ(المتقبل) القارئ والناقد المعاصر المتقبل للجديد ،لاسيما وان الفترة التي ظهر فيها كتاب الأيام هي فترة التغيير في مسار الأدب والابتعاد عن المورث والقديم، وكان طه حسين مع من عاصروه من أدباء عصره منشدين إلى الجديد ومتأثرين بالآداب الغربية، لاسيما أن طه حسين قد حصل على شهادته الجامعية من فرنسا، وكان لهذا الأثر في توجه ثقافته .

فطه حسين- بحسب ما يراه الناقد- لم يكتب الأيام للقارئ الذي لا يستسيغ غير الحقائق وكل ما هو مألوف وبديهي، وليس له القدرة على فك شفرات النص وخفاياه ، وإنما كتبها إلى القارئ (المتقبل)[٦٧٦]، بحسب ما سمّاهُ المبخوت ، الذي يتمكن من استقبال أفكار النص وفهم قضية الكاتب.

وكانت مقصدية طه حسين تتجه إلى تشجيع المتلقي وطلابه في التعليم الثانوي على القراءة وتقبل التغيير انسجاما مع متطلبات هذا التغيير في مطلع القرن العشرين ، ((وما هذا

---

(٦٧٢) *يُنظر : سيرة الغائب سيرة الآتي : ١٧٩ .*
(٦٧٣) *م . ن : ٧٧ .*
(٦٧٤) *م . ن : ١٢٩ .*
(٦٧٥) *م . ن : ١٠٥ .*
(٦٧٦) *م . ن : ١٠٥ .*

القارئ الذي نحت طه حسين ملامحه وحمله على تجديد عاداته في القراءة بربط التنوير بالتغيير إلا وجه أدبي لإنسان تاريخي منشود : إنسان العقل والعلم والإرادة القوية))[٦٧٧] .

وبحث المبخوت في موضوع التطابق في القسم الثاني من الدراسة[٦٧٨]، الذي هو عنصر أساس في تحقق المشروع السير ذاتي للنص ، ولما كان طه حسين يريد كتابة واقعه الشخصي في قالب فني فهو به حاجة إلى توظيف ذلك الواقع بما يتلائم مع الفن القصصي ، فهو لا ينقل الواقع كما حدث بالفعل وإنما ينقله محاكاة تجعل من القناع ذات أهمية أكبر من أهمية الوجه الحقيقي للشخصية، لذلك يرى شكري المبخوت أن هناك ((مسافة جمالية" يخلقها النص بين حقيقتين: حقيقة اتصال المؤلف فعليا بالراوي والشخصية وحقيقة انفصال الجميع نصيا))[٦٧٩]، وتبلغ الصلة بين الراوي والبطل أحيانا إلى حد التماهي والتطابق[٦٨٠]، ويعلل الناقد سبب هذه اللعبة السردية في خلط الأوراق ، والجمع بين التماهي والتطابق قائلاً: ((ولا تفسير عندنا لأسرار الراوي إلى البطل إلا أنهما شخص واحد يتقاسم دورين مختلفين متكاملين، وهو اختلاف اقتضاهما القص من مراوحة بين خبر وخطاب وهو تكامل اقتضاه ما للسيرة الذاتية من اتحاد ضروري بين المخبر والمخبر عنه))[٦٨١]، و إن قناع الراوي هنا يترك النص ملتبسا ، فلا تأتي عليه الأنظار مهما تكن ثاقبة[٦٨٢]، ولأن طه حسين يؤكد أن الأدب يجسد الموقف الشخصي للأديب ويركز على الذات في كتابة نصه (الأيام)[٦٨٣]، فإن الناقد يستخلص من ذلك أن (الأيام) ((سيرة ذاتية واقعة في حيز فاصل بين الواقع المفترض والواقع المنجز قصصياً))[٦٨٤]، فطه حسين لا يعنيه ما توصل إليه الدارسون في تجنيس نصه سواء أكان سيرة أم رواية ، لأن الدافع بالنسبة له هو التأثير لا التعبير[٦٨٥]، ثم حمل القارئ على التغيير بعد تأثره بالنص ، لأن طه حسين صاحب مشروع فكري فهو لا يكتب للإمتاع المحض ، إنما يحاول إقناع القارئ بأفكاره[٦٨٦] .

---

(٦٧٧) *سيرة الغائب سيرة الآتي : ١٤٣ .*
(٦٧٨) *ينظر : م . ن : ٨٧ .*
(٦٧٩) *م . ن : ٩٩ .*
(٦٨٠) *م . ن : ٨٩ .*
(٦٨١) *م . ن : ٩٠ .*
(٦٨٢) *ينظر ، م . ن : ٩١ .*
(٦٨٣) *ينظر ، م . ن : ١٠٧ .*
(٦٨٤) *م . ن : ١٣٥ .*
(٦٨٥) *ينظر ، م . ن : ١٠٦ .*
(٦٨٦) *البوح والترميز القهري : ١٤٣ .*

وقد أفرد الناقد الباب الرابع من القسم الثاني من الدراسة المعنون (قراءة في كتاب "الأيام" لموضوع ((سياسة الكلام في الأيام))[٦٨٧]، واهتم في هذا الباب بالكشف عن ((الكيفية التي طور بها طه حسين الكلمات والمدلولات في نصه لإبلاغ القارئ محتوى رسالته ، فهذه السياسة تتضمن البرنامج الذي وضعه صاحب الأيام فاصطفى له طرائق في السرد مخصوصة وجعلها تضمر المقاصد العامة، ومن ثمة التساؤل عن سياسة الكلام في "الأيام" لا يعني البحث في بلاغة النص بقدر ما يعني البحث فيما يقع وراء بلاغة النص من دوافع خفية ومقاصد عامة تكشف عنها أشكال انتظام الخطاب أو بعض تلك الأشكال))[٦٨٨] ؛ وإذا تأملنا كلام الناقد إننا نستشف منه أن طه حسين استطاع أن يحقق تفرداً وتميزاً في نصه يتمثّل في رغبة واضحة لديه في الاستعلاء على الموقف والعالم الذي يتحدث عنه في نصه الأيام ، فهو يتعمّد الفصل بين شخصيّة المؤلّف و شخصيّات الكتاب مازجا مزجا ذكيا بين آليات السيرة الذاتية وآليات الرواية وبين الواقع والخيال وبين الوقائع والمشاعر وبين الراحة والتفاخر والألم والحرمان ، كل ذلك جعله يعرض للقارئ بأسلوب شيق مراوحا بين افكاره الميالة للتحديث وصلته بالتراث والافكار الثقافية في سياقها التاريخي، ((وما اختراق طه حسين لقواعد السيرة الذاتية – في هذا الجانب على الأقل – إلا دليل على انه كان يقصد إلى الابتداع وجعل كتابه يغري ويتمنع فيحافظ على بعض سره دون أن تهتكه الدراسات مهما تكاثرت))[٦٨٩] .

واجتهد الناقد في الباب الثالث من القسم الأول من الدراسة المعنون بـ(("الأيام" وقضية الجنس الأدبي))[٦٩٠] ، في استعراض ومحاورة جهود الدارسين لعمل طه حسين "الأيام" ، وهو بهذا الموضوع لا يقوم باطلاع القارئ على الآراء النقدية التي خاضت في هذا النص فحسب ،وإنما يحاول تقويم بعض الآراء وتصحيحها ، ويبدي ردوده عليها ، ويقدم أدلته على ما يفترضه أو يضيفه في قضية ما ، ومما يلفت انتباهنا هنا قضية نقده لعبد المحسن طه بدر ، الذي يرى أن نص "الأيام" يحمل صفات السيرة والرواية معا أو يقترب حينا من الرواية وحينا من السيرة ، يقول شكري المبخوت: ((وتبدو لنا مشكلة طه بدر عائدة إلى أخذه بتصور قليل الحظ من الدقة في شأن المميزات بين الرواية والسيرة الذاتية .

---

(٦٨٧) *سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ١٠٥ .*
(٦٨٨) *م . ن : ١٠٥ .*
(٦٨٩) *م . ن : ٤٣ .*
(٦٩٠) *م . ن : ٣٢ .*

فمفهوما "الرابطة الخارجية" و"الرابطة الداخلية" لا يفيدان كثيرا في هذا الباب .ثم إن التحليل الداخلي للرواية والسيرة الذاتية يثبت أن الفرق بينهما – نصيا – يكاد يكون منعدما فلا بد من التفكير في معايير أخرى))[٦٩١]، ونحن نتفق مع الناقد في حكمه على عبد المحسن طه بدر ، فهو من جهة لا يريد أن يظلم الكاتب بتجنيس نصه على انه رواية، ومن جهة ثانية يرفض ان تكون (الأيام) سيرة ذاتية للمؤلف لعدم وضوح الميثاق وقانون التطابق وخرق طه حسين لقواعد السيرة الذاتية، بالرغم من قوله: إن الرابطة التي تربط بين الصور والمواقف تحيل إلى خارج النص[٦٩٢]، وبذلك فإن حكمه لا ينم عن دقة في التفتيش في ثنايا النص ، ونحن نجد ان ذات المؤلف حاضرة بما يستعيده من ماضيها مسلطا عليه وعي الحاضر المتمثل بـ(زمن الكتابة) ،وهذا يقود إلى تحقق المطابقة التي تقوم عليها السيرة الذاتية والتي تختلف عن المشابهة التي تقوم عليها الرواية، اما استعماله لضمير الغائب فلأنه يسرد ماضيا انقضى لصبي جسد طه حسين ألمه ووحدته ووحشته، ومجتمع رفض واقعه المعدم والمتخلف فاراد وصفه بصدق من وجهة نظر راهنة لحظة الكتابة فجاء أسلوبه أسلوباً حراً بتميز حسه الأدبي والسيرذاتي .

وفي حقيقة الأمر إننا عندما نراجع كلام عبد المحسن طه بدر عن السيرة الذاتية نجد انه تناولها عرضا من باب مساهمتها في تطوير الرواية ، لذلك فهو لم يهتم بالسيرة الذاتية بحد ذاتها بوصفها جنسا أدبيا مستقلا ، وتحدث عن النصوص المؤسسة للسيرة الذاتية مع بداية القرن العشرين ، والظروف التي هيأت لكتاب تلك النصوص المناخ الثقافي لأحداث التحول الفكري في مصر والبلاد العربية فاستثمروا سيرهم الذاتية في فنهم الروائي[٦٩٣] .

أما المبخوت فهو يسير على خطى عبد المحسن طه بدر ، لأنه ينظر إلى السيرة من باب علاقتها بالرواية ، ودليل ذلك قوله: ((تظل السيرة الذاتية على ما فيها من خصائص شكلا روائياً))[٦٩٤] ، وتطرق أيضاً إلى ما تطرق له عبد المحسن طه بدر عن الإنتقالة الثقافية التي شهدتها مصر والتي أدت بدورها إلى التأسيس لجنس السيرة الذاتية [٦٩٥] .

---

(٦٩١) سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٣٤ .
(٦٩٢) ينظر، تطور الرواية العربية الحديثة في مصر:،١١٢– ٢٩٧ –٣٠٦.
(٦٩٣) ينظر، م.ن:٢٧٣–٢٨٧، و الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب:٢٤ .
(٦٩٤) سيرة الغائب .. سيرة الآتي : ٢٨ .
(٦٩٥) ينظر : م . ن : ٢٨ .

ويركز الناقد في دراسته لنص "الأيام" على الفصلين الأول والعشرين ، إذ يقول: ((وتشف القراءة المقارنة بين بداية الأيام ونهايتها عن صورتين للبطل مختلفتين ،وهذا يعني مبدئيا أن المسار القصصي اتبع خطا متدرجا تحولت فيه الشخصية .فصورته الأولى كانت من صباه وصورته الأخيرة من مرحلة اكتهاله))[٦٩٦] .

ويُسوغ الناقد تركيزه على هذين الفصلين فيقول: ((قصدنا الآن ينحصر في بيان الترابط العميق بين فصول "الأيام" من خلال البداية والنهاية فلانتقال من الفصل الأول إلى خاتم الفصول إنما هو انتقال من حال إلى حال ومن صورة إلى صورة ومن صبي إلى كهل ومن ماضي إلى حاضر))[٦٩٧]، ونحن لا نوافق الناقد في اختزاله لثمانية عشر فصلاً لأجل إعطاء فكرة عجولة ومختصرة عن حياة الشخصية في بداية تكوينها ثم صورتها المغايرة المتناقضة في الفصل العشرين والأخير ، وإن افترضنا أن الناقد استنتج أن علاقة التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية المركزية (الصبي/الكهل) تتضح أكثر في هذا الفصل بعد أن تعسر تأكيدها في الفصول الأخرى، بما يجعل الفصل الأخير ذا أهمية قصوى بالنسبة للباحث، إلا أننا لا نراه سببا كافيا للتقليل من أهمية الفصول الأخرى.

و إننا لا نجد مسوغا في تركيز الناقد على موضوعة "السياج" من بين العبارات والموضوعات التي وردت في "الأيام" على الرغم من محاولة الناقد تسويغ ذلك ، إذ يعد دلالة "السياج" أوسع من دلالته معجمياً أو قصصياً في سياق تتابع الأخبار في الخطاب. وإن الراوي كرر عبارة السياج في أكثر من زاوية في النص فبدت متضمنة لطاقة دلالية إضافية[٦٩٨] .

ولاحظنا أن الناقد لم يوضح دواعي اختياره للفصل الأول من كتاب "الأيام" من دون باقي فصول الكتاب العشرين لدراسته في القسم الثالث من الكتاب المعنون ((انموذج تطبيقي الفصل الأول من كتاب الأيام)) ويكتفي بالإشارة إلى الدراسات النقدية التي سبقته في دراسة هذا الفصل من الأيام[٦٩٩]، وأنه يعود للتركيز على موضوعة السياج في دراسته لهذا الفصل ويسوغ ذلك بقوله: ((إن السياج في تقديرنا درة الفصل الأول وواسطة العقد فيه إجمالا وهذا

---

(٦٩٦) م . ن : ١٥٦ .
(٦٩٧) م .ن : ١٥٦ .
(٦٩٨) ينظر : م . ن : ١٥٧ .
(٦٩٩) ينظر : سيرة الغائب .. سيرة الآتي : هامش صفحة : ١٤٨ .

تفصيله :أن بروز ذكرى السياج يعني تبلور ما اسماه أهل العلم بالسيرة الذاتية "أسطورة الذكرى الأولى"))[٧٠٠] .

ومما لاحظناه أن مبخوت لا يتجنب الوقوع في إعادة المضامين تحت مسميات مختلفة ، فهو في الموضوع الثاني المعنون (صيغة التفضيل)[٧٠١]، من الباب الرابع المتضمن (نحت النموذج) يتحدث عن مقصدية الكاتب ، في حين كان بإمكانه أن يتحدث عن ذلك في الموضوع الذي خصصه لمقصدية الكاتب، وهناك تداخل بين الباب الثالث المعنون بـ(لعبة الضمائر)[٧٠٢]، والباب الخامس المعنون بـ(الوجه والقناع قول في استحالة السيرة الذاتية)[٧٠٣] من القسم الثاني من الدراسة ،فهو تكرار للحديث عن التطابق بين الأنوات الثلاث في نص (الأيام) وبذلك تصبح هناك إعادة للمضامين في كتابه.

تقسيم الكتاب

لم يعتمد الناقد طريقة منظمة لتبويب مادة كتابه ؛ إذ نراه يعتمد في تقسيم أجزاء كتابه الرئيسة على طريقة الأرقام الرومانية (I-II-III)، ثم يتبعها بالأبواب ،(الباب الأول، الباب الثاني ،الباب الثالث...) ثم يقسم تلك الأبواب باستعمال طريقة الترقيم باللغة الإنجليزية (...3-2-1) ويقسم تلك الأقسام على فروع أخرى باتباعها ترقيماً جديداً بالطريقة الآتية: (4-1 ثم 4-1-1 ثم 4-1-2) ، وتلك الطريقة بالتقسيم تجعل من يُقدم دراسة في كتاب (سيرة الغاب .. سيرة الآتي) لشكري المبخوت يواجه صعوبة في تسمية أقسام الكتاب ، فلا يجد أمامهُ إلا أن يقول القسم الأول من الدراسة والقسم الثاني...وهكذا ثم تسمية الأقسام المتفرعة عن الأبواب والمقسمة على شكل أرقام انكليزية ، المبحث الأول من الباب الثاني والمبحث الثاني من الباب الثاني ...وهكذا

وبما أن أبواب الكتاب صغيرة الحجم لذا كان يتوجب على الناقد بتسميتها فصولاً ، ثم يقسم تلك الفصول على مباحث أو أن يرقم موضوعات الفصل بـ(أوّلاً ، ثانياً، ثالثاً، رابعاً...) وهكذا ؛ لأن الأبواب تتسع لعدد أكبر من الصفحات .

ويعد شكري المبخوت من النقاد الذين قدموا دراسة نقدية محكمة تضاف إلى مجال النقد السيري محققة تطوراً في هذا المجال ، فقد انفتح وعي هذا الناقد على الدراسات النقدية

---

(٧٠٠) م . ن : ١٦ .
(٧٠١) ينظر : م . ن : ١٠٩ .
(٧٠٢) ينظر : م . ن : ٧٦ .
(٧٠٣) ينظر : م . ن : ١٣٢ .

الغربية التي عُنِيَت بنقد السيرة الذاتية مثل دراسة الناقد الفرنسي فيليب لوجون والناقد جورج ماي ، و انفتح على الدراسات النقدية العربية التي سبقته إلى دراسة السيرة الذاتية ، فكان هذا النتاج المهم الذي لا غنى لدارس السيرة الذاتية من الاطلاع عليه .

ثانياً : كتاب (تمظهرات التشكيل السيرذاتي–قراءة في تجربة محمد القيسي السيرذاتية) * للدكتور محمد صابر عبيد .

الأهداف:

تمثلت أهداف الناقد في كتابه هذا بالعناية في منطقة السيرة الذاتية بأنماطها المختلفة التي عانت من قلة الإنتاج الكتابي في النقد العربي الحديث[٧٠٤] ، وتنطوي المقدمة على إشارات ذات قدر كبير من الأهمية في الكشف عن أسباب القراءة ودوافعها ، وتقديم قراءة موجزة عن الدراسة ، ويبدو أن الناقد كان متابعاً لمُنجز الأديب محمد القيسي الذي يكتنز بأشكال سيَّرية ، وأساليب متنوعة لم يلتفت إليها الدارسون قبله ، فحاول أن يُقدم مقاربة نقدية مستفيضة عن هذا المنجز في كتابه (تمظهرات التشكيل السيرذاتي :قراءة في تجربة محمد القيسي الذاتية) ، أمّا سبب اختياره لدراسة أعمال القيسي فيذكره في المقدمة قائلاً: ((وقد

** صدر الكتاب عن اتحاد الكتاب العرب ، دمشق سنة ٢٠٠٥ ، وقد صدر قبلهُ كتاب (السيرة الذاتية الشعرية قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة) الصادر عن دائرة الثقافة والاعلام في الشارقة ، لسنة ١٩٩٩.*

(٧٠٤)ينظر ،تمظهرات التشكيل السيرذاتي :٥

انفرد من بين شعراء الحداثة بإنجاز سير ذاتي متميز تمثل بمجموعة من الكتب السيرذاتية التي تتنوع في نظمها وأشكالها، من السير الذاتية الشعرية إلى السيرة الذاتية، والسيرة الذاتية الثقافية والفكرية، وانتهاءً بالرواية السيرذاتية، وهو إنجاز شديد الأهمية يوازي في –نظرنا– إنجازه الشعري المهم أيضاً))[٧٠٥] .

وكانت من أولى اهتمامات الناقد في مجال نقد السرد** يتمثل بالنقد السيري ، فكان شغوفاً في دراسة وتحليل النصوص السير ذاتية لما استهواه هذا الفن الأدبي ، وأصبح من أقرب الفنون إلى نفسه كما صرح هو بذلك قائلاً في مقدمة كتابه: ((على الصعيد الشخصي كُنا وما زلنا مولعين بكتب السير الذاتية والغيرية وما استحدثت من أنماط سيرية أخرى))[٧٠٦] .

خطة الكتاب

وتقسمت الدراسة على أربعة فصول تناول الناقد في الفصل الأول كتاب (الموقد واللَّهب : حياتي في القصيدة) ، تحدث فيه عمّا عنونهُ بـ(السيرة الذاتية الشعرية) ، والفصل الثاني تناول فيه كتابي القيسي (كتاب الابن –سيرة الطرد والمكان) و(عائلة المشاة) وركزت فيه الدراسة على أسلوبية الكتابة السيرذاتية .

أما الفصل الثالث فقد ركز فيه الناقد على مرونة الميثاق السيرذاتي في منجز القيسي (أباريق البلور) .

والفصل الرابع قدَّم فيه الناقد أفكاره ورؤاه انطلاقاً من علاقة فنين هما: السيرة الذاتية والرواية ، وكيفية التعامل معهما تحت ما اصطلح عليه بـ(الرواية السيرذاتية) ، واختار كتاب

---

(٧٠٥) م.ن:٦

*** الناقد محمد صابر عبيد اهتم بنقد السرد كما اهتم بنقد الشعر وكان لهذا الاهتمام سبب أرجعه الناقد إلى ان الفنون الادبية اصبحت قريبة ومتداخلة فيما بينها فقال: ((لقد تركزت دراساتي بالدرجة الاساس على قضايا الشعر وظواهره ونصوصه لعلاقة ذلك بتخصصي الأكاديمي الدقيق، لكنني حين وجدت انه لايمكن فصل الاجناس الادبية عن بعضها .على مستويات كثيرة ادركت ان علي ان اوسع مساحة عملي النقدي كي يشمل الاجناس الأخرى ، وهكذا قاربت معظم فنون السرد وانواعه)) لقاء مع مجلة قاب قوسين ، الموقع الالكتروني www.kabkawsain.com. .*

(٧٠٦) تمظهرات التشكيل السير ذاتي:٥

(الحديقة السرية) لبيان جماليات هذا التلاقح و كشف الإلتباس فيه ، وفك خيوط هذه اللعبة [٧٠٧] .

منهجه

أما منهج الكتاب فإن الناقد ينطلق من رؤية حداثية تبدأ من النص وتنتهي به ، فهو يعتمد منهجي البنيوية والسيميائية في كتابه (تمظهرات التشكيل السيرذاتي) فقد عمل على الكشف عن الجوهر في داخل النص في بنيته العميقة على النحو الذي يجعل النظر النقدي إلى هذا الداخل فرصة لإظهار إمكاناته الجمالية[٧٠٨] ، مع ما يمتلكه من وعي بالنصوص يتناغم مع إجراءاته التطبيقية وطرائقها التعبيرية ، مستعيناً بثقافته ولغته النقدية؛ إذ يقول : ((رؤيتي النقدية عموماً هي رؤية حداثية ، تتعامل مع الأجناس والظواهر والنصوص على أساس خصوصيتها من جهة ، وعلى أساس المنهج النصي الذي استخدمه داخل هذه الرؤية ، والذي لا يتلبث على نحو كلّي داخل فكرة النصوصية ، بل يخضع هذه النصوصية لذوقي ومزاجي وثقافتي وحساسيتي ولغتي النقدية))[٧٠٩] .

ويهدف الناقد من خلال التحليل النصي الكشف عن المعاني العميقة الكامنة في النص موضوع القراءة ، مع عدم تجاوز المنهجيات الأخرى في العملية الإجرائية .

التوصيف النقدي:

عَمِل الناقد في كتابه (تمظهرات التشكيل السيرذاتي–قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية) على التقاط الرؤية السيرذاتية في الأعمال الإبداعية لمحمد القيسيّ، التي انتخبها للدراسة والتطبيق ، والتي صرّح قسم منها بسيرذاتيتها، ولم يُصرّح القسم الآخر، لكنهّ استطاع بجهوده النقدية استنطاق تلك النصوص على وفق مقاربة سيرذاتية ، وإظهار المنطق السيرذاتي.

---

(٧٠٧) م . ن : ١٥٦

(٧٠٨) ينظر، المغامرة الجمالية للنص الأدبي –دراسة موسوعية–:٥٣

(٧٠٩) لقاء مع محمد صابر عبيد ،اسماعيل البويحياوي ، مجلة "قاب قوسين" ،الخميس ٢٠١١/٣/٢٤ ، الموقع الالكتروني www.kabkawsain.com.

إن الإشكالية تبرز من خلال التعامل مع أنواع فيها من التقارب الكثير طبعاً مع الفوارق النوعية بين السيرة والرواية والقصة ، ولكنها جميعها أنواع تنتمي إلى عائلة السرد ، الأمر الذي يتطلب رؤيا شاملة تستنفر كل مايملكه الناقد من ثقافة وخبرة وهو يهم بقراءة نصٍ ما.

وقد اختار تجربة الأديب محمد القيسي السيرية على تنوع أشكالها ، والحداثة في صياغة نصوصها لقراءتها نقدياً في كتابه هذا .

إن تلك الرؤية الحداثية التي انطلق منها الناقد لها تأثيرها في اختيار النصوص لا تحظى بالشهرة الكبيرة ، ولها تأثيرها في قضية تطوير المصطلحات بما يتماشى مع العملية النقدية، وهو ما وجدناه في المصطلحات التي اجترحها لتطوير فن السيرة ، وإضاءة جوانب كانت مظلمة منها ولم يلتفت اليها الدارسون قبله .

ورأى الناقد أن تنوع التجربة السيرذاتية عند القيسي في أنماط مختلفة ، وتوزّعها على كتب كثيرة واتجاهات سيرية متنوعة ، أكدت صعوبة التمييز بين السيرة الذاتية والأنواع القريبة منها[٧١٠] .

من الملاحظ أنّ الناقد تمكن من رصد ومراقبة التحولات التي أحدثتها نصوص القيسي في مجال الأدب السيرذاتي والتي أدت بدورها إلى تطور الفكر النقدي والثقافي داخل مجتمع القراءة ، وهو ما يجعل من جهوده النقدية وما توصل إليه من رؤى ونظريات في تحليله للنصوص المنتخبة مادّة حيّة وضعت المشهد الأدبي العربي أمام القُرّاء ، واجتهدت في البحث عن روح المغامرة في النصوص كي تُظهر مواضع الجمال والإبداع فيها.

يتحدث الناقد في الفصل الأول من الكتاب عن النوع السيري الذي اصطلح عليه في معجمه (السيرة الذاتية الشعرية)[٧١١] في قراءته لكتاب (الموقد واللهب – حياتي في القصيدة) للأديب محمد القيسي ؛ إذ تمكن الناقد من ملاحظة مايُميز القيسي عن غيره من شعراء الحداثة في كتابة هذا النوع السيري الجديد ، وأظهر عناية القيسي بالخصائص الأسلوبية ، التي تقف في مقدمتها درجة التصوير والإبداع بما يحقق جمالية السيرة وخصوصياتها ، وإعلاء شأن تجربته الشعرية ، ووقف عند مايسعى القيسي لتقديمه الى القارئ بطريقة مغايرة ، وطريقة سرد متمردة على المألوف والشائع بما تُتيح له التعبير بحرية أكثر من جهة ، و يُثير إشكالات في تحديد النوع الكتابي عند المتلقي الذي لايسمح بتغيير الشكل والتنازل عن

---

(٧١٠) ينظر، تمظهرات التشكيل السيرذاتي ٧٠

(٧١١)ينظر ، م.ن : ١٣٦

صرامة الضوابط وقيد القوانين من جهة أُخرى ، فالكاتب لايلتزم بالقواعد التقليدية لكتابة التجربة الشعرية [٧١٢]،

ومن طرق التجديد التي اعتمدها الأديب محمد القيسي هي رسم صورة الذات من خلال الآخر ، أما أشكال ذلك الآخر فيبينها الناقد وفق الطريقة الآتية [٧١٣]:

أ- الاخر ، المتلقي .

ب- الاخر ،المرثي .

ت- الاخر ،السلطة .

ث- الاخر ، الناقد .

والناقد لايُعارض هذا التجديد في اسلوبية الكتابة السيرية لهذا النوع ، بل بالعكس يرى أن ذلك يكشف عن قدرة الكاتب الكتابية ، وميله إلى التنويع وتجريب تقانات جديدة يشعر أنها أكثر استجابة لتجربته ومنحه حرية أكبر في التعبير عن خفايا الذات [٧١٤].

وأعطى الناقد تفسيرات لبعض القضايا الشعرية عند القيسي منها غزارة نتاجه الشعري الذي يوضحه مكانة الشعر عنده ، فهو يُمثل وجوده في هذه الحياة ، فهناك علاقة وطيدة لايمكن فصلها بين الذاتين : الذات الانسانية ، والذات الشاعرة ، و((لاشك في أن هذا الإلحاح الكبير على توحيد ذات القيسي الإنسانية والشعرية ، يُفسر في جانب من جوانبه غزارة إنتاجه الشعري ؛ لأن هذه المقاربات إنما توحي بأن السبب الرئيس لوجوده في الحياة هو سبب شعري ، ومن ثمَّ فأن القصيدة هي شغله اليومي ولاسبيل إلى غيرها)) [٧١٥].

وعلى الرغم من دفاع الشاعر عن تجربته وشخصيته الشعرية وذاته المتفردة ؛ إلا أن الناقد لم يَعدهُ عيباً على الكاتب أو خروج عن دائرة الصدق المفترض الواجب توافره في أي نص سيرذاتي ؛ إذ يقول: ((سيرة القيسي الشعرية جاءت بألوان من هذا الدفاع ، لكننا وجدناه

---

(٧١٢) ينظر ،م. ن :٩

(٧١٣) ينظر، تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٠ -١٣

(٧١٤) ينظر ، م.ن: ٦٢

(٧١٥) م.ن :١٩ .

دفاعاً منظبطاً محكوماً بالمنطق ووعي التجربة ، حاول فيه القيسي التأكيد على خصوصيته بوصفه الشاعر عبر مايراه من مميزات تخصه حصراً)) [٧١٦] .

وبالرغم من مبالغته في استعمال اللغة الشعرية وهو ما لا يُستحب في كتابة الشاعر لتجربته الشعرية ؛ فإنَّ الناقد يرى أنه برع في كتابة تجربته بلغة تجمع بين ((رصانة التعبير ، وسحر الأداء اللغوي ورشاقته)) [٧١٧]، على الرغم من تصريحه بأن الارتفاع باللغة الى الشعرية وتفخيم تراكيبها الى الحدِّ الذي تصبح فيه خارج حاجة النمط الكتابي ، ولايصب في مصلحة النص [٧١٨].

ولمعرفة الناقد المسبقة بمكانة القيسيّ الشعرية ودرجة النضوج التي وصل إليها فإنه يعدُّ تجربته الشعرية من التجارب التي ترتقي إلى درجة تسجيلها في سيرة ذاتية تليق بصاحبها ، وهو ما اشترطه في تعريفه لهذا النوع السيري ؛ إذ يقول: ((وتُكتب هذه السيرة عادة في مرحلة يتوجب أن تكون ناضجة من مراحل التطور الحيوي والشعري للشاعر، بحيث يتاح له المجال السيري للحديث عن محطّات غنيّة وخصبة في تجربته الشعرية، يعطي فيه صورة عن تاريخه الشعري وجغرافيته الشعرية وموقعه في خارطة العصر الشعرية))[٧١٩] .

إن تجنيس (الموقد واللهب) تحت هذا النوع لا يمكن أن يكون تجنياً على العمل ، فإذا كان الناقد هو أول من تحدث عن وجود هذا النوع من الكتابة ، وأرسى حدوده وشروطه وأساليب صياغته فحتماً ستكون قراءته وتعيينه للنوع قراءة واعية قادرة على التوغل في مجاهيل العمل ، وأكثر استيعاباً من غيره لملامح التجربة ورصد الجديد في أساليب صياغتها وتنوع تقانات السرد فيها .

وفي الفصل الثاني يلمس الناقد ميثاقاً يؤكد سيرية الكتابين (عائلة المشاة) و(كتاب الابن) بالرغم تنوع الرؤية السيرذاتية فيهما واتخاذ الكاتب أسلوبية جديدة تتخذ من تداخل

---

(٧١٦) تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ٢٢
(٧١٧) ينظر م .ن : ٣٠-٣١
(٧١٨) ينظر م .ن : ٣٠
(٧١٩) م . ن :١٣٦

السردي بالشعري صورة أكثر جمالية وإبداعاً لبث أجزاء الحياة فيها[٧٢٠] ؛ فقد وضع الناقد يده على جوانب جديدة لبناء المتن السيري عند القيسيّ عملت هذه الجوانب على تفتح الكتابة السيرذاتية على أفق أكثر سعة مما هو مألوف وتقليدي، تثبت تفرده في هذا الميدان ، أهمها:

- أن اللغة عند القيسيّ ((تسرح بعيداً في الاشارة والرمز والاسطرة بحيث تؤسس منهجية تأليف خاصة تلتقي وتختلف مع قوانين النوع الأدبي)) [٧٢١].
- لغته توحي بالتخييل أكثر من إيحائها بالحقيقة في وصفها المرتكزات السردية على نحو وصفها للمكان ؛ حيث((يتداخل المكان عبر حالاته المتعددة عند القيسيّ تداخلاً يصعب فك اشتباكه بين الواقع والمتخيل)) [٧٢٢].
- مغادرة السرد السيري أحياناً إلى منطقة الشعر الضاجة بالغناء وحركة الإيقاع [٧٢٣].
- رؤية الكاتب رؤية فلسفية في التعبير عن الوجود والأشياء لجعل المستحيل ممكناً في الحياة [٧٢٤] .
- هروب الكاتب من الانصياع لمقتضى أفق زمني طبيعي ((فالأحداث والأمكنة والأزمان والرموز تتداخل على نحو كتابي يقترب فيه من الكتابة الروائية في فضاء معين ، ويفارقها في فضاء آخر)) [٧٢٥].
- وصف المكان يتجاوز وصف الموجود ، فالكاتب يحرك الموجودات المكانية إلى ما يناسب توقه إلى الانتماء [٧٢٦].

إن ماذكرناه آنفاً أمرٌ غير شائع في الكتابة السيرذاتية ، وهذا قد يُخرج العمل الأدبي من ميدان السيرة الذاتية عند بعض القرّاء ، غير إن عبيد عدّهُ نوعاً من التجديد في أساليب السرد السيري ، ويُعلِّل هذا التنويع في اسلوب الكاتب ، وتوزع الكتابة السيرية عند القيسيّ في كتب وعنوانات مختلفة بأنه يتماشى مع التنوع والشتات الذي عاشهُ القيسي في حياته

---

٧٢٠ ينظر، *تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ٣٣-٤٢*
٧٢١ ينظر، م .ن : ٣٥
٧٢٢ ينظر، م .ن :٣٩
٧٢٣ ينظر، م .ن :٤٢
٧٢٤ ينظر، م .ن :٤٤
٧٢٥ ينظر، م .ن :٤٥
٧٢٦ ينظر، م .ن :٣٦

[٧٢٧]، ويعبّر عن الجوانب الغامضة والمبالغ في صياغتها فنياً بأنها تُمثل شكلاً فنياً يتصف بعمق الرؤية ، وخصوصية الحدث السيري الذي يتطلب من القارئ أن يُشغل كل حواسه للكشف عن هذه الرؤية التي عبّر عنها بأنها ((رؤية فلسفية تُمثل فلسفة النظر الى الوجود)) [٧٢٨]، حيث يتجاوز الكاتب الواقع بكل مساوئه إلى تحقيق أحلامه ، وما يصبو إليه عبر المتخيل السردي ، فهو يستبدل كل ماهو سطحي بكل ماهو عميق لإظهار قدر أكبر من ثراء التجربة المشحونة بالأحاسيس [٧٢٩].

وتحت عنوان (الحس السيري الجمعي: سيرة الذات وسيرة القضية) يُعبر الناقد عن اسلوب القيسي الذي وصل إلى ((المستوى الانموذجي)) [٧٣٠] بأنه اسلوب حضاري يهدف إلى الارتقاء بالكلمة التي تُضاهي حمل السلاح ، وربما أكثر وقعاً منه في الدفاع عن القضية الأساس في سيرة القيسيّ وهي : (القضية الفلسطينية) [٧٣١].

ويتتبع عبيد مناطق السيرة في كتابات القيسي فيجدها منوعة ، ولا سيما في (كتاب الابن) بين شهادات ، وأحاديث مسجلة ، وذكريات ، ومرويات ، وتقارير ، ومشاريع أسئلة مقترحة ، وهوامش تُسلط الضوء على البعد السيري في كتبه [٧٣٢].

ويُعلّل تمظهرات (الأنا) المتعددة والمتنوعة ، وتحولات الضمير ، وعدم التزام الكاتب بالحدود الميثاقية الصارمة للكتابة السيرية في كتابه (أباريق البلور) الذي يُمثل هو الآخر تنوعاً في تجربة محمد القيسيّ السيريّة في الفصل الثالث من كتابه هذا بأنها تهدف إلى الانتصار للتجربة ذاتها أكثر من انتصارها للنوع من أجل اجتراح طراز سيري حر[٧٣٣] .

ويبدو أن الكاتب استغل قضية التقارب بين السيرة الذاتية والفنون الأدبية الأخرى ، وتداخلها معها– بحسب ما استنتجهُ الناقد– ليوفر لنفسه حرية أكبر عبر استعماله تقانات سردية متنوعة في كتابته تكسر الشكل المقيد بشروط هذا الفن واشتراطاته ، والتلاعب بهذه التقانات وفي مقدمتها اللغة التي ((تسعى إلى شعرنة السيرة الذاتية وضخها بطاقة

---

(٧٢٧)ينظر، تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ٦٢

(٧٢٨)ينظر م .ن : ٤٤

(٧٢٩)ينظر م .ن : ٢٠

(٧٣٠)ينظر م .ن : ٤٢

(٧٣١)ينظر م .ن :٤٢

(٧٣٢)ينظر م .ن : ٦٣

(٧٣٣). ينظر: تمظهرات التشكيل السيرذاتي:٨٠

سرد مضافة ترفع من قيمتها الأدبية وتُحرضها على توسيع وظائفها ، ومضاعفة جمالياتها)) [٧٣٤] .

ولسنا ضد ما ذهب اليه الناقد في تشخيصه للحالة السيرذاتية في كتب القيسيّ ؛ إلا إننا نرى أنه يستوجب على الكاتب الموازنة بين ضغط التجربة بواقعها العاطفي والنفسي ، وبين صناعة نص سيرذاتي يتمتع بمواصفات فنية تحفظ لفن السيرة الذاتية هيبته بين الفنون الأخرى وتحترم خصائصه فلا يتساوى فيها التخييل مع الواقعي أو يطغى عليه ، مهما حاول الكاتب التجديد في صياغة نصه السيري ؛ لأن تجاوز ذلك من شأنه أن يؤدي إلى خلخلة الميثاق السيرذاتي المتعاقد عليه بين الكاتب والقارئ ، و يُقصي النص من دائرة الكتابة السيرذاتية .

ويحاول الناقد في الفصل الرابع أن يتفحص الاشارات والإلماحات في تجربة محمد القيسي التي استطاع فيها استحداث طراز سردي يقارب ويفاعل بين السيري والروائي في كتابه (الحديقة السرية) [٧٣٥] الذي صنفه الناقد ضمن ما اصطلح عليه بـــ (الرواية السيرذاتية) على الرغم من أن الكاتب حدَّد هويتها الإجناسية على غلاف الكتاب الخارجي بكلمة (رواية) ؛ إلا إن الناقد تمكن بما يملكه من أدوات نقدية ومعرفة بدقائق اللغة ، وملامح الخطاب السيري من اكتشاف المناطق السيرية في الرواية ، واستثمار الكاتب لتجاربه الشخصية في كتابة روايته مستفيداً من التقارب والتفاعل بين الفنين والطابع القصصي المشترك بينهما [٧٣٦] .

وقد يسأل سائل هنا لماذا غيّر الناقد تجنيس الكتاب (الحديقة السرية) على الرغم من تجنيسها الصريح الظاهر على غلافها الخارجي (رواية) التي تحقق مايسمى بـــ (الميثاق الروائي) الذي يعقد فيه الكاتب ميثاقاً مع القارئ على أن ماكتبه هو رواية ؟ هل فرض الناقد نقده السيرذاتي على العمل الأدبي ؟ أم أنه كشف ما أراد الكاتب إخفائه عن القارئ لسبب ما ؟

ويبدو أن هذه الاسئلة قد تبادرت إلى ذهن الناقد وهو يُثبت أحكامه النقدية عن كتاب (الحديقة السرية) ، فلم يفتهُ تقديم الأجابات المقنعة لهذه الاسئلة ؛ إذ يقول: ((إن الرواية

---

(٧٣٤) م .ن:٧٥

(٧٣٥) ينظر، م . ن :٩٥

(٧٣٦)ينظر ، تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ٩٦

بحكم طبيعتها الإجناسية الفاعلة والمشتغلة في فضاء التخييل تُساعد في تحرر الكاتب من ضغط الإدلاء بمعلومات أو اعترافات داخل فضاء تخييلي للكشف عنها وتسويقها سردياً ، وعلى هذا الأساس فإن التصريحات المذكراتية أو السير–ذاتية لايمكن أن تكون –حسب أندريه جيد– إلا نصف صادقة ...بل ربما تقترب الحقيقة أكثر في الرواية)) [٧٣٧] ؛ ولأن القيسي أراد التخلص من ضغط الاعتراف والإدانه ((فإن منطقة "الرواية السيرذاتية " هي المنطقة الوسيطة المشتركة بين السيرة الذاتية والرواية التي يمكن تفعيلها اصطلاحياً لتصف الأعمال السيرذاتية)) [٧٣٨]

ولإثبات سيرية الرواية فإن الناقد يقف عند أكثر من موضع وعلامة يحلّلها، ويلخص أفكارها ، ويفك رموزها ويُسلط الضوء على إشاراتها الدلالية والإحائية ، وأبرزها العنوان المركب من كلمتين (الحديقة) و (السرية) ؛ اذ يبحث الناقد عمّا تضمرهُ هاتن الكلمتان من دلالات خلفها ، فالحديقة تمثل ((إيحاءً أولياً بالحرية))[٧٣٩] ، والسرية توحي بالغموض والخفاء [٧٤٠]، ويبدو واضحاً أن الناقد في هذه النظرة النقدية المتمعنة في قراءته لعتبه العنوان حاول أن ينوه عن التداخل الحاصل بين السيرة والرواية ، بين رغبة الكاتب بحفظ أسراره في الأولى ، ورغبته في الكشف عنها في الثانية ، وأن مادة السيرة ليست إلّا مناسبة لخلق الرواية ، فضلاً عن قراءته للعنوانات الفرعية للكتاب في مناخ سيميائي يرتفع بقيمتها الدلالية ، ويُعزز الوجود السيرذاتي في الكتاب [٧٤١] ، ومن جملة ما وقف عنده الناقد في توكيد سيرية الكتاب المؤشرات الخارجية [٧٤٢]، فهو يذكر عنوانات لأعمال إبداعية ترجع إلى ذات الكاتب ، وهناك مؤشرات أخرى يعتمدها الناقد كالأماكن الحقيقية[٧٤٣] ، ورفد الكتاب بشكل من أشكال السيرة الذاتية وهو (اليوميات) [٧٤٤]، بما يُحيل على التطابق بين الشخصية المركزية في النص وذات المؤلف.

---

(٧٣٧) م.ن: ٩٦
(٧٣٨)م.ن : ٩٦
(٧٣٩)تمظهرات التشكيل السيرذاتي:٩٧
(٧٤٠)ينظر، م.ن: ٩٧
(٧٤١)ينظر م.ن: ٩٨–٩٩
(٧٤٢)ينظر ، م.ن: ١٠١
(٧٤٣)ينظر ، م.ن: ١٠٨–١٠٩
(٧٤٤)ينظر ، م.ن:١١٠

ورصد الناقد تمظهرات الضمير أو مايسميه بـــ ((لعبة الضمائر السردية))[٧٤٥] ، ويعدُّها نوعاً من أنواع التماهي والتخفي وراء الشخصية الروائية ، ولم يُقصد بلعبة الضمائر هنا اللَّعب بالشكل ، بل هو استجابة لحالة الذات الساردة ((حيث تجد الذات الساردة نفسها أحياناً في وضع مريح نفسياً وعاطفياً وجسدياً ، يسمح لها باستظهار أعلى طاقة ذاتوية ممكنة للتعبير عن سحر اللحظة السيرذاتية في سياق الروائي ، في حين تنحسر أحياناً لتلتئم على كينونتها ، ويشتدّ تمركزها على ذاتويّة ضيقة لاتستوعب حجم الوجد والألم والفقدان ، فتشرع إلى الاستعانة بضمير مجاور يفك أسر الضيق ويفتح المجال السردي على حيوية أكبر تتيح له فرصة التواصل والاستمرار وامكانية الحكي.)) [٧٤٦]

إن ماتحدث عنه الناقد في هذه القراءة تجعلنا نقف أمام حقيقة لاتقبل الشك وهي صحة ما استنتجه في تعيين هوية الكتاب الذي مازج فيه القيسي بين الرواية والسيرة الذاتية بطريقة تنم عن إدراكه لمجالات عمل تقانات الفنين وصيغها وأفضيتها داخل العملية السردية من اسلوبية العرض ، وانتقاء الأحداث ، وطرق البناء بما يتناسب وطبيعة الحادثة السيرذاتية المقدمة ، وخضوعها لاسلوبية البناء الفني ، وقيمتها في الفضاء السردي [٧٤٧].

وإن التفاعل والتقارب بين الأجناس ولاسيما بين السيرة والرواية به حاجة إلى ناقد يدرك مايتطلبه تحديد هوية النصوص عن وعي وبصيرة وانفتاح على الأدوات والاجراءات النقدية الملائمة ، وفك رموز النص ، وعوالمه الداخلية.

يتبين لنا من قراءتنا لفصول الكتاب أن الرؤية الحداثية طغت على الخطاب النقدي مستخدماً كل منطلقاتها الفكرية والمنهجية في استنطاق النص الأدبي وكشف خصوصياته ، وتمكن مفرداته النقدية من التعبير عن تداخل السيرة الذاتية مع الكتابات الإبداعية المتنوعة السردية والشعرية ، فقد انفرد الناقد بلغة نقدية خاصة لها من الصفات والملامح ما يؤهلها للإنفراد بأنموذج خاص للغة النقدية أو أن تكون لغة شعرية ، وأكد حداثة اللغة ومرونتها في التعبير عن التفاعل بين الفنون السردية والشعرية فوظف المصطلحات السردية في تحليله للشعر ، مثل استعماله للفظة (الراوي) و (السارد) [٧٤٨]، لمن يقوم بوظيفة الخطاب الشعري

---

(٧٤٥)م.ن: ١٠٠

(٧٤٦)تمظهرات التشكيل السيرذاتي م.ن: ١١٧

(٧٤٧)ينظر ، م.ن:٩٥

(٧٤٨) وهما مصطلحان يختصان في نقد الفنون السردية كالقصة والرواية والسيرة الذاتية ، ينظر، المصطلح السردي في النقد الادبي العربي الحديث: ٢١.

(٧٤٩) ، فضلاً عن حداثة مصطلحاته التي انطوت على مفارقات ، و كسر للمألوف ، على نحو جمعه بين السيرة الذاتية والشعر تحت مصطلح (السيرة الذاتية الشعرية) ، وحسب الدكتور أحمد مطلوب فإن اختلاف ثقافة المؤلفين والباحثين سبب في تنوع المصطلحات (٧٥٠)

ويمكن القول إن الجهد النقدي للناقد في الجزء التطبيقي تركز في فك رموز النصوص وعوالمه الداخلية ، فقد استطاع استنطاق القيم الفنية والجمالية التي تضمنها النص ، وحاول متابعة التطورات الحاصلة في فن السيرة الذاتية من خلال استعراض القيم الفنية والجمالية في علاقتها مع فنون أخرى وهي الشعر والرواية والمذكرات ، وقد انشغل الناقد بالوقوف عند المشاكل الفنية التي تعترض الكاتب ، وأهم المصادر التي يستلهم منها ثقافته، ومتابعة مراحل تطور شخصيته الإبداعية ، وأسباب ذلك التطور أو ربطه بالمواقف بوصفها العامل المهم في صياغة شكل السيرة الذاتية، وما يستحضره من خزين الذاكرة المتحفزة من التجربة والمعرفة وألم المعاناة ، وما نمى بداخله من الأمنيات والتطلعات.

ويَعُد الناقد متمرساً يمتلك أدواته النقدية والكتابية واللغوية قادراً على الكشف عن أسرار وخفايا النصوص، و رصد اللغة الفنية فيها وطبيعة البنية اللغوية لها ، ويمكن القول إن قراءة الناقد محمد صابر عبيد لتجربة محمد القيسي السيرذاتية هي قراءة تنهض من أعماق النص الأدبي من خلال ستراتيجيتها الإجرائية التي تعتمد معايير وممارسات فنية وذوقية ؛ محاولاً استنطاق النص عبر التقاط شفراته السرية ، وتحليل بواعثه وأهدافه ، وتقييم حقيقته الإبداعية.

معجم الكتاب

وعزَّزَ الناقد رؤية كتابه بمعجم مصطلحات السيرة(٧٥١) ، وهو أول معجم من نوعه في فن السيرة كي يُضيء المفاصل المركزية في حركة هذا الفن وصيرورته الإجناسية (٧٥٢).

ويبدو أن الناقد لم يضع معجمه هذا بشكله النهائي أو بتعبير آخر غير قابل للإضافات

---

(٧٤٩)ينظر، تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ٥٤.

(٧٥٠) ينظر: نحو معجم مصطلحات النقد العربي القديم ،احمد مطلوب ،مجلة المجمع العلمي العراقي ،المجلد الثالث والأربعون الجزء الثاني، ١٩٩٦ : ٢/ ٨١-٨٢ .

(٧٥١) ينظر، تمظهرات التشكيل السير ذاتي:٢٣١.

(٧٥٢) ينظر المغامرة الجمالية للنص الأدبي:٢٥.

أو التعديل وفق تصريحه ؛ إذ يقول: ((ونحسب أن مقاربتنا الاصطلاحية هذه ليست أكثر من مقترحات للنظر في تشكيل المصطلح ، قابلة للتعديل والإضافة حسب متطلبات تطوّر الأنواع السيرية من جهة ، واستناداً إلى الرؤى المختلفة التي يمكن للكثير من النقاد والدارسين والمتخصصين اعتمادها في مراجعة معجمنا وتقويمه من جهة أخرى.))[٧٥٣] وهذا يعني أن ثمة إضافات تقتضيها الرؤية الجديدة لفن السيرة الذاتية وطبيعته ، وثمة آليات لتطوير المعجم يحرص الناقد على الإفادة من كل معطياتها في إنتاج الجديد من المصطلحات والدلالات ، فقد ترك الناقد الباب مفتوحاً للدراسين أن يضيفوا عليه أو يجروا تعديلاً على بعض مصطلحاته كما حصل معنا في مواضع سابقة من هذا البحث ، فقد أقترحنا تعديل مصطلح (السيرة الذاتية الشعرية) إلى مصطلح (التجربة الذاتية الشعرية) [٧٥٤] ، ومصطلح (السيرة الذاتية الروائية) إلى مصطلح (التجربة الذاتية الروائية) [٧٥٥] ، ونعتقد أن سبب قابلية هذا المعجم للإضافة والتعديل هو أنَّهُ أول عمل في هذا المجال ، وهو بذلك سيحتاج إلى مراجعات ، وإضافات ، وقد تظهر نصوص إبداعية جديدة تُكرس لمصطلحات أخرى ممكن إدراجها في هذا المعجم .

ومن الملاحظ على تعريف الناقد لتلك المصطلحات أنه عرفها بشكل تفصيلي دقيق وبيان عناصر التشابه والاختلاف بين تلك المصطلحات أو الفنون ، وتوضيح الآلية التي يقوم عليها كل نمط على حده، وأحيانا يعرب الناقد عن وجهة نظره الخاصة بإلزام الكاتب باتباع خطوات العمل الذي يروم كتابته ، مثال ذلك قوله في تعريفه للسيرة الذاتية النقدية : ((ويتوجب على الناقد الذي يسعى إلى تقديم سيرته الذاتية النقدية في هذا الإطار، أن يعي خطورة هذه الكتابة ونوعيتها ، على النحو الذي يسخّر لها أسلوبية كتابية خاصّة تتمتع بالنفس الحكائي والرشاقة اللغوية والانسيابية التعبيرية الجمالية ، وأن لا تقع تحت وطأة الكثافة التعبيرية العالية التي تتسم بها كتابته النقدية))[٧٥٦] .

وأحياناً أخرى يقدم مقترحاته ورؤاه تاركاً الحرية للكاتب باتباعها على وفق ما يراه مناسباً لنصه بشرط أن لا يضر النص ، ويحرفه عن مساره السيري. مثال ذلك قوله في تعريفه للسيرة الذاتية القصصية : ((وللقاص حريّة اختيار الأسلوب الحكائي المناسب لرؤية

---

(٧٥٣) المغامرة الجمالية للنص الأدبي: ٨ .

(٧٥٤)ينظر، البحث:١٤٥

(٧٥٥) ينظر، البحث:٨٦

(٧٥٦) تمظهرات التشكيل السير ذاتي: ١٣٩ .

سيرته الذاتية القصصية ؛ لأنه معني بذلك مرّتين ، مرّة لأنه حكواتي أصلاً ، والمرّة الثانية لأنَّهُ يروي سيرة حياة قصصية مناسبة للحكي والقص ؛ لذا فإنَّ الاهتمام باللغة السيرذاتية القصصية والعناية بشعريتها بالقدر المعيّن المكافئ للنوع والموضوع وضروراته ، من شأنه أن ينجح في إنجاز نص إبداعي لا يقلّ شأناً عن المنجز القصصي))[٧٥٧] .

وكذلك قوله في تعريفه للقصيدة السيرذاتية : ((ولا يشترط في المفهوم الشعري للقصيدة هنا القصيدة الواحدة ؛ إذ تتمركز السيرة الذاتية في قصيدة واحدة يُشترط أن تكون طويلة بحيث تعطي صورة واضحة تعكس طبيعة الترتيب التصاعدي على مستويات السرد أو الحدث أو الفضاء ، أو في مجموعة قصائد تشكّل مجموعة شعرية واحدة ، أو في أكثر من ذلك ، كما لا يشترط في ذلك التزام نوع شعري معيّن ؛ إذ إنّ كل الأنواع الشعرية "قصيدة عمودية –قصيدة حرّة –قصيدة نثر" صالحة –في حال توافر الشروط السيرذاتية ، للانتماء إلى هذا النوع الفني))[٧٥٨].

ودرج على أن يدخل من وجهة نظر تضع الحداثة نصب عينها فالمصطلحات من وجهة نظره منها ((ما هو معروف وعامل في الدراسات النقدية العربية قديماً وحديثاً، ومنها ما هو حديث اقتضته ضرورات الاتصال بين الفنون الأدبية المختلفة)) [٧٥٩]

وللتفريق بين أقسام السيرة فإن الناقد يجتهد في تعريفه للسيرة الغيرية ، محاولاً أن يضع حدّاً فارقاً بين القسمين ، ويؤسس لمصطلحات توضح تداخل السيرة الغيرية مع غيرها من الأجناس الأدبية على غرار ما رأينا في تعريفه لأنواع تداخلت مع السيرة الذاتية ، فنجد ثلاثة عشر مصطلحاً من المصطلحات الخاصة بـ (السيرة الغيرية) كما هو الحال مع (السيرة الذاتية) منها (السيرة الغيرية الشعرية) ، و(السيرة الغيرية القصصية) ، و(السيرة الغيرية الروائية) ، و(السيرة الغيرية النقدية)... [٧٦٠] .

وهناك أنواع سيرية كلّها تصب في مصب واحد وهو الكتابة عن الذات مع اختلافات في خصائص وصفات كل منها بما لا يجوز معه الخلط بينها وإلغاء الحدود الفاصلة، وتلك المصطلحات هي : ((التجربة الذاتيّة ، قصيدة التجربة الذاتيّة ، قصّة التجربة الذاتيّة ، رواية التجربة الذاتية ، الشهادة الذاتية الأدبية ، الخاطرة الذاتية ، الاعترافات ، المذكرات ،

---

(٧٥٧) تمظهرات التشكيل السير ذاتي: ١٣٨.
(٧٥٨) م.ن : ١٣٨ .
(٧٥٩) ينظر، م.ن: ٧
(٧٦٠) تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٤٣-١٤٤.

المذكرات الشفويّة ، الذكريات ، اليوميّات ، المقالة الذاتية الرسائل الشخصية ، أدب الرحلات ، البحث أو الوصف الذاتي ، الصورة الذاتية الصحفية ، الحوارات الشخصية))[٧٦١] .

إن القارئ لتلك المصطلحات يُلاحظ وبشكلٍ جلي حجم التداخل الحاصل بينها ، حتى لتبدو لأول وهلة أنّها متكررة ومتداخلة وكأن التعريف يُعيد نفسه ، وتبدو تلك المصطلحات وكأنّها تُشتق من بعضها البعض مثل : (السيرة الذاتية الشعريّة) ، و(السيرة الذاتية القصصية) ، و (السيرة الذاتية الروائية)، و(السيرة الذاتية النقدية) ، و(القصيدة السيرذاتية) ، و(القصّة السيرذاتية)، و(الرواية السيرذاتية)[٧٦٢]

وتقوم التعريفات لهذه المصطلحات على الطريقة التقريرية المباشرة القائمة على لغة علمية رصينة تُحدد المفهوم وتنهض بأعباء المصطلح شارحاً ومفصلاً للتقانات والآليات التي يقوم عليها كل نمط من الأنماط الكتابية ، مقدماً رؤيته النقدية لما يجب أن يكون عليه العمل داخل حدود هذه الأنماط ؛ لذا اتسمت تعريفات المعجم بالإطالة لكنها ليست الإطالة التي تخلو من الفائدة ، وإنما هي إطالة تعطي لكلِّ نوعٍ كتابي خصوصيته وسماته ، وقواعد كتابته وتحل إشكاليات التداخل بين السيرة الذاتية وغيرها من الأجناس ، ووسيلة لاكتشاف المستويات المضمرة في النصوص والمخبأة في تضاعيفها.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الناقد صاغ هذه التعريفات بلغته الخاصة وبما يملكهُ من ثقافة نقدية تجلت من قراءته للنصوص المتنوعة والتجارب المختلفة ، وفحص مستوياتها الاسلوبية والبنائية والدلالية ، والكشف عن إشكالياتها ، والتفريق بين أنواعها ، ولم يعتمد النقل من المعاجم التي عَرَّفَت ببعض المصطلحات التي وردت في المعجم منها (السيرة) ، و(السيرة الذاتية) ، و (اليوميات) ، (المذكرات) ، و (الرحلات) [٧٦٣].

ومن الملاحظ أن الناقد استفاد من تعريف لوجون للسيرة الذاتية بأنها: ((حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ، وذلك عندما يُركز على حياته الفردية

---

(٧٦١) م.ن: ٢٤٥ .

(٧٦٢) ينظر، م.ن:١٣٥ – ١٣٨ .

(٧٦٣)ينظر، المعجم الأدبي:١٤٣ ، ومعجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب : ٢٠٥، والمعجم السردي ، جيرالد برنس ، ترجمة عابد خازندار ، مراجعة محمد بديري، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٣.

وعلى تاريخ شخصيته))[٧٦٤]. فضلاً عن شروط السيرة التي حدَّدها لوجون وقد تضمنتها تعريفات محمد صابر عبيد كالتطابق ، والميثاق السير ذاتي ، والموضوع المطروق ؛ إلّا أنه لايشترط الالتزام بالقواعد الصارمة التي فرضها لوجون فيما يخص قضية الضمير التي ترك فيها الناقد للكاتب حرية اختياره والتنويع فيه داخل النص ، فقال في تعريفه للسيرة الذاتية: ((ولا يشترط في الراوي الاعتماد على الضمير الأوّل "المتكلّم"، بل قد يتقنّع بضمائر أخرى تخفّف من حدّة الضمير المتكلّم وانحيازه، بشرط أن يعرف المتلقي ذلك لكي لا تتحوّل إلى سيرة غيريّة، بحيث يظلّ الميثاق السيرذاتي بين الكاتب والمتلقي قائماً وواضحاً))[٧٦٥] .

والقضية الأخرى تخص شكل اللغة فالناقد محمد صابر عبيد لايشترط أن تُكتب السيرة الذاتية بالشكل النثري فقط ، وإنما استجابةً لمستجدات الحداثة وما طرأ على النصوص من التغيير في صياغتها واسلوبيتها بحيث يمكن للكاتب كتابة سيرته الذاتية بالشكل الشعري ، أو بالشكل الذي يخلط بين الشعري والسردي ولا يُعتبر خارجاً عن حدود كتابة السيرة الذاتية ، وقد عدّ الناقد هذه التنويعات في كتابة السيرة الذاتية من قضايا التجديد والتجريب ، وتدل على قدرة الكاتب على التنويع وتَمكِنَهُ من المهارات الكتابية على نحو مارأينا في قراءته لمنجز القيسي في هذا الكتاب.

ويرجع السبب في ذلك إلى اختلاف النصوص المدروسة عند الناقدين والتجديد الحاصل فيها بين فترات زمنية متعاقبة وتضمنها رموزاً إنسانية غاية في العمق و الثراء ، أضف إلى ذلك إنَّ هناك قيوداً تُفرض على الكُتّاب العرب لما للسيرة الذاتيّة من دور في كشف أسرار حياة صاحبها، وتعريته ، مما يُعرّضه لمواجهة مجتمع يرفض الانفلات من عقد العرف الاجتماعي ، وتجاوز التابوهات التي تربّى عليها ، وهذا أدى الى لجوئه الى محاولات التخّفي وراء الأشكال التعبيرية الجديدة ، والتنوع في استعمال الضمير.

ثالثا: كتاب (البوح والترميز القهري الكتابة السير–ذاتية: التنويعات والمحددات)[٧٦٦] للدكتور حاتم الصكر :

---

[٧٦٤] السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الادبي :٢١ .

[٧٦٥] تمظهرات التشكيل السيرذاتي: ١٣٦–١٣٧ .

[٧٦٦] صدر الكتاب عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ٢٠١٤ ويقع في نحو ١٩١ صفحة

لا شك في أن دراسات الناقد العراقي حاتم الصكر النقدية في السيرة الذاتية لها وقعٌ وتأثيرٌ في الساحة النقدية العراقية والعربية[٧٦٧] .

وقد وقع اختيارنا لكتابه البوح والترميز القهري لأهميته وتخصصه في نقد السيرة الذاتية ، وإدراك صاحبه حاجة التوقف على قضايا الكتابة السيرذاتية العربية الحديثة لإجلاء خصوصيتها الشكلية والمضمونية ، وعُني الكتاب بشقيه التنظيري والتطبيقي بالكتابة السيرذاتية ، وتنويعاتها ، واظهار ما اختلط بها أو ما يمكن أن يظهر قريباً منها .

الأهداف:

وقد كشف الناقد في تعريف أولي لكتابه عن أهداف دراسته ؛ إذ يقول: ((تطمح دراسات هذا الكتاب على المستوى النظري والتطبيقي معا أن تلامس بعض مشكلات السيرة الذاتية في أدبنا العربي و النادرة في الكتابة النوعية ، والملتبسة في مصادرها وطرق عرضها سردياً أو تاريخيا، والمحفوفة بمحاذير ومحددات وموانع ستعرض لبعضها دراسات الكتاب))[٧٦٨].

وعُنيت قراءتنا للخطاب النقدي السيري في كتاب حاتم الصكر بإجلاء قضايا نقدية تتعلق بالموازين والمعايير الإجناسية ، التي ارتبطت بادراك السيرة الذاتية بوصفها مبنى أدبياً متميزاً وبقضايا اخرى تتعلق بخصوصيتها كقيمة فنية وتاريخية وعلاقتها ببقية الأنواع الأدبية .

فاعلية العتبات :

يستهل الناقد كتابه بأقوال لأدباء ونقاد وهم (موريس بلانشو) و (جورج ماي) و (نازك الملائكة)[٧٦٩] وهي عتبات تجسد الذات وتحولاتها عبر الزمن ، وهذه المقتبسات توجه القارئ القارئ صوب الموضوع وتؤكد الأطروحة أو الفكرة حول خصوصية الذات ووجودها المتنوع داخل السيرة الذاتية وحتى الأعمال المجاورة له، ويسبقها بعتبة الإهداء التي توضح عناية الناقد بالعتبات ، إذ جاء الإهداء بوصفه إشارة لافتة لعناية الناقد بالبحث في الأعمال

---

(٧٦٧) صدر للناقد كتاب (كتابة الذات دراسات في وقائعية الشعر) الصادر عن دار الشروق في عمان الاردن سنة ١٩٩٤ ، وكتابه مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩/

(٧٦٨) البوح والترميز القهري : ١٣

(٧٦٩) ينظر، م . ن : ٤

الابداعية التي تعنى بكتابة الذات ، لإثبات هويتها ووجودها فقد جاء فيه ((إلى كل ذات تبحث عن ذاتها في مجاهل الحياة ومتاهة سردها الطويل))[٧٧٠] .

عَنْوَن الناقد كتابه (البوح والترميز القهري) ويتضمن العنوان ضدين يتمثلان بـ(البوح) الذي هو مطلب ضروري لتحقق الصراحة في النص السيرذاتي ، ونظيره (الترميز) الذي هو يتقاطع مع المطلب السابق ولكنه يتناغم مع وضع السيرة في مجتمعاتنا العربية لذلك فهو (ترميز قهري) ، ولاسيما في نصوص سيرذاتية نسوية ، كما سيتبين لنا في قراءة الناقد لتلك للنصوص.

المنهج :

اعتمد الناقد في دراسته منهج التأويل لاستنطاق النص السيري ورؤية مشغلاته ومحركاته، فالنص السيري يغري بالتأويل والبحث عن دلالات وراء الكشف عن الذات ، وتوقف عند البنية بأنواعها ، واصفاً المستوى البنائي ومحللاً لبواعثه وأهدافه .

ويهتم الناقد بالعتبات النصية بوصفها موجهات قرائية ، ويُحلِّل مدلولاتها وما أحدثته من علامة بين الكاتب والقارئ، ويبدو هذا واضحاً في دراسته التطبيقية للنصوص.

التوصيف النقدي:

استطاع الناقد أن يمهد لقارئه في بداية كتابه وقبل الخوض في قراءة النصوص المختارة في الجزء التطبيقي من كتابه ، الملامح العامة التي تكاد تنطبق على كل الأعمال التي قدمها أصحابها في كتابة الذات، والتي تتمثل بالقيود التي لم يفلح أكثر كتاب السيرة الذاتية الافلات منها، وهي:

- الذات الكاتبة التي تنتقي وربما تعدل المفردات السيرية بما يناسب وضعها الحالي.
- القراءة المسلطة على النص بما تفترضه وتتوقعه[٧٧١] .

ولما كانت السيرة الذاتية تخضع لهذين المؤثرين فإنّها تصبح عرضة أكثر من غيرها لفذلكات النقد والنقاد ومجال رحب للنقاشات والتعارضات التي لا تسمح بتثبيت حدود هذا الجنس أو استقراره.

---

(٧٧٠) م . ن : ٥

(٧٧١) ينظر : البوح والترميز القهري : ٦ .

ويبدأ الناقد كتابه بموضوع يعنونه بتلك العبارة (في سبيل التحديد: مقاربة نظرية لمفهوم السيرة الذاتية) يثير الناقد قضية لطالما شغلت النقاد والمهتمين في دراسة السيرة الذاتية إلا وهي اللّبس والغموض الذي يكتنف هذا الجنس الأدبي لتداخله مع الأجناس الأخرى ، فقد وصفه بأنه ((من أكثر الأجناس الأدبية بلبلة ومرونة، وأصبح من المعاد المكرر قولنا بأنّها جانب غير مستقر))[٧٧٢] ، وأنّه غير متعين بشكل نهائي[٧٧٣] ، وقد وقف الناقد عند تلك القضية محاوّلاً تعليلها ، وحصرها في سببين رئيسين أولهما : ((قربها من أجناس وأنواع محايثة كاليوميات والمذكرات والرسائل وقصائد السيرة، والشهادات والحوارات الشخصية))[٧٧٤] ، فكثير من الدارسين لنصوص السيرة الذاتية عبروا عن صعوبة التمييز والفصل بين الأشكال التي تهتم بكتابة الذات لتقاربها ، يقول محمد الباردي : إن السؤال عن إمكانية عدِّ السّيرة الذّاتيّة جنسا أدبيّاً مستقلاّ وقائماً بذاته سؤال إشكاليّ حقّاً ؛ لأننا عندما نتأمل خانة الأشكال ذات العائلة الأجناسيّة الواحدة يصعب التميّيز العلمي المقنع والنّهائي بين السّيرة الذّاتيّة وتلك الأشكال[٧٧٥] .

وثانيهما : ((اقتراضها بعض آليات عمل تلك الأنواع أو نظمها الداخلية، وأشكالها التي تأثرت هي أيضاً بالسيرة الذاتية، والإكراهات والقيود التي تتحكم في كتابتها، وتجعلها تشرب مضامينها وأشكالها إلى تلك الأنواع، تحاشياً لعائدية السيرة الذاتية إلى شخص كاتبها الواقعي، وما ينتج عن ذلك من أحكام وتقييم سالب للكاتب، فيفر إلى ما يعرف مثلاً برواية السيرة الذاتية))[٧٧٦] ونحن نرى أن هذين السببين يختصران الكثير من النقاشات والآراء في هذا الموضوع ، وتلخيصاً بما أسهب فيه الدارسون في بحثهم عن حدود السيرة الذاتية.

ولكن من الجدير بالذكر أن السيرة أصبحت جنساً أدبياً مستقلاً تتدرج تحتهُ محموعة من الأنواع الأدبية المنتمية للعائلة السيرية ، والدرس النقدي الغربي والعربي قطع شوطاً مهماً في التفريق بين أنواع هذا الجنس ، وهذه التلاقحات بين أنواعها أغنت الدرس النقدي كثيراً ، أما صعوبة الفصل بين هذه الأنواع فلا تقتصر على النصوص التي تختص بكتابة الذات فقط ، فكل النصوص الإبداعية الآن تمر بالمأزق ذاته.

---

(٧٧٢) البوح والترميز القهري: ١٠ .
(٧٧٣) ينظر : م . ن : ١٠ .
(٧٧٤) م.ن : ١٠ .
(٧٧٥) ينظر : عندما تتكلم الذات: ١٠
(٧٧٦) البوح والترميز القهري:٥

وقدم الناقد عرضا موجزا لبعض تعريفات الباحثين للسيرة الذاتية لتوضيح اختلاف توصيفاتهم لهذا الجنس الأدبي بين ((رواية / قصة / صورة / وصف / حكي / تاريخ))[٧٧٧] على الرغم من اتفاقهم على أنه يعنى بسرد قصة حياة الشخص التي يسردها بنفسه، وهذا يساعد على تداخل السيرة مع أنواع أدبية أخرى[٧٧٨] .

ويحرص الناقد على قضية التجنيس وضبط حدود السيرة الذاتية ما أمكن ، لذلك فهو يُحذر من التعارضات التي من شأنّها أن تخلط بين السيرة الذاتية وغيرها من الكتابات الذاتية، وينبه على ضرورة تجنبها، من خلال عرضه لقضايا مهمة أبرزها قضية الزمن وتقسيماته في السيرة الذاتية[٧٧٩]، متمثلة بالمخطط الآتي:

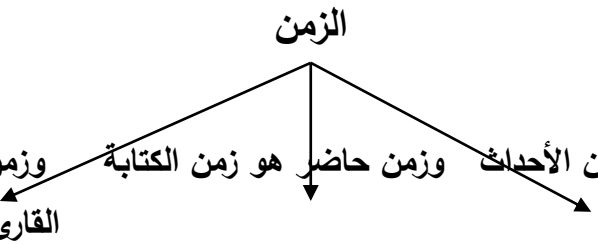

ويعد افتراض الناقد لمثل هذا التقسيم رغبة منه في التبويب والحصر للأزمنة الممكنة المتحكمة في صياغة النص السيري ، لأهمية الزمن في كتابة السيرة الذاتية.

ولبيان تأثير الحاضر على اتجاه السرد فهو((لا يبدأ بشكل خطي، كما هو في الحياة التي عاشها في الماضي، بل الحياة التي يرويها (الآن) كجزء من ماضيه))[٧٨٠]، فيدخل وعيهم الحاضر المسقط على الماضي الذي تمثله أحداث السيرة ووقائعها.
ويفضل الناقد استخدام (ضمير المتكلم) في النص السيري لتأكيد التطابق بين الأنوات الثلاث ، وعدم الخلط مع أشكال السرد الذاتي الأخرى، لذلك نراه لايؤيد من ذهب من الدارسين إلى تبرير استعمال ضمير الغائب في نص (الأيام) لطه حسين بحجة التخفف من من شرط تطابق بين المؤلف والسارد والكائن السيري (الشخصية)[٧٨١]؛ لأن ذلك ((يسبب

---

(٧٧٧) *البوح والترميز القهري:* ٦ .
(٧٧٨) *ينظر : م . ن : ١٢ .*
(٧٧٩) *ينظر : م.ن : ١٣ .*
(٧٨٠) *البوح والترميز القهري: ١٣ .*
(٧٨١) *ينظر ، م. ن: ١٢٢*

خللاً سردياً يبتعد فيه السارد عن الشخصية، والمؤلف عنهما معاً بالضرورة))[٧٨٢]، و أن استعمال ضمير الغائب يؤكد للقارئ ((وجود القوة الطاردة للبوح والميل لإبعاد السيرة عن صاحبها تخفيفاً واعياً أحياناً ولا واعياً أخرى))[٧٨٣] والحقيقة أنّنا لا نوافق الناقد فيما ذهب اليه ، إذ لا نرى أن التزام كاتب السيرة الذاتية بضمير المتكلم من الضرورة التي تقتضيها كتابة الذات ، فمن الممكن أن يكتب كاتب سيرته الذاتية بضمير الغائب أو المخاطب بأسلوب مسبوك وفنية عالية مشوقة للقراءة ويترك المجال للقارئ لاستكشاف ما وراء الضمير من المقاصد.

وقد يكتب كاتب آخر سيرته بضمير المتكلم لكنه يموه القارئ بتغيير بعض الحقائق أو التعديل عليها أو تغييبها ، أو التركيز على جانب معين من حياته دون الجوانب الأخرى ، ومن ثم التأثير على مصداقية النص ، وهو ما يقود إلى التأثير على انتمائه إلى هذا الفن.

و التطابق لا يتوقف على أنوية الضمير ليحتكم على تحققه في النص من عدمه ، وهو ما وضحناه في موضع سابق من البحث[٧٨٤] .

ومما يمكن ملاحظته في هذا الموضوع أن موقف الناقد من الضمائر مشوش وغير مستقر؛ إذ إننا لمسنا له رأيين متناقضين في الكتاب ، الأوّل : يفضل التزام الكاتب باستعمال ضمير المتكلم ، والثاني: يقضي بمنح الكاتب حرية أكبر في التنويع بالضمائر داخل نصه السيري استجابة لما جاءت به المناهج الحديثة ، وللتطور الحاصل في نصوص السيرة الذاتية في وقتنا الراهن من التنويع في عرض المادة وأسلوبيتها ورؤية الكاتب الذي يعقد ميثاقاً مع القارئ في نص لا يخضع للشروط الصارمة التي رسمها لوجون لحدود هذا الفن واتبعه الدارسون فيها [٧٨٥].

ورفض الناقد البحث عن كسر أو أجزاء ذاتية في الأعمال الروائية للكتاب والكاتبات، تحت ذريعة أنّها سير مهربة أو غير مصرح عنها[٧٨٦] ، بقوله: ((وذلك خطأ لا نوافق عليه))[٧٨٧] لأنّ ذلك يعني زحف التفسيرات الخارجية على النصوص ، وهو ما حاولت

---

(٧٨٢) م.ن :١٢٣
(٧٨٣) م.ن :٢٢
(٧٨٤) يُنظر ، البحث : ٤٢-٤٥
(٧٨٥)ينظر، البوح والترميز القهري: ١٧٧
(٧٨٦) ينظر ، م.ن : ٨ .
(٧٨٧) م.ن: ٨ .

المناهج النقدية الحديثة مقاومته وإقصاءه لصالح قراءات تستند إلى النص[٧٨٨] ويبدو لنا منطقية كلام الناقد في استنتاجه ، فمسألة الشك مازالت تثار في مدى توافر الصدق والحقيقة في النص السيرذاتي ، رغم وجود الميثاق بين المؤلف والقارئ ، فكيف إذا كان عملاً روائياً يستند في بنائه على التخييل[٧٨٩] ؟

ولكن الناقد وقع في مطب التناقض مرة أخرى ؛ لأنه في الجزء التطبيقي من الدراسة أسقط التفسيرات الخارجية لواقع المؤلف على دواخل نصه الروائي ليثبت سيريته وعدّ تلك التفسيرات مواثيق نستدل من خلالها على توظيف أجزاء من حياة الكاتب في نصه الروائي [٧٩٠] .

ودعا الناقد إلى احترام تجنيس النصوص ؛ لأن ما يحدده المؤلف على الغلاف الخارجي ،سيكون عتبة مهمة وموجهاً مهماً من موجهات القراءة كما تقرر نظرية التلقي التي تبنى الناقد أفكارها في المرحلة الأخيرة من دراسته التطبيقية على النصوص.

وتبدو عناية الناقد بالقارئ جليّاً في استنطاق النص ومنحه قيمته الفنية والجمالية ؛لأن فضول القارئ لا يقف عند نص السيرة الذاتية فحسب وإنما يقف عند شخصه وحياته ف ((هذا القارئ ذو الفضول سيحاول إنجاز فعل المشابهة ، بينه وبين السارد أو الكائن السيري، بفعل المشاركة والتجارب المتماثلة، و يحاول أن يملأ فراغات النص أو (المسكوت عنه). بفعل إعادة ترتيب الأبحاث وفق متنها لا مبناها الذي ظهرت عليه في السيرة، ولعل ذلك جزء من مكافأة القراءة، ومتعتها، وإنجاز طلب (الاعتراف) والقبول الذي ينص عليه ميثاق السيرة الذاتية وطابعها التعاقدي))[٧٩١].

وأن هناك ما أسماه الصكر بـ(الاكراهات) التي حتما ستكون حاضرة في أثناء إنجاز فعل القراءة والتي لا تقل أهمية في إنجاز شعرية السيرة الذاتية عن فعل كتابتها[٧٩٢]، كالصدق ،والرقابة التي تقام على الكاتب وسطوة الحاضر على فعل الكتابة وتغير نفسية الكاتب من زمن إلى آخر[٧٩٣] .

---

(٧٨٨) ينظر : م . ن : ٨ .
(٧٨٩) ينظر : م . ن : ٩ .
(٧٩٠) ينظر : البوح والترميز القهري: ٦٢ .
(٧٩١) م. ن: ١٠ .
(٧٩٢) ينظر، م.ن: ١٠-١١ .
(٧٩٣) ينظر م . ن : ١٠ .

وأخيرا يحاول الصكر ضبط تلك الحدود بوضع مرتكزات يمكن عدّها خلاصة للفصل بين السيرة الذاتية والأنواع المحايثة لها ،واعتمدها فيما بعد لتجنيس الأشكال المتنوعة للنصوص في الجانب التطبيقي من دراسته، متمثلة بالآتي[٧٩٤] :

١-ضمير المتكلم هو ضمير السرد في السيرة الذاتية

٢-تحقق مبدأ التطابق بين الانوات الثلاث (أنا المؤلف / أنا السارد/ أنا الكائن السيري)

٣-الزمن في السيرة الذاتية هو: ((زمن الحدث- زمن السرد - زمن الكتابة- زمن القراءة)).

أما المحاذير التي تمنع من وجود سيرة ذاتية نموذجية فهي : (الكذب- الخطأ- الرقابة - النسيان- التناسي - التبرير - التعديل - الإسقاط - الإضافة - الحذف - الانتقاء - الصمت=التجاهل) ، ويحدد الأنواع المحايثة للسيرة الذاتية بالأشكال الآتية: رواية السيرة الذاتية- المذكرات- اليوميات - الرسائل - الشهادات- المحاورات - قصيدة السيرة الذاتية.

والناقد في تحديده لتلك الأنواع المحايثة يبدو أنه أغفل أنواعاً كثيرة قريبة من السيرة الذاتية قرب تلك الأنواع التي ذكرها ، كالخاطرة الذاتية ، والاعترافات ، والذكريات ، والمقالة الذاتية وأدب الرحلة ، وسيرة المكان ، والمفارقة أن هناك أنواع ذكرها في دراسته التطبيقية من هذا الكتاب وطبقها على نصوص قال بتحقق تلك الأنواع فيها ، إلا أنه لم يذكرها هنا مع ما ذكره من أنواع محايثة ، مثل: (سيرة المكان)[٧٩٥]، و(الرحلة)[٧٩٦].

ويتطرق الصكر إلى السيرة الذاتية النسوية في موضوع آخر من كتابه تحت عنوان (السيرة الذاتية النسوية آفاقها ومحدداتها) ، يحاول الناقد أن يجيب عن سؤال أثارته إحدى الكاتبات* وهو ((هل هناك سيرة ذاتية نسائية ؟))[٧٩٧]، وقبل أن يُجيب عن هذا السؤال يشخص الصكر الخطر والمعاناة التي تحيط بالمرأة في المجتمعات العربية بوصفها امرأة وكاتبة ومثقفة من خلال الإشارة إلى المحذورات التي تحف بالسيرة الذاتية جنساً أدبياً ، وهذا يجعل المرأة واقعة تحت وطأة الخشية من البوح وتحديد موقعها من الرجل والمجتمع ومن ذاتها المنطوية على (جسد) تجهله ورغبة لا تصرح بها محفوفة بمتاعبها

---

(٧٩٤) ينظر م .ن : ١١ .

(٧٩٥) ينظر، البوح والترميز القهري ١٤٩.

(٧٩٦) يُنظر : م . ن : ١٥٤.

** الكاتبة هي غراء مهنا في كتابها (السيرة الذاتية في صيغة المؤنث) : ٤٤ ، ينظر : البوح و الترميز القهري : ٤٤*

(٧٩٧) م.ن:١٤.

البايولوجية[٧٩٨]، لذلك يصف صعوبة موقف المرأة في كتابتها لذاتها بأن السيرة الذاتية النسائية تسير في طريق شائك ملغوم[٧٩٩] ، ولعلّ ذلك الوصف يختصر الكلام عن المعوقات التي تعترض المرأة في البوح عن ذاتها ، فهي من (عورة) و(محصنة) ، واقعة تحت الحجاب ، أو بدون صوت مميز يستظهر ذاتها وهويتها بحسب المخيال الثقافي العربي الإسلامي[٨٠٠]، ويُفسر لنا قلة الانتاج الكتابي النسوي في هذا المجال.

ومن الأمور التي ركز الناقد عليها هنا هو (اللغة) ؛ لأنّها تبرز (الأنا) بشكل جلي، ثم كيفية استعمال الكاتبة لتلك اللغة بحذر ونسبة الابتعاد والاقتراب من محددات الحياة ، والمحذورات كالجسد المسكوت عنه ، والمؤسسات والتقاليد الثابتة في المجتمع ، إذ يرى أن ما يحدث في السيرة الذاتية النسائية هو ابتكار لغة أخرى غير اللغة المتعارف عليها في السير الذاتية للذكور[٨٠١] ويتضح لنا أهمية كلام الناقد فيما سبق تسليطه الضوء على (اللغة) وهي الجزء الأساس من السيرة الذاتية ، فالإنسان ينشأ ذاتاً داخل اللغة وعبرها ؛لأن اللغة وحدها تؤسس مفهوم (أنا)، والذاتية يراد بها هنا قدرة المتكلم على فرض نفسه "ذاتا"، فهي ليست الا انبثاقا في الوجود لخاصية جوهرية في اللغة ، فالذي يقول (أنا) هو (أنا)[٨٠٢].

وتحاول الكاتبة بكتابتها لذاتها أن تستجلي آلامها الذاتية وعذاباتها المقررة على مستوى الحياة الشخصية ، ومن ثمَّ تحرر الذات من شعورها بالدونية والاستبعاد ولا يتحقق ذلك إلا من خلال اللغة ، فضلاً عن ما يحدثه فعل التذكر في أفق الزمن ؛ إذ يتحول فيه وعي الكتابة إلى الوعي الممكن بالوجود الماضي من خلال الحاضر .

وتتمحور الإجابة عن السؤال السابق في الكشف عن وجود سيرة ذاتية نسائية أو عدمه، في النماذج التي اختارها الناقد من الكتابات الذاتية النسوية ، فقد اختار نماذج مختلفة في تشكيلاتها وأنواعها (سيرة ذاتية –رسائل –شهادات –مذكرات) ونظن أن المغزى من ذلك هو أن الكاتبات العربيات وإن حاولن أن يُسجلن حضورهن في كتابة هذا الجنس الأدبي إلا أن

---

(٧٩٨) ينظر، م . ن: ١٥

(٧٩٩) ينظر، م . ن : ١٦

(٨٠٠) المتكلم في النص مقالات في السيرة الذاتية ،عبد القادر الشاوي ،منشورات الموجة ،ط١، ٢٠٠٣ :٣٧

(٨٠١) ينظر، البوح والترميز القهري: ١٥.

(٨٠٢) ينظر، عن الذاتية في اللغة ، اميل بنفست، تر: صابر الحباشة، مجلة الأقلام، العدد الثاني، دار الشؤون الثقافية العامة٢٠١٠: ٦،٧

أعمالهن تبقى كسرا من السرد السير–ذاتي، فثمة معوقات تحول دون استقرار السيرة الذاتية النسوية من اكراهات ومحاذير ذكرها الناقد تمنع من وجود سيرة ذاتية نموذجية كالكذب و الرقابة والتبرير والتعديل والحذف والانتقاء و التجاهل[٨٠٣]، لذلك تلجأ الكاتبات إلى أنواع محايثة أخرى كالمذكرات والرسائل والشهادات ، وهو ما اسماه الناقد بأنّها ((صيغ هروبية)) [٨٠٤]؛ لأنّها أنواع لا تلتزم البوح التام لسرد الأحداث ، و التركيز على التجربة الكتابية والأدبية في كتاباتهن من دون الخوض في تضاعيف الحياة ومفرداتها وهو ما تتطلبه السيرة الذاتية وذلك يُشير إلى ندرة المكتوب في هذا الجنس ، أما أسباب هذه الندرة فيرجعها الناقد إلى أسباب ذاتية وتوقعات القراءة ، فضلاً عن المحددات والموانع الاجتماعية في مجتمعاتنا العربية[٨٠٥] .

وتأتي مثالاً لما سبق قراءته التي عنونها (اللمحات المهربة من سيرة لا مدونة) لنص (لمحات من سيرة حياتي وثقافتي) لنازك الملائكة ، وهي السيرة التي كتبتها استجابة لطلبات بعض الباحثين وطلبة الدراسات العليا ، تزدحم فيها تلك اللمحات بالتواريخ التي تؤرخ لدراستها وبداياتها في الشعر ومؤلفاتها وعملها في جامعة الكويت وهو ما يجعلها قليلة القيمة لا تفيد إلا دارسي حياتها وعملها[٨٠٦] و أن تصريح الشاعرة بإحساسها بالانطواء والصمت والخجل في كتابها ، وأن ما كتبته كان مجرد مذكرات إذا تقدمت خطوة فيها تراجعت عشر خطوات[٨٠٧] يؤيد ما شخصه الصكر من أن موانع الخجل والانطواء والصمت ، تحول دون إنجاز الكاتبات لسيرهن الذاتية، أو إخفاء ما يكتبن من أنواع محايثة كالمذكرات واليوميات...[٨٠٨] .

أما قراءته لشهادة الروائية العراقية عالية ممدوح بعنوان (أنا : شذرات من سيرة الشغب) فإن الناقد أول ما يعاين هنا العتبة الأولى للنص المتمثلة بالعنوان ، الذي يعد

---

(٨٠٣) ينظر، البوح والترميز القهري:٩
(٨٠٤) م . ن : ٢٤
(٨٠٥) ينظر، م.ن:٣٢
(٨٠٦) ينظر : م.ن : ٢٠
(٨٠٧) ينظر ، م . ن : ٢١ .
(٨٠٨) ينظر : م . ن: ٣٢ .

عنصراً أساساً في النصوص لاسيما النص النثري[٨٠٩] ، فهو من العتبات التي لا تنتمي إلى المتخيل، ولا يرويها الراوي بل هي حديث المؤلف للقارئ لوقوعه خارج حدود النص[٨١٠] .

يرى الناقد أن الضمير المنفصل (أنا) هو الإعلان المباشر عن الذات ، أما مفردة (شذرات) ، فهو اعتذار ضمني عن الخوض في تفاصيل الحياة ، لذلك فهي تُبرر لنفسها المنسي والمحذوف والمسكوت عنه بتلك المفردة (شذرات) والتي توحي بالإيجاز أيضاً[٨١١].

وهذا المسكوت عنه والانتقاء في سرد الأحداث وجده الناقد في نص آخر هو نص(صفحات من الذكريات) لفاطمة موسى حيث يرى الناقد أن العنونة بتلك المسميات مثل (صفحات من الحياة) أو (أوراق حياتي) هو تهرب من جنس السيرة الذاتية المخيف باشتراطاته ، فالكاتبة تختزل سيرتها وكأن ثمة دفترا لسيرة حياتها لم تذكر منه إلا صفحات قليلة ومبتسرة ؛ لذلك يعنون الصكر قراءته لهذا النص بـ (فاطمة موسى: صفحات من دفتر الحياة)[٨١٢] .

إن تصريحات الصكر في هذه القضية لايمكن أن نعدّها انعكاساً سلبياً على السيرة الذاتية النسائية ، ولا سيما أن هذا اللون الأدبي يُركز في عمقه وفي بنيته على ذات المؤلف ، رجلاً كان أو امرأة ، وعلى كشف أبعادها وخفاياها ، وعلى تجريدها من لبوس المواضعات الاخلاقية والاجتماعية والدينية التي من شأنها أن تُضفي ستاراً كثيفاً دون حقيقة الذات وأغوارها ، وهو مايصعب على المرأة العربية أن تخوضه في ظلّ الواقع العربي ؛ فإن عناصر السيرة الذاتية مبثوثة في كل أنواع الكتابات النسائية بشكلٍ مطلق سواء أكان شعراً أم رواية أم مذكرات أم حوارات ، فضلاً عن عنوانات هذه الكتابات التي خلقت إشكالية لدى أكثر النقاد ، وليس عند الصكر فحسب ، التي يُصرحن فيها الكاتبات بأن كتاباتهن عن الذات هي أجزاء من سيرهن ، ولا تشمل كل نواحي الحياة .

وقد تُركز الكاتبة على ذاتها في كتابة ألوان أخرى من الأدب في محاولة منها لتعويض ذلك الإقصاء والتهميش [٨١٣] ،

---

(٨٠٩) ينظر السيموطيقا والعنونة جميل حمداوي ، مجلة عالم الفكر ،مجلد ٢٥-العدد٣،لسنة ١٩٩٧: ٩٨.

(٨١٠) ينظر ، السيرة بوصفها شكلا سرديا ،د.لطيف زيتوني ،من كتاب السرد العربي أوراق مختارة من ملتقى السرد العربي ،تحرير وتقديم ومراجعة د.محمد عبيد الله ،منشورات رابطة الكتاب الأردنيون ،ط١ ،٢٠١١ :١٢١

(٨١١) ينظر ، البوح والترميز القهري : ٣٠

(٨١٢) م.ن: ٢٧

(٨١٣) ينظر ، البوح والترميز القهري: ٣٢

ويبحث الناقد في تداخل السيرة الذاتية مع الرواية تحت عنوان (من المماثلة إلى المطابقة السيرة والرواية) وقد بسط القول في ذلك وقدم أراء نقدية قيمة وضحت للقارئ طبيعة هذا التداخل وأسبابه ، و فصل القول في إشكاليات التجنيس وهوية الأعمال ، وإشكاليات المصطلح والمفهوم ، وجمعت جهوده في هذا الموضوع بين التنظير والتطبيق على نصوص روائية ، انتهى من خلالها إلى جملة نتائج ووضع قواعد لسد فضول القارئ في بحثه عن التشابه بين الحقيقة والمتخيل على الورق فطالما أن القارئ قد التمس أجزاءً من سيرة الكاتب في روايته ، فعليه بفحص السيرة الذاتية في النص ؛ إذ يقول: في حال اتخاذ الكاتب أسلوب السرد الروائي سبيلاً لتوصيل أحداث حياته للمتلقي، ووصل ذلك التداخل حد التماهي فيجب أن تفحص السيرة الذاتية على أساس انتمائها إلى الرواية ، أما ((القول بوجود رواية سيرة ذاتية كنوع من الرواية ذاتها و تنويعا عليها أو توسعا منها يعيد هذا النص إلى الرواية ويحتكم إلى أعرافها وقوانينها، كما يحصل في قصيدة النثر التي ينبغي فحص نثريتها انطلاقا من وجود الشعر فيها كأصل في خلقها أو إبداعها وليس الانطلاق من النثر لرؤية شعريتها ووجود النثر فيها، فالسيرة هي الأصل في قراءتنا والرواية كيفية ممكنة لتوصيلها وليس العكس))[٨١٤] .

ولأن السيرة الذاتية تجمع بين السرد التاريخي والأسلوب القصصي في الرواية فإن الناقد يقول: ((فنياً تقف السيرة الذاتية على مسافة قابلة للإلغاء والتجاوز من التاريخ والرواية بكونهما أكثر الحقول قرباً منها وكذلك من أكثرها تغذيةً لها بالمادة السير–ذاتية))[٨١٥] ونحسب أن الناقد قصد بذلك أن المسافة الفاصلة بين الحدث في الماضي وكتاباته الآن قابلة التجاوز بقوة الفن الكتابي ، فالسيرة تحاول الإفادة من كل ذلك وفائدته في شعريتها أي قوانينها، فإن هذا الحدث الماضوي كيف نتجاوزه بالفن وعندما نتجاوزه بالفن نكون قد قلصنا المسافة لصالح الفن على حساب التأريخ، أما إذا نقلنا الحدث بسرد تأريخي محض وسعنا المسافة لصالح التاريخ .

ولتشخيص النص السيرذاتي يقترح الناقد فحص الأمور الآتية :التطابق وصلة المعيش بزمن السيرة ، والميثاق السيرذاتي، وهي عناصر أساسية يجب توافرها في أي نص سيرذاتي،

---

(٨١٤) م . ن: ٥١

(٨١٥) ينظر، م.ن : ٤٩

مع الأخذ بنظر الاعتبار المحذورات والمحددات التي تحف بالكتابة السيرذاتية كالنسيان والتناسي وتبدلات المواقف وما يتصل بالحرية الاجتماعية والسياسية والدينية[٨١٦] .

ويرفض الصكر القراءات الساذجة التي تجعل من العالم الخارجي مرجعا ضاغطا عند المقارنة ، وهذا كان سببا في تجريم الكاتب لعدم فصله بين المتخيل على الورق في الرواية والعالم الخارجي ، ويصف تلك القراءات بأنّها قراءات سطحية[٨١٧] ((لا تعترف بعالم السرد وخصوصية شخوصه وأحداثه وخطابه المنبني على التماثل والتخييل أساساً))[٨١٨] ، ونحن نتفق مع الناقد في رأيه ؛ إذ لابد من احترام التجنيس المثبت على الغلاف الخارجي للنص ،والإخذ بنظر الاعتبار أنه وإن كان النص يتضمن شيئاً من سيرة الكاتب، فقد أصبح هذا النص خاضعاً لقوانين الرواية والتخييل طالما جنسه صاحبه رواية.

ويرى الناقد أن الكتابة في هذا النوع يتولد عنها مأزقان هما: مآزق كتابية فان كُتّابه سيضحون بكثير من أعراف السيرة ويستجيبون لخطاب الرواية ، وما يفرض من تخييل وإيهام ومآزق قرائية تتمثل بأن القارئ يستنفر طاقته التطابقية ، ويعلو فضوله للبحث عن مفردات حياة الكاتب كما حصلت[٨١٩] .

يرفض الناقد القول بالتطابق بين المؤلف والشخصية الروائية للأسباب الآتية :

- ((الفضاء التخييلي في العمل الروائي الذي يباعد المطابقة المفترضة في السيرة الذاتية، ويصنع على مستوى التلقي عالماً متخيلاً تبتعد فيه (الذات (الساردة عن ماضيها الذي يرغب المتلقي في معرفته...المثال أو النموذج الذي تحيل إليه الرواية والذي يأخذ شكلاً تعميمياً يباعد بين خصوصية (الذات) والشخصية الروائية الساردة))[٨٢٠].

و هناك أسبابٌ منهجية وفنية تتمثل بأن التحقق من حياة المؤلف وأحداث خارج نصية لتأكيد المطابقة وهذا يبعدنا عن النص الذي يبنى على طابع تخييلي للرواية ويعود بنا إلى المناهج التقليدية التي تربط النص بأحداث خارجية في حياة المؤلف[٨٢١] وهذا يوضح اهتمام الناقد بالنص فهو ناقد نصي .

---

(٨١٦) يُنظر : البوح والترميز القهري: ٣٢
(٨١٧) يُنظر : م . ن :٥٠
(٨١٨) م.ن: ٥٠ .
(٨١٩) ينظر، م .ن :٥٠
(٨٢٠) م . ن : ٥٢
(٨٢١) ينظر : البوح والترميز القهري: ٥٠ .

ويحترم الناقد هوية الأجناس ؛ إذ يرى أنه لا يحق لأحد إغفال قصد المؤلف في تجنيسه الصريح لعمله على الغلاف الخارجي بكلمة (رواية) ويؤكد على ما ذهب إليه لوجون في التفريق بين المشابهة التي يقوم على أساسها المتخيل السردي كالرواية والقصة، وبين (المطابقة) المتحقق في ميثاق أو عَقد السيرة الذاتية[٨٢٢] .

وفي اختلاف الباحثين والدارسين عن المصطلح الأنسب لهذا التداخل ، يُحاول الناقد فض هذا الخلاف باقتراح مصطلح (السيرة الذاتية الروائية) وإقناعنا بتفضيله لهذا المصطلح مقدماً مسوغات لذلك نحاول إيجازها بالآتي: الانطلاق من منطقة (السيرة الذاتية) وما تفرضه كحاضنة لهذا النوع (الهجين) الجديد، وتوفر العناصر الأساسية التي تحقق سيرية النص وهي: التطابق بين المؤلف والسارد، واستعمال ضمير المتكلم ، والسرد استعادي من الماضي باتجاه الحاضر ، والتوثيق بالأحداث والتواريخ ، والتخفف من الخيال المستخدم في السرد الروائي ، توظيف تقانات الفنين في النوع الجديد الهجين[٨٢٣] واستثمار العتبات النصية الموجّهة للقراءة (مقدمات، عنوانات) لتأكيد الجانب السيري[٨٢٤] .

وفي انتقال إلى السيرة الذاتية الخالصة أو المعلنة ، يبدأ الناقد بقراءة لسيرة إحسان عباس (غربة الراعي)، كنموذج لهذا الفن في الأدب العربي ليستخلص من تلك القراءة أن ((هذا النوع الأدبي الذي لايزال ضعيفاً محدوداً في أدبنا العربي، لما تحمله (السيرة الذاتية) من محاذير أخلاقية في المقام الأول، لالتصاقها بالكاتب وعائدية أحداثها ووقائعها إليه مباشرة))[٨٢٥] مما يهيئ القارئ أن ما سيتلقاه من النصوص تنقصها "الصراحة الكلية" المحذوف والمضاف والمعدل[٨٢٦] ، ويسلط الناقد الضوء على نوعين من المحذور ،محذور(أخلاقي) وهو ما تحدثنا عنه سابقاً وهو يخص المحتوى المسرود في السيرة، يليه محذور (فني) يتحصل صياغياً وتركيبياً من صعوبة الموازنة بين السيرة كتراكم أحداث ووقائع حافلة بالتواريخ والأمكنة والأسماء والمواقف، وبين السيرة فناً أدبياً يقدم تلك الوقائع والأحداث والمواقف بأسلوب فني متميز عن السرد المباشر[٨٢٧] .

---

(٨٢٢) ينظر م . ن : ٥٢ .
(٨٢٣) ينظر، م .ن: ٥٢
(٨٢٤) م . ن : ٥٥ .
(٨٢٥) م . ن : ٩٢
(٨٢٦) يُنظر ، البوح والترميز القهري: ٩٢ .
(٨٢٧) يُنظر : م . ن : ٩٣ .

نستنتج من كلام الناقد أن هناك ضرورة يجب مراعاتها في فن السيرة الذاتية وهي قضية الموازنة أو الاتساق الكبير بين مرجعياته الخارجية أو الواقع التاريخي ، ومكوناتهُ الفنية الداخلية بما يجعلهُ يجنح للتماهي مع ذات المؤلف بوصفه فرداً واقعياً ومنظومة من الأحداث المتصلة بالزمان والمكان ، مُسلطاً الضوء على هذه الذات وأغوارها.

ويذهب البحث إلى ما ذهب اليه الصكر في رفضه تفضيل إحسان عباس بأن يكتب كاتب السيرة سيرته في سن متأخرة بقوله: ((ولكننا لا نذهب إلى ما ذهب إليه المؤلف الفاضل، فالسيرة الذاتية فن ممكن في كل زمن إذا ما امتلكت شروط البوح والادلاء، بل تكاد تكون الشيخوخة، والمكانة الراسخة التي أخذها الكاتب في الحياة الثقافية، تجعلان البوح ممكنا ورقابة المجتمع أقل قسوة وحدة. أما إذا كانت الشيخوخة تبريرا للنسيان أو الحذف اللاشعوري- خاصة إذا لم تكن للكاتب مذكرات يسجل فيها الأحداث عند وقوعها- فالأمر عند ذلك يتعلق بنفسية الكاتب والحيل اللاشعورية التي يمارسها لتناسي ما أراد تذكره أو استرجاعه مما يؤذي الكاتب أو قارئه ومجتمعه))[٨٢٨] .

ويقدم الناقد لأشكال أخرى تُعدّ توسيعاً للسيرة الذاتية كالرحلة، والرسائل، وسيرة المكان ، ويوميات المدن) والتي هي مدونات ذاتية فيها مساحة للبوح ، ورصد نواحي مختلفة من الذات ورصد الأمكنة ومتابعة جماليتها وثقافاتها برؤية ذاتية، وإبراز قيمتها الوثائقية كرصد للشعور والانفعال والإدراك ، فالأدب العربي به حاجة لمثل هذه الأعمال المحايثة للكتابة والتي ترضي فضول القارئ وتقرّب الأدباء منه ، بعد أن قرّبت بين الأدباء أنفسهم ، وفسحت للبوح والتصريح مساحةً قد لا تتسع لها الكتابات الأخرى ، وربما أخْفَتها وراء التخييل والخلق والتصورات المطلوبة لبناء عمل بمزايا فنية وأسلوب أدبي .وذلك يعني أن السيرة الذاتية تشكل انصهاراً لفنون كثيرة (التاريخ، المقالة، القصة، الرسالة، الرحلة...)[٨٢٩].

فقد عدّ الناقد تلك الأنواع تنويعات وتمدد للسيرة الذاتية وتوسيعها باتجاه أكثر سعة، وهذا جزء من تأثير ما بعد الحداثة وهدم حدود الأنواع والدعوة لاندماجها والاقتراض في ما بينها ، أي تأخذ من بعضها مزايا وقوانين [٨٣٠].

---

(٨٢٨) م. ن: ٩٤ .
(٨٢٩) ينظر، البوح والترميز القهري: ٥٤
(٨٣٠) ينظر، م.ن:٥٦

ومن هنا صار الرحالة مثلاً يكتبون سير المكان ، والحديث عن وجودهم فيه، وقد مثل الناقد لذاك بالروائي (وارد بدر السالم) في نصه (الهندوس يصعدون إلى السماء- رحلة إلى جبال الهمالايا الهندية) في قراءة تحت عنوان (بصراوي في الهمالايا) و(خليل النعيمي) في نصه (الهند)[٨٣١].

وهناك ما اصطلح عليه الناقد (يوميات المدن) ، وهي نوع جديد من أدب الرحلة يتأسس في الكتابة العربية لا يكتفي بالحديث جغرافياً وسياحياً بل صار للذات دورها في تشكيل المكان والحفر في دلالاته النفسية والثقافية. بعد أن غدا الإسقاط الظاهراتي للشعور والإدراك على المكان عادة ثقافية وطريقاً للكتابة [٨٣٢].

وخصص موضوعاً في كتابه تحت عنوان (نماذج من السيرة الثقافية) تحدث فيه عن ما يكتبهُ الأدباء من سيرهم الأدبية والإبداعية بوصفه نوعاً من التوسع في كتابة السيرة الذاتية [٨٣٣].

ويبدو لنا هنا التناقض في موقف الصكر ؛ إذ إنهُ في بداية كتابه هذا يرفض ماجاء به الناقد محمد صابر عبيد اجتراح أنواع جديدة في كتابة السيرة الذاتية بذريعة أنهُ يُضيف نوعاً من البلبلة الاصطلاحية في نقد السيرة الذاتية [٨٣٤] .

واختتم الناقد دراسته في البوح والترميز بقراءة قيمة لنص طالما أغرى الدارسين والباحثين وشغلهم في الكشف عن قيمته الفنية والجمالية والاجناسية وهو نص (الأيام) لطه حسين تحت عنوان ((طه حسين وأيامه المبصرات))[٨٣٥] ، وقد ذكرنا سابقا أن الناقد يخالف الدارسين في استعمال ضمير الغائب ويفضل استعمال ضمير المتكلم الذي ينسجم مع سيرية النص السيري ، [٨٣٦]غير إن موقفه تغير مع ماذهبت إليه الدراسات الحديثة من الدعوة الى التحرر من القواعد التقليدية لاستعمال الضمير في السرد السيرذاتي كون الضمير النحوي لايُمثل فيها عائدية أو ينفيها عن راويها أو كاتبها[٨٣٧] ، فعلى الرغم من استعمال ضمير الغائب في (الأيام) فإن عائديتهُ على طه حسين واضحة وصريحة ؛ إذ

---

(٨٣١) ينظر ، م.ن: ١٢٠

(٨٣٢) ينظر، م .ن :١٥٦

(٨٣٣)ينظر، م.ن : ١٠٧

(٨٣٤)ينظر، م.ن : ١٤١.

(٨٣٥) البوح والترميز القهري: ١٧٦

(٨٣٦)لينظر، م .ن : ١٧٧

(٨٣٧)ينظر، م.ن :١٧٨

يقول: ((لقد تحققت في(الأيام) المطابَقة المشترطة في السيرة الذاتية تفريقا لها عن المماثَلة أو المشابَهة التي تقوم عليها الرواية، وكانت ذات طه حسين حاضرة كشخص متخيل يروي عنه الكاتب مادام يستعيد من خلال وجهة نظره زمنا ماضيا يتقاطع –في أحد التباسات السيرة الذاتية وإشكالاتها الفنية – مع الزمن الحاضر والوعي بالذات في اللحظة الراهنة– لحظة الكتابة– بل على العكس يصبح الابتعاد عن ضمير المتكلم في السرد السيري تحقيقا للمصداقية المشترطة في كتابتها ، وتقمص الشخص الذي كانت هيأة كاتب السيرة عليه قبل التدوين))[٨٣٨] لذلك وصف (الأيام) أنّها ((مبصرة لم يسلبها العمى بصيرتها الثاقبة بحق ، وهذا يجعل الرصد الاستعادي فيها للوجوه والتعبيرات والمواقف ممثلا بالبصر))[٨٣٩] .

وبعد قراءة في (البوح والترميز القهري) يمكننا القول بأن الصكر تمكن من أن يثبت للقارئ تنويعات النصوص السيرذاتية بمسميات متعددة تخفيا من المحذورات والمحرمات المسلطة على الكاتب والكاتبة في المجتمعات العربية ، لذلك تأتي السيرة الذاتية منصهرة من الداخل وقد تضمنت شتى المظاهر بين تاريخ ورواية ورسائل وسير لأمكنة ويوميات لمدن ، تمثل الذات مرجعيتها التي لا تنفك عنها، ونرى أن كتاب الصكر يزخر بقيمته النقدية فهو كتاب أرسى لنا عند كل محطة من محطات السيرة الذاتية توضيحات لجوانب كانت غير مكشوفة لنا ، وذكر تعليلات رفضه لطروحات نقدية سبقته بأدلة علمية نقدية ذات دقة منهجية للقارئ وإن لم يتفق معها بشكل مطلق ، وقد نوع في أشكال النصوص التي تناولها في الجزء التطبيقي من الكتاب ، غير أن قيمته تكمن بشكل أكبر في ما تناوله من جديد في معالجة الكتابات النسوية للسيرة ، والتطبيقات عليها على اعتبار أن السيرة تتناول موضوعات حساسة ، و تتطلب الصراحة كأساس في كتابتها ، وهو ما يصعب على الكاتبة العربية التي تعيش في مجتمع يقيد الحريات والثقافات ، وقد جاء الكتاب ليطبق (البوح) و(الترميز) في نصوص سيرية ، وسيرية نسوية، متوصلاً إلى نتائج نرى أنّها الأقرب إلى الصواب والإجابة الوافية لمن يتساءل عن وجود سيرة ذاتية نسائية ، وقد نبه الناقد على ثقافة المرأة العربية وكفاحها المستمر في رفضها للتهميش والإقصاء ، فضلاً عمّا قدمه من آراء نقدية قيمة في إشكالية التداخل بين فني السيرة الذاتية والرواية محاولاً تقديم قواعد خاصة تكشف للقارئ اللّبس في هذا النوع الهجين ، وتعريفه بأنواع متعددة قريبة إلى فن

---

(٨٣٨) ت مظهرات التشكيل السيرذاتي : ١٧٧ .

(٨٣٩) م . ن : ١٧٧ .

السيرة ، وإشارته إلى قيمتها الأدبية ، وطريقتها في اقتراض بعض آليات السيرة الذاتية، محاولاً تقصي تلك الآليات تطبيقاً على نصوص الكتاب.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة البحثية المتواصلة مع السيرة الذاتية الحديثة وما يتصل بها كتّاباً ودارسين توصلنا إلى نتائج هي ثمار جهدنا في البحث والتقصي أجملها بالآتي :

١- لقد شاب استعمال مصطلح السيرة الذاتية في حقل الدراسات النقدية نوعٌ من تعدد الوضع المصطلحي، متأثراً بما آل إليه وضع الثقافة العربية المترّنحة بين دخيل وأصيل ، وترى الدراسات النقدية أن السيرة الذاتية هي من أكثر الأنواع الأدبية إثارة للنقاشات، لأنها لا تُريد أن تستقر، فهي جنس أدبي مراوغ وغير محدد الملامح ؛ وذلك لأنها تشتبك مع أجناس أدبية حين تستعير آليات عملها ومنطقها الفني ، ورغم أن الكثير من النقاد قد حاولوا التنظير لها وضبط مجال المصطلح واشتغاله إلا أنه يظلُّ مصطلحاً ملتبساً ، و هذا يعني عدم إلزام كُتّاب السيرة الذاتية بشروطٍ صارمةٍ بالإمكان أن يتخففوا منها مثل استعمال ضمير المتكلم ، واسلوب السرد المباشر ، والترتيب الزمني والمنطقي للأحداث ، أمّا الشروط التي تُشكل القاعدة الجوهرية للنص السيرذاتي مثل الميثاق السيرذاتي وتطابق الأنوات الثلاثة (أنا المؤلف أنا السارد انا الشخصية المركزية)، ومحاولة التزام الصدق وإن كان نسبياً، وعدم الإغراق في الخيال، فهي شروط يجب أن يلتزمها كاتب السيرة الذاتية كي لا يخرج نصهُ عن حدود هذا الفن ومساره .

٢- إنّ النقد السيرذاتي العربي في بداياته ظلَّ لمدة طويلة يدور حول محور تأريخي يتكرر في مؤلفات النُقاد يتمثل بإثبات إما عروبة السيرة أو أنها أدب غربي دخيل .

٣- إن من يطلع على النقد العربي السيرذاتي يُلاحظ تأثره بالنقد الغربي السيري في مشروعه النقدي ، ومفهوم السيرة الذاتية ، ومآزق التعريف ، وراهن الكتابة الذاتية ، وواقع التخيّيل الذاتي ، وعوامل نشأة هذا المصطلح وغيرها من المفاهيم والنظريات النقدية التي تجلت واضحة في مؤلفات النقاد العرب بما نهلوه من المؤلفات الغربية ، فمنهم من عمل على تطوير أو تبديل بعض المفاهيم النقدية ، ومنهم من استعارها ووظفها في مؤلفه واعتبرها مرجعهُ الأساسي يَستلهم مما قرأه وتوافق مع نظرته النقدية، ولا يُخفى تأثر النقاد العرب في نقدهم السيري بأعمال الناقدين الفرنسيين فيليب لوجون وجورج ماي، باعتبارهما من الذين كرسوا، وبعمق، كل مجهوداتهم العلمية لتطوير مجال الأدب الشخصي سواء على صعيد التنظير أو التطبيق وأن أكثر الإشارات النقدية التي جاؤا بها، على غناها وعمقها، التقطها الباحثون العرب وعملوا بها تنظيراً وتطبيقاً على نصوص سير ذاتية عربية.

٤- إنّ ما تجدر الإشارة إليه أنّ النقاد والدارسين العرب عُنوا بالكشف عن علاقة السيرة الذاتية بالأجناس الأدبية الأخرى ، واجتهدوا بتسمية أنواع جديدة ناتجة عن تلك العلاقة

ووضعوا لها تعاريف ومصطلحات ، وأصبحت تلك الأنواع موضع اتفاق واختلاف فيما بينهم مما خلق إشكالية نقدية في قضايا عديدة أهمها المصطلح والمفهوم ، وقضايا أُخرى شديدة الصلة بفن السيرة الذاتية كالمطابقة ، والمشابهة ، والضمير ، والميثاق التي من شأنها أن تُقرب أو تُبعد هذه الأنواع الجديدة أو (المهجنة) من السيرة الذاتية نفسها.

٥- أثبتت الدراسات النقدية أن هناك تشابهاً كبيراً بين عناصر البناء الفني في السيرة الذاتية وعناصر السرود الأخرى ، و لاسيما الرواية لأن عالم الرواية متنوع ومتعدد ويَتسع لأحداث ومواقف متنوعة ؛ لذا وجدنا أن الدارس للبناء الفني في السيرة الذاتية لابد لهُ أن يُقابل ويُقارن بينها وبين بناء الرواية ، بل يستشهد بالتعريفات التي ساقها نقاد الرواية لتلك العناصر السردية من زمان ، ومكان ، وشخصيات ، وأهميتها ، وتقسيماتها في عالم الرواية في مقابل إثبات أهميتها في عالم السيرة الذاتية بوصفها فناً أدبياً سردياً لايعمل فيه السرد دون الارتكاز إلى تلك المكونات الفنية ، كما قسموها أسوة بتقسيمات النُقاد للعناصر البنائية في الرواية ، وتبقى قضية مهمة للتفريق بين هذين الجنسين على الرغم من قربهما من بعض ، وهي قضية الميثاق ، وقضية التطابق التي لا يمكن تجاوزها للإقرار بسيرية النصوص من عدمها وهو ماتفق عليه كل الباحثين والمنظرين للسيرة الذاتية، وهو ما جاء به فيليب لوجون واضع القاعدة الأساسية لهذا الفن التي انطلق منها دارسو السيرة الذاتية من بعده.

٦- وجدنا بعض النقاد يرفضون إطلاق الأحكام النقدية المتعجلة أو التي تَصدر عن بعض الدارسين بفرض ذات المؤلف أو حياته على نصوصه الإبداعية من خلال المقارنة والبحث عن علاقة بين خارج النص وداخله ، وبذلك يخضعون تلك النصوص إلى تجنيسات جديدة تتلاءم مع أهوائهم أو ما استنتجوه من قراءآتهم، ويُسقطون ما ثبته المؤلف على الغلاف الخارجي الذي يحدد جنس عمله ، وهذا يحصل في الأعمال الروائية على وجه الخصوص كون الرواية نصاً مفتوحاً وفضاءً يحتمل التنوع في الشخصيات الأحداث والأزمنة والأمكنة والمواقف، فعدّوها فرصة ملائمة لتخفي الكُتّاب خلفها والخلاص من عائدية الأحداث على الكاتب نفسه في السيرة الذاتية ، والحقيقة أنّ هؤلاء النقاد كانت لهم مواقف متناقضة مع أنفسهم ؛ إذ إنّهم بالرغم من إقرارهم بضرورة احترام تجنيس الأعمال المثبتة على الغلاف الخارجي من قبل المؤلفين ، إلا أنّهم حاولوا إثبات سيرية النصوص الروائية التي تناولوها

بالدراسة في مؤلفاتهم واسقاط سيرة حياة المؤلف على عمله الروائي من خلال اقتناص بعض الجوانب التي وجدوا لها تشابها في حياتهم الواقعية.

٧- نحسب أن التأسيس للنقد السيري اتخذ منحىً آخر بظهور جيل من الدارسين في فترة التسعينيات وما بعدها ؛ إذ كان لهؤلاء النُقاد حضور مميز في المدونة النقدية لفن الذات، فبعد أنْ حظي هذا الفن بعناية متميزة من لدن المتلقين نقاداً وقراءً ، وإسهام ذلك في الكشف عن تطور الأنواع السيرية وتلاقحها مع الأجناس الأدبية الأخرى، الذي قاد بدوره إلى انفتاح الرؤية النقدية الحديثة، وتعمق الشعور لدى النُقاد بضرورة المواصلة في هذا المجال الخصب، والمهيأ للكشف ، من خلال رفده برؤى ونظريات نقدية مختلفة ومتنوعة، تُضيء من خلالها أفضية النصوص، وتضُخ حيواتها الدلالية بطاقات قابلة للتوالد والتنامي ، فعَمدوا على معالجة مكوناته ومستوياته النصية ، و قامت مؤلفاتهم النقدية بعملية قراءة وتشريح النصوص السير ذاتية الحديثة ، وسبر لقيمتها ودلالاتها الجمالية والفكرية بحساسية نقدية جديدة ، تتوخى إعادة النظر في شروط القراءة وأدبية النص المقروء وإعادة تشكيل أفق تلقيها ضمن منظور تحديثي مُتجدد ينتسب إلى هذا الجيل.

٨- لمسنا جهوداً نقدية حثيثة وفريدة في استكشاف أنواع جديدة من كتابة الذات تمثلت بجهود الناقد الدكتور محمد صابر عبيد الذي استهواه هذا الفن فشرع يسبرُ أغوار النصوص ، ولاسيما النصوص التي لم تحظ بالقراءات النقدية بعد، وراح يستكشف ويكشف للقارئ عن وجود العلامات السيرية فيها وتضمينها حياة مؤلفيها، وممّا يُحسب له أنّه لم يخُص قراءآته النقدية بفن أدبي دون آخر، بل كانت عادته التنويع في تناول النصوص (رواية/وشعر/وقصص/وشهادات/وحوارات) في علاقتها بالسيرة الذاتية ، وابتغى التنويع في قراءته لنصوص أُدباء من داخل العراق وخارجه ، بغية تقديم نصوص تستحق التلقي والبحث لم تتناولها أقلام الدارسين بعد ، ثمّ استكشاف قيمتها الجمالية والفنية.

٩- إنّ نقد السيرة الذاتية هو مغامرة لا مهنة، تُنسج بين الباحث و بين كاتب السيرة الذاتية علاقة ، فضلاً عن أن التناول اللغوي لأحداث السيرة يوفر خلقاً جديداً لحقيقتها، فالكتابة السير ذاتية تسعى إلى بناء هوية نصية –لغوياً وذهنياً– تكون موازية لسيرة حياة واقعية؛ إذن فهو نقد مغامر ؛ لأنهُ يبحث عن القانون الجوهري لهذا النوع من الخطاب، وعن كل ما يضمن شرعيته اولاً، ثمَّ عن الكاتب /الراوي / الشخصية الملتصق بنصه السير ذاتي، بما

يُحققه في هذا النص من تفرد وإدهاش وإغراء للقارئ ، وما يتعلق بذلك من موضوعية وصدق وخيال وميثاق .

١٠- هناك مساحات شاسعة وأنواع كثيرة ما زالت بعيدة عن ساحة النقد السيري العربي تستحق عناية الدارسين واهتمامهم ، وهي فرصة لمن أراد منهم الخوض في مجالات مازالت بكراً لم تشبعها أقلام الدارسين، كما هو الحال مع الفنون الأدبية الأخرى كالرواية والقصة والشعر، اذا ماتوفرت لها النصوص الملائمة التي أغلبها لم ترَ النور في الدراسات النقدية، كالحوارات والشهادات والقصص والتجارب الذاتية.

١١- على الرغم من قناعة بعض الدارسين من أن الشعر ميدان لا يَقلُ أهمية عن ميدان السرد في كتابة السيرة الذاتية ، فحدود تصورهم لا يعدو أن يكون كتابة سيرة الحياة في نص أدبي تتوافر فيه شروط الفنية سواء أكان شعراً أم سرداً ، إلا أنّنا نرى أنّ السرد هو الأقرب والأكثر تعبيراً بحكم المساحة التي يمنحها وطاقته الاستيعابية لأدق التفاصيل ، غير أن ذلك لا يعني أنّنا نرفض انفتاح السيرة الذاتية على أساليب القول الإبداعية ، فالشاعر قادر على أن يُسخر شعره لنقل تجاربه الذاتية إذا كان قادراً على التلميح والترميز والإشارة والتعبير الوجداني عن حالته الشعورية الملتبسة، ويُعتبر ذلك نوعاً من المغامرة الفنية ، وإن هذا الانفتاح للسيرة الذاتية على الفنون الأدبية المجاورة وحصول هذا التشكيل الإجناسي جاء رغبة في الإنفلات من قيود القولبة النوعية أو الإجناسية التي فرضت هيمنتها لمدة طويلة على الأجناس الأدبية ، وهذا بدوره أسهم أيضا في انفتاح الرؤية النقدية الحديثة التي أصبحت تتمتع بمرونة مُشجعة لهذا التطور ، وفاحصة لمقوماته وأسبابه محاولين تأصيله في المدونة الإبداعية.

المصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم**

المصادر والمراجع

❖ أبواب ومرايا ، مقالات في حداثة الشعر ، خيري منصور ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ ، ١٩٧٨ .

❖ أدب السيرة الذاتية، عبد العزيز شرف ، مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة،١٩٩٨ .

❖ الأدب القصصي والمسرحي ، أحمد هيكل ، ط٤ . ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م.

❖ أدب الكاتب ، أبو بكر الصولي، تحقيق : محمد بهجة الأثري، القاهرة، المطبعة السلفية١٣٤١هـ .

❖ أدبية النص، صلاح رزق، د.ط، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢ .

❖ إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ،يوسف وغليسي ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط١ ، ٢٠٠٨ .

❖ آفاق الرواية البنية والمؤثرات، محمد شاهين، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١

❖ أقنعة النص، سعيد الغانمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١ ، ١٩٩١.

❖ إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، أحمد حمد النعيمي ، ط١،المؤسسة العربية للدراسات والنشر–بيروت ،٢٠٠٤ .

❖ البداية في النص الروائي، نور الدين صدوق، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية– سوريا– الطبعة الأولى،١٩٩٤.

❖ بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، د.صلاح فضل، مكتبة لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، دار نوبار للطباعة، ط١، القاهرة، ١٩٩٦ .

❖ بلاغة العلامة وتأويل الرؤيا من السيرة الى التجربة الادبية ،محمد صابر عبيد، ط١ عالم الكتب الحديث اربد–الاردن ٢٠١٣ .

❖ بناء الرواية. دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، د. سيزا قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٤.

❖ بنية الشكل الروائي، د. حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

❖ البوح والترميز القهري السيرة الذاتية التجنيس والمحددات، حاتم الصكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة سنة ٢٠١٤.

❖ البوح والكتابة: دراسة السيرة الذاتية في الأدب العربي، عمر حلي، منشورات مجموعة البحث الأكاديمي في الأدب الشخصي بكلية الآداب، جامعة ابن هر بأكادير، مطبعة دار وليلي ، مراكش، ط١ ، ١٩٩٨

❖ التاريخ والسير، حسين فوزي النجار،دار القلم ، القاهرة ،١٩٦٤ .

❖ التجربة الشعرية العربية دراسة ابستمولوجية للسيرة الذاتية لشعراء الحداثة ، د. هشام محمد عبد الله، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان –الاردن، ط١، ٢٠١٣–٢٠١٤.

❖ التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن ، دار المعارف ، القاهرة ، ط٣ ،١٩٨٠

❖ الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث كتاب سبعون لميخائيل نعيمة أنموذجا، فوزية الصفار الزاوق، الخدمات العامة للنشر ، مطبعة الوفاء البلفدير ، تونس، ط١، ١٩٩٩.

❖ الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، يحيى إبراهيم عبد الدايم، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤.

❖ الترجمة الشخصية، شوقي ضيف، عن دار المعارف، القاهرة ،ط٤ ، ١٩٥٦

❖ تشريح النقد ، نورثروب فراي ، ترجمة محمد عصفور، منشورات الجامعة الاردنية ،عمان،(د.ط) ،١٩٩١

❖ التشكيل السير ذاتي التجربة والكتابة، محمد صابر عبيد، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، ٢٠١٢م

❖ التشكيل النصي الشعري ، السردي، السيرذاتي ،محمد صابر ،عالم الكتب الحديث، اربد- عمان، ٢٠١٤

❖ تطور الرواية العربية الحديثة في مصر(١٨٧٠-١٩٣٨) ، عبد المحسن طه بدر،ط٣، دار المعارف،القاهرة ، ١٩٦٣ .

❖ تفاعل الأنواع في أدب لطيفة الزيات، زينب العسال، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية، عدد ١٤٠، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٣م

❖ التقنيات السردية في روايات عبد الرحمن منيف، عبد الحميد المحادين ط ١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ،١٩٩٩

❖ تمظهرات التشكيل السيرذاتي-قراءة في تجربة محمد القيسي السير ذاتية، محمد صابر عبيد اتحاد الكتاب العرب ، دمشق -٢٠٠٥

❖ جبرا إبراهيم جبرا دراسة في فنه القصصي ، علي الفزاع، دار المهد ط١ ، عمان، ١٩٨٥.

❖ حركة السرد الروائي ومناخاته في استراتيجيات التشكيل، كمال الرياحي ط١، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.

❖ حضارة الاسلام ، جوستاف غرينباوم، ترجمة : عبد العزيز توفيق جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ .

❖ الحكاية والتأويل، دراسة في السرد العربي، عبد الفتاح كيليطو، دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م.

❖ خطاب الحكاية بحث في المنهج ،جيرار جينيت ، ترجمة: محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدي ، وعمر حلي ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٧.

❖ دراسات في كتب التراجم والسير، هاني العمد ، المؤسسة الصحفية الأردنية ط ١ ، ١٩٨١.

❖ دراسات في نقد الرواية، د. طه وادي، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م .

❖ دراسة المؤلفات الجديدة، محمد الكتاني ، الطبعة الأولى، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب١٩٨٠-١٤٠٠هـ

❖ الدلالة المرئية : قراءات في شعرية القصيدة الحديثة، علي جعفر العلاق، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠٠٢.

❖ دليل الناقد الأدبي، راغب، نبيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٨

❖ الراوي في السرد العربي المعاصر، محمد نجيب العمامي ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠١

❖ الراوي والنص القصصي، عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، عبد الرحيم الكردي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م .

❖ رواية السيرة الذاتية، ممدوح فرج النابي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، كتابات نقدية ٢٠٠، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠١١م

❖ الرواية العربية واقع وآفاق، غالب هلسا ومحمد برادة وآخرون،دار ابن رشد للطباعة والنشر-بيروت، ط١ ، ١٩٨١ .

❖ الرواية والمكان دراسة في المكان الروائي،ياسين النصير،دار نينوى للدراسات والنشر-دمشق، ط٢ ،٢٠١٠ .

❖ الروائي وبطله : مقاربة اللاشعور في الرواية العربية، جورج طرابيشي، دار الآداب، بيروت،١٩٩٥.

❖ رؤيا الحداثة الشعرية ، محمد صابر عبيد، منشورات أمانة عمان ، عمان ، ٢٠٠٦ .

❖ زمن الرواية ، جابر عصفور ط. ١، المدى، دمشق، سوريا، ١٩٩٩ .

❖ سرد الذات- فن السيرة الذاتية ، عمر منيب إدلبي، ط1 ، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة،٢٠٠٨ .

❖ السرد المؤطر في رواية النهايات ، لعبد الرحمن منيف(البنية والدلائل) ، محمد الشوبكة، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان-الاردن،٢٠٠٦

❖ سيرة الذات المهمشة:(لغة التهميش)، عبد العاطي إبراهيم هواري ، ط ١، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة ، ٢٠٠٨.

❖ السيرة الذاتية ، جورج ماي ،تعريب محمد القاضي وعبد الله صولة : تونس بيت الحكمة ،١٩٩٢.

❖ السيرة الذاتية الشعرية : قراءة فن التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية ، محمد صابر عبيد، دائرة الثقافة والإعلام ، الشارقة ، ١٩٩٩.

❖ السيرة الذاتيّة الميثاق والتاريخ الأدبي ، فيليب لوجون ، ترجمة:عمر حلي، المركز الثقافي العربي، ط١ ،١٩٩٤ .

❖ السيرة الّذاتية الّنسائية في الأدب العربي المعاصر، أمل الّتميمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط ١ ، ٢٠٠٥

❖ السيرة الذاتية في الادب العربي الحديث رؤية نقدية، شعبان عبد الحكيم محمد ،دار العلم والايمان ، ط١ ،٢٠٠٩ .

❖ السيرة الذاتية في الأدب العربي فدوى طوقان جبرا ابراهيم جبرا احسان عباس نموذجا ، تهاني عبد الفتاح شاكر ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٢.

❖ سيرة الغائب ..سيرة الآتي :السيرة الذاتية في كتاب الأيام لطه حسين، ، شكري المبخوت، دار الجنوب للنشر، تونس، ١٩٩٢.

❖ السيرة بوصفها شكلًا سرديًّا، د. لطيف زيتوني، ملتقى السرد، أوراق مختارة من ملتقى السرد، رابطة الكتاب الأردنيين، الطبعة الأولى، ٢٠١١م.

❖ السيرة تاريخ وفن، ماهر حسن فهمي، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٧٠ .

❖ سيرة جبرا الذاتية في البئر الأولى وشارع الاميرات ، خليل شكري هياس منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،٢٠٠٥.

❖ السيرة والمتخيل قراءات في نماذج عربية معاصرة ، خليل الشيخ ، دار الازمنة للنشر– عمان، ط١ ، ٢٠٠٤ .

❖ شاعرية التاريخ والامكنة ،حوارات مع الشاعر عز الدين المناصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١ ،٢٠٠٠.

❖ الشخصية في الرواية الجزائرية (١٩٧٠-١٩٨٣)، بشير بويجرة ، ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر.

❖ الشخصية في عالم غائب طعمه فرمان الروائي ، د. طلال خليفة سلمان ، من اصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية٢٠١٣، ط١-بغداد، ٢٠١٢.

❖ الشعر العربي المعاصر : قضاياه وظواهره الفنية، عز الدين اسماعيل ، دار العودة ودار الثقافة، بيروت ، ط١، ١٩٦٦ .

❖طائر الفينيق محمد صابر عبيد الشاعر الناقد، إعداد وتقديم ومشاركة : د. خليل شكري هياس، دار تموز، دمشق ٢٠١٢.

❖ طه حسين بين السيرة والترجمة الذاتية ، رشيدة مهران ،القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٩.

❖ عتبات الكتابة بحث في مدونة محمد صابر عبيد النقدية، سوسن البياتي،من اصدارات قصر الثقافة والفنون في صلاح الدين،ط١، ٢٠١٢

❖ عشرة أدباء يتحدثون، فؤاد دواره، دار الهلال،(د.م) (د.ت)

❖ عضوية الأداة الشعرية ، فنية الوسائل ودلالية الوظائف في القصيدة الجديدة ، محمد صابر، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٧ .

❖ علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، علي القاسمي ، بيروت ، مكتبة لبنان ناشرون ، ٢٠٠٨.

❖ على هامش الأدب والنقد ،علي ادهم،دار المعارف، القاهرة، ط١ ،١٩٧٩.

❖ عندما تتكلم الذات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث ، محمد الباردي ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق،٢٠٠٥.

❖ عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ابن أبي أصيبعه ،تحقيق .:اوغست مولر ، القاهرة ، المطبعة الوهبية ،١٩٧٢

❖ غربة الراعي بين النظرية والتطبيق، سيرة احسان عباس الذاتية من خلال كتابه فن السيرة، خلود محمد عبد الله عدوان، دار الراية ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٠،عمان- الاردن .

❖ فاعلية العنوان ومنطق المنهج نقديا د. محمد صابر عبيد نموذجا ، سوسن البياتي

❖ فن التراجم والسير الذاتية ، أندري موروا ، ترجمة وتقديم وتعليق : أحمد درويش ، المجلس الأعلى للثقافة ،القاهرة ، ١٩٩٩

❖ فن الذات، دراسة في السيرة الذاتية ، لابن خلدون محمود عبد الغني ، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان – الاردن ط ١ ،٢٠٠٦.

❖ فن السيرة الذاتية ، ليون ادل، ترجمة: صدقي خطاب،مؤسسة فرانكلين،القاهرة،١٩٧٣

❖ فن السيرة، **احسان عباس**، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٥، عمان، ١٩٨٨

❖ فنون الأدب العالمي ،نبيل راغب ، مكتبة ناشرون، ط١ ،١٩٩٦ .

❖ الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، د. أنيس المقدسي، دار العلم للملايين بيروت، ط ٢، ١٩٨٧

❖ في الأدب الفلسفي، د. محمد شفيق شيا ، مؤسسة نوفل ، بيروت ، ط١، ١٩٨٠.

❖ في الذاكرة الشعرية: قيس كاظم الجنابي ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٨٨ .

❖ القصة القصيرة جدا ، مقاربة : بكر أحمد جاسم حسين، منشورات دار عكرمة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق،١٩٩٧ .

❖ القصيدة السيرذاتية بنية النص وتشكيل الخطاب ،خليل شكري هياس، عالم الكتب الحديث، إربد، ودار جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1 ، ٢٠١٠ .

❖ كتاب عمان (حوارات ثقافية في الرواية والنقد والقصة والفكرة والفلسفة)، مطابع المؤسسة الصحفية الأردنية ، حوارات مع بوشوشة بن جمعة، ط١ ،١٩٩٨

❖ كتابة الذات دراسات في السيرة الذاتية أ.د صالح معيض الغامدي ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء–المغرب، ط١، ٢٠١٣ .

❖ الكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب ، عبد القادر الشاوي ، أفريقيا الشرق ، بيروت ، ٢٠٠٠.

❖ الكشف عن أسرار القصيدة ، حميد سعيد، ط١، مكتبة التحرير، بغداد، ١٩٨٨.

❖ لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت (د.ط) ،١٩٥٦

❖ المتكلم في النص مقالات في السيرة الذاتية ،عبد القادر الشاوي ، منشورات الموجة، ط١، ٢٠٠٣.

❖ مدخل إلى عتبات النص: دراسة في مقدمات النقد العربي القديم، عبد الرزاق بلال، تقديم: إدريس نقوري، أفريقيا الشرق، المغرب ، ٢٠٠٠.

❖ مدخل إلى نظرية القصة: تحليلاً وتطبيقاً، سمير المرزوقي، جميل شاكر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦.

❖ المدخل إلى نظرية النقد النفسي، سيكولوجية الصورة الشعرية في نقد العقاد (نموذجا)، زين الدين المختاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨.

❖ المذهب الأدبي للعقاد ، عبد الله بريمة فضل، (ر.د) ، كلية اللغة العربية، القاهرة ، ١٩٢٨.

❖ مرايا نرسيس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد الحديثة ، حاتم الصكر، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩.

❖ المصطلح السردي في النقد الأدبي العربي الحديث، د. أحمد رحيم كريم الخفاجي، دار صفاء للنشر–عمان، ط٢ ، ٢٠١٢ .

❖ المصطلح النقدي ،عبد السلام المسدي ، (د.ط)مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر ، تونس،١٩٩٤

❖ المعجم الأدبي: جبور عبد النور ، دار العلم للملايين ، ط٢، ١٩٨٤.

❖ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د.سعيد علوش ،عرض وتقديم وترجمة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٥

❖ معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مجدي وهبة وكامل المهندس ، مكتبة لبنان، بيروت–لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤

❖ معجم مصطلحات نقد الرواية، د. لطيف زيتوني، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٢

❖ المغامرة الجمالية للنص الأدبي –دراسة موسوعية–، محمد صابر عبيد،دار لبنان ناشرون، بيروت،٢٠١٢

❖ مقاربات حوارية ، معجب الزهراني ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت–لبنان، ط١ ،٢٠١٢ .

❖ مقومات السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث، جليلة الطريطر د / ط، مؤسسة النشر الجامعي تونس،٢٠٠٤

❖ مملكة الغجر، علي جعفر العلاق، دار الرشيد للنشر، بغداد ، ط١ ،١٩٨١.

❖ المنتقى من دراسات المستشرقين، صلاح الدين المنجد ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة، ١٩٥٥ .

❖ الموت والعبقرية، عبد الرحمن بدوي ، مكتبة النهضة المصرية، ط٢ ، ١٩٦٢ .

❖ موسوعة الأدب العربي السعودي الحديث(السيرة الذاتية)، معجب الزهراني، دار المفردات ، الرياض ، ٢٠٠٠.

❖ موسوعة السرد العربي، عبد الله إبراهيم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٨

❖ الموقد واللهب – حياتي في القصيدة – محمد القيسي ، منشورات وزارة الثقافة ،عمان ١٩٩٤.

❖ النافذة والريح اضاءات في تجربة محمد صابر عبيد الابداعية ،اعداد وتقديم د.محمد صالح شيد الحافظ ، ط١ ، تموز للطباعة والنشر دمشق ،٢٠١٢ .

❖ النثر العربي في نماذجه وتطوره لعصري النهضة والحديث ، علي شلق ، دار القلم ، ط٢ ، بيروت، ١٩٧٤.

❖ نحو شعرية منفتحة، جيرار جينيت ، كريستين مونتاليني، ترجمة: غسان السيد ووائل بركات،دار الرحاب، وزارة الإعلام، دمشق، ط١، ٢٠٠١ .

❖ نظرية الأدب، رينيه ويلك واوستن وارين، ترجمة: محيي الدين صبحي، مراجعة: د.حسام الخطيب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعي، مطبعة خالد الطرابيشي، ١٣٩٢هـ=١٩٧٢م

❖ نظرية السرد من وجهة نظر التبئير ، مجموعة مؤلفين ، ترجمة: ناجي مصطفى، منشورات الحوار الأكاديمي والجامعي ، المغرب ، ط١ ،١٩٨٩.

❖ نقد النثر العربي في كتابات إحسان عباس ، عصام حسين اسماعيل أبو شندي ، مطبوعات وزارة الثقافة ، دار الشروق –عمان .

❖ النقد والأدب، جان ستاوبنسكي، ترجمة: د. بدر الدين قاسم، مراجعة: أنطوان مقدسي، مطبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٦.

❖ النقد والحداثة ، عبد السلام المسدي ، منشورات دار أمية ، دار العهد الجديد ، المطبعة العربية ، ط٢، تونس ، ١٩٨٩ .

❖ والمعجم السردي ، جيرالد برنس ، ترجمة عابد خازندار ، مراجعة محمد بديري، المجلس الأعلى للثقافة ، المشروع القومي للترجمة ، مصر ، ط١ ، ٢٠٠٣.

الرسائل والأطاريح

❖ أدبية السيرة الذاتية في العصر الحديث ، ناصر بركة ، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر-باتنة-الجزائر – ٢٠١٢-٢٠١٣ .

❖ إشكالية المصطلح النقدي ، ثائر حسن جاسم ، رسالة دكتوراه مقدمة إلى مجلس كلية الآداب جامعة بغداد ،٢٠٠٧

❖ بنية السرد في الاعتراف الاخير لمالك بن الريب، رسالة ماجستير، سالم جمعة كاظم، جامعة القادسية٢٠١٠.

❖ بنية النص السردي في رواية (غداً يوم جديد) رسالة ماجستير، عبد الحميد بن هدوقة جامعة منتوري قسنطينة، ٢٠٠٤.

❖ جماليات الرواية السيرية رواية السمك لايبالي لانعام بيوض نموذجا، كريمة غيتري،رسالة ماجستير، جامعة أبي بكر بلقايد-تلمسان-، الجزائر،٢٠١٣.

❖ جماليات تماهي الأنا والأنا الآخر في رواية السيرذاتية بحر الصمت لياسمينة صالح أنموذجا،قوادي نعيمة،رسالة ماجستير،جامعة حسيبة بن بو علي -الشلف- كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٩

❖ رواية السيرة الذاتية في (مزاج مراهقة) لفضيلة الفاروق ،نجاة سويسي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة ، ٢٠١١.

❖ رواية السيرة الذاتية في ادب توفيق الحكيم دراسة نقدية تحليلية ، سامر صدقي محمد موسى، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية،٢٠١٠

❖ السيرة الذاتية الروائية في النصف الثاني من القرن العشرين ، جولان حسين جودي

ساني ، اطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة ،٢٠٠٨

❖ السيرة الذاتية الشعرية والنثرية ، رسالة ماجستير، راوية سمير عاشور ،جامعة الشرق الاوسط، بإشراف د. جمانة السالم،٢٠١٤ .

❖ السيرة الذاتية في الأدب العراقي الحديث منذ مطلع القرن التاسع عشر حتى بداية الحرب العالمية الثانية، أنغام عبد الله شعبان ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، الجامعة المستنصرية ،١٩٩٠ .

❖ السيرة الذاتية في شعر نزار قباني،رسالة ماجستير ، شايب الرأس زبيدة، جامعة المسلية

❖ فن السيرة الذاتية في الأدب الفلسطيني بين ١٩٩٢-٢٠٠٢، ندى محمود مصطفى الشيب، رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية،٢٠٠٦

❖ فن السيرة في الأدب الأيوبي، كتاب الاعتبار نموذجًا، حازم فارس علي أبو شارب، رسالة ماجستير ،جامعة النجاح الوطنية،٢٠٠٦

❖ فن السيرة في كتابات نزار قباني النثرية، رسالة ماجستير ، صبرينة جعفر، جامعة المسلة ، ٢٠١٢-٢٠١٣

❖ فن السيرة في كتابات نزار قباني النثرية، رسالة ماجستير ، صبرينة جعفر، جامعة المسلة ، ٢٠١٢-٢٠١٣

❖ كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ دراسة تحليلية، براءة محمود السقرات، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة،٢٠١١ .

الدوريات

❖ أثر السيرة الذاتيّة في النصّ الروائي رواية(الصندوق الأسود): مثالاً د. فاضل عبود التميمي جامعة ديالى ، مجلة سردم العربي العدد(٣٢).

❖ أدب السيرة الذاتية في فرنسا: المفاهيم والتصورات، فيليب لوجون، ترجمة: ضحى شبيحة، مجلة الثقافة الأجنبية، بغداد، العدد ٤ لسنة ١٩٨٤ .

❖ اشكالية المصطلح النقدي في الخطاب العربي الجديد ، فاضل ثامر ، مجلة نزوى ، العدد السادس ، ١٨ ، ٢٠٠٩ .

❖ أنساق الميثاق الاطوبيوغرافي، السيرة الذاتية بالمغرب، حسن بحراوي ،مجلة آفاق المغربية، المغرب: العدد ٣-٤لسنة ١٩٨٤

❖ أنماط السرد في التراث، ناصر جابر(شبانة)المجلد٢١ (٢)، ٢٠٠٧

❖ بعض ملامح الأنا الراوية والمروية في الخطاب المعاصر "إدوارد الخراط نموذجًا" ،محمد الخبو، مجلة فصول ، العدد الرابع ، المجلد السادس عشر، ١٩٨٠ م .

❖ البئر الأولى – فصول من سيرة ذاتية، أبو المعاطي أبو النجا، مجلة العربي، الكويت، العدد،٣٥٢ لسنة ١٩٨٨ .

❖ التجربة القصصية الذاتية المخاض لهيثم بهنام بردى مثالا ، خليل شكري هياس، مجلة الاقلام ، العدد الثاني–السنة التاسعة والاربعون ،آب٢٠١٤ .

❖ التعالق بين الرواية والسيرة الذاتية "قصة الحب والظلام لعاموس عوز نموذجًا"، د. إبراهيم دبيكي، مجلة كلية الآداب بجامعة حلوان، مصر، العدد ٢٦، ٢٠٠٩م

❖ خصائص البناء الفني في السيرة الّذاتية، الهادي غابري ، مجلة علامات في الّنقد، العدد ٥١ مج١٣ ، ٢٠٠٤

❖ دراسة في سيرة الأمير عبد الله بن بلقين آخر ملوك بني زيري في غرناطة، عبد الرحيم، رائد مصطفى المنارة للبحوث والدراسات، مجلة علميّة متخصصة، مج ١٠ ، عدد (٥)، كانون أول، ٢٠٠٤

❖ الذات الممحوة بالكتابة حول الصراع السيزيفي في سيرة فدوى طوقان الذاتية –رحلة جبلية .. رحلة صعبة ، حاتم الصكر مجلة راية مؤتة ، عمان ، العدد٢، ١٩٩٣.

❖ الذات ومسألة الحب في طوق الحمامة لابن حزم ، المنصف شعرانة، مجلة :حوليات الجامعة التونسية ، ع ٤٢ ، ١٩٩٨ .
❖ الذاكرة الساردة وحساسية التشكيل الشعري قراءة في قصيدة (المصائر) لمحمد بركو ، د.خليل شكري هياس، مجلة جامعة تكريت للعلوم ، المجلد (١٨) العدد(٤) ، حزيران ، ٢٠١١ .
❖ رواية السيرة الذاتية في الادب الجزائري المعاصر ((ابن الفقير انموذجا))، أحمد منور ، مجلة المساءلة ، مجلة فصلية يصدرها اتحاد الكتاب الجزائريين، العدد ١، ١٩٩١.
❖ رواية السيرة الذاتية، عبد الله عبد الرحمن الحيدري ، مجلة علامات في النقد م ١٣، ج ٤٩ سبتمبر ٢٠٠٣ .
❖ الرواية وعصرنا، الناقد الانكليزي اليكس كومفورت ، ترجمة: عادل خضير النجار،مجلة الأقلام، العددان٣-٤ آذار-نيسان،السنة الأربعون،٢٠٠٥.
❖ السيرة الذاتية الروائية والوظيفة المزدوجة، د. يمنى العيد، مجلة فصول العدد (٤)-١٩٩٧،
❖ السيرة الذاتية العربية : تاريخ وثقافة ، خليل شكري ،بحث منشور في مجلة ابحاث كلية المعلمين ،المجلد ١/العدد١،جامعة الموصل .
❖ السيرة الذاتية العربية في الدراسات الغربية ،د.معيض الغامدي ، مجلة علامات النقد السعودية،ج٤،م١١ ،٢٠٠٢
❖ السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث: حدود الجنس وإشكالاته، محمد الباردي، مجلة فصول، القاهرة، المجلد ١٦، العدد ٣، لسنة ١٩٩٧
❖ السيرة الذاتية في مجموعة ذاكرة محلة للقاص فاضل محمد عبد الله ، أ.م.د. علي أحمد محمد العبيدي، مجلة اضاءات موصلية، العدد(٧١) ، جمادي الآخرة ١٤٣٤هـ ، آيار ٢٠١٣
❖ السيرة الروائية :إشكالية النوع والتهجين السردي، عبد الله إبراهيم، مجلة نزوى، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، العدد١٤، لسنة ١٩٩٨.

❖ السيميوطيقا والعنونة، جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٥، العدد٣، لسنة ١٩٩٧.

❖ شعرية عنوان كتاب الساق على الساق فيما هو الفارياق، د.محمد الهادي المطوي، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٨، العدد ١ لسنة ١٩٩٩ .

❖ الصخرة والهاوية، حاتم الصكر مجلة راية مؤتة ،عمان ،العدد٢، ١٩٩٣ .

❖ عن الذاتية في اللغة إميل بنفنيست، ترجمة : صابر الحباشة ، مجلة الاقلام–العدد الثاني– ٢٠١٠.

❖ فن كتابة السير تاريخ هو أم أدب ، سهير القلماوي ،مجلة العربي،ع١٧،نيسان ١٩٦٠

❖ القصيدة السيرذاتية بين سردنة الشعر وشعرنة السرد مجلة جامعة تكريت للعلوم الانسانية ، خليل شكري هياس ، المجلد، ١٥ ،العدد (٤)، ٢٠٠٨

❖ لقاء مع محمد صابر عبيد ،اسماعيل البويحياوي ، مجلة "قاب قوسين" ،الخميس ٢٠١١/٣/٢٤.

❖ مجلة الموقف الأدبي ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ،ع٤٢٦، ٢٠٠٦ .

❖ مفهوم الرواية السيرية، عمر الطالب ، مجلة صوت ، نينوى ، العدد١ لسنة١٩٩٧ .

❖ من الذات إلى الحياة قراءة في "فصول ذاتية من سيرة غير ذاتية" لعلي جواد الطاهر، فاضل عبود التميمي ، مجلة الأقلام ، العدد ١ السنة ٥١ ، كانون الثاني–آذار، ٢٠١٦.

❖ نحو معجم مصطلحات النقد العربي القديم ،احمد مطلوب ،مجلة المجمع العلمي العراقي ،المجلد الثالث والأربعون الجزء الثاني، ١٩٩٦

❖ نظرية السيرة الذاتية في الفكر الأدبي الحديث، الصادق العمري، مجلة المشكاة ، الدار البيضاء ، دار قرطبة للطباعة والنشر – المغرب، العدد ١١ ١٩٨٩ ١٥

❖ الوجه والقفا : ملاحظة عامة عن الحدود المنهجية لدراسة السيرة الذاتية ،عمر حلين، مجلة علامات ، العدد٦ ، ١٩٩٦

❖وعي الذات، قراءة في كتاب سرد الذات للسلطان محمد القاسمي ، فاضل عبود التميمي، مجلة الرافد، الشارقة،يناير،٢٠١٣

مواقع شبكة الأنترنت

❖ رواية السيرة الذاتية بين الواقع والمتخيَّل (تمهيد .. ومحاولة تعريف)،قحطان بيرقدار http://www.alukah.net/Literature_Language/0/4795 .

❖ السيرة الذاتية والتجربة الشعرية، : حاتم محمد الصكر ،www.hatemalsagr.net.

❖ (مقال) محمود درويش.. السيرة الذاتية بأسلوب مختلف، محمود شقير ، الموقع الالكتروني للناقد حاتم الصكر www.hatemalsagr.net .

❖ (مقال) قصيدة السرد الحديثة" كما قرأها حاتم الصكر . تمهيد نظري يختلف عن القراءة النقدية شربل داغر موقع حاتم الصكر www.hatemalsagr.net .

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
University of Al-Qadisiyah
College of Education
Department of Arabic language

Biography in the efforts of Arabian researchers

A Thesis

Submitted to the College of Education, University of Al-Qadisiyah

In partial fulfillment of the requirements for the degree of

Doctorate of Philosophy

In Arabic language and its Literatures

Submitted by

Israa Salim Mosa Alkozaei

Supervised by

Prof. Dr. Abdallah habeeb AL-Tamimi

1438 **2017**

Abstract:

The term biography presented in critical studies field to a kind of multi-terminological status, influenced by the outcome of the development of Arab culture teetering between alien and genuine. The critical studies observe that biography is one of the most literary genre that excite the debates, because they do not want to stabilize.

They are genre-elusive and unspecified features, because they conflict with race literary while borrows its work and its logic of technical mechanisms, and although many critics have tried to hypothesize it and regulate the field of the term, and recruit, but the term remains vague and unclear, and that means not obligate the writers of biography by strict conditions that could be lighten them like the speaker and style direct description and chronological arrange and makes sense of the events, but the conditions that composition the crux of the Biography text, such as a self-Charter Biography and match the three character (I am the author I am the teller of tales I am the central character), try honesty and commitment were relatively, and not dumping in the imagination, they are conditions that must be obligates to the biographers to remain the text under the restrictions of this art and its route.

The merit mentioning noted that Arabs critics and researcher cared to reveal the relationship of biography fictional and other hard-working for identification a new species that appear from that relationship and put the definitions and terminology which is became a kinds that subjected in terms of agreement and differences among themselves, generate a problematic criticism in many cases, the most important was the term and conception, and other issues highly relevant to the art of biography like matching and similar pronoun and the Charter that will be closer to or away of this new species or (hybrid) of the biography itself.

There are huge areas and many kinds still far from the arena of the Arab

biographers', which is deserve the attention of the researcher and their interest which is considered an opportunity for those who wanted them to go into areas that still at former and not inundated researcher pens, like the other literature art such as story , poetry and novel, if does not has appropriate texts, most of which are not see the light at the critical studies, like the debate ,testimonies, stories and self-tests.

It is no confidential that Arab critics influenced in their criticism by the critics acts of French like Philippe Lejeune and George May, as these researcher have dedicated and deeply of all the scientific efforts to develop the field of literature profile in terms of theory, application and most criticism signals that they came out, the richness and depth, taken by the Arabs scholars and worked out theoretically and application of the Arab texts Resumes.